[redacted]

الأبراشي ، محمد عطية .

التربية الانجليزية أو نظام التعليم

JAFET LIB.

370.942
A16A

30 Apr 65
7 Dec 65
JAFET LIB.
05 FEB 1994

JAFET LIB.
24 MAY 1995
Circulation Dept. 1

JAFET LIB.

370.942
I 14tA

التربية الانجليزية

أو

نظام التعليم فى انجلترا

تأليف

محمد عطية الابراشى

خريج جامعتى اكستر ولندن

والمفتش العام بوزارة المعارف

حقوق الطبع والنقل والتلخيص محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية منقحة

١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م

59758

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف

بمصر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، ومن اهتدى بهم إلى يوم الدين .

وبعد فقد قدمت من إنجلترا بعد إقامة بها طويلة درست فى أثنائها علوم التربية . وزرت فيها كثيراً من المدارس على اختلاف أنواعها ، ووقفت على اتجاهات الشعب الإنجليزى فى تربية أبنائه وتثقيفهم ؛ تلك التربية الحقة التى وصلت بذلك الشعب إلى ما نراه اليوم . فما إن استقر بى المقام فى مصر فى سبتمبر سنة ١٩٣٠ حتى أخذت أقدم لأبناء الوطن المحبوب شيئاً مما رأيته من نظم التعليم فى تلك البلاد ؛ بالنشر فى بعض الصحف والمجلات تارة ، وإلقاء المحاضرات فى بعض الجماعات تارة أخرى .

قرأ كثير من الإخوان ما كتبت ، وسمعوا ما ألقيت ، فحدثونى أنهم يرون فيما يُكتب ويُلقى نفعاً . ثم رغبوا إلىّ فى أن أجمع المتفرق ، وألم شتاته ، وأستوعب الموضوع بحثاً ؛ حتى أخرج كتاباً يتناول وصف التعليم بانجلترا فى جميع مراحله ونواحيه ؛ ينتفع به المربون والمربيات ، والآباء والأمهات ، والطلبة والطالبات .

فاستعنت بالله على إجابة رغبتهم ، وتحقيق طلبتهم ، مراعياً الدقة فى البحث ، والرجوع إلى أوثق المصادر ، والسهولة فى الأسلوب ، والبعد عن الغموض . وأرجو أن أكون قد وفقت إلى ما أرادوه ، ووصلت إلى ما ابتغوه .

وإذا ما تقدمت اليوم بهذا الكتاب فى ذلك الوقت الذى تشعبت فيه الآراء عن التعليم ، وعيوبه ، وطرق إصلاح تلك العيوب ، فإنى لا أقصد أن يجعل التعليم فى مصر كالتعليم بانجلترا فى كل صغيرة وكبيرة ؛ فلكل أمة بيئة وظروف خاصة ، تستدعى نوعاً معيناً من التعليم يلائم أحوالها الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية ، بل أقصد أن نقتبس من كل شىء أحسنه ، ونهتدى بتجارب غيرنا من أرقى الأمم فنختصر الطريق فى كثير من الأمور التى ثبتت بالتجربة ، وتوافق العقل والمنطق ، وبذلك يمكننا أن نقتصد كثيراً من الزمن — زمن التجربة والخطأ ثم الإصلاح — ونسير إلى الأمام حتى نقرب من الكمال .

فإن نجحت فى إظهار الحقيقة فالحق أردت ، وإن كانت الأخرى فخدمة العلم قصدت ، والكمال لله وحده .

أسأل الله أن يهدينا سواء السبيل ، ويوفقنا لخدمة العلم والتعليم ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

محمد عطية الابراشى

القاهرة : ١٣٥٣ هـ
١٩٣٥ م

الفصل الأول

كلمة عامة عن التعليم فى إنجلترا

الغرض من التربية الانجليزية :

الغرض من التربية الإنجليزية هو تهذيب الأخلاق، وتربية الروح والعقل والجسم، مع المحافظة على الاستقلال الشخصى لكل فرد من الأفراد . ولا يقاس النجاح فى التعليم بانجلترا بمقدار ما يعرفه التلميذ من المواد الدراسية فحسب ، ولكنه يقاس كذلك بما يستطيع أن يفعله ، وبمقدار استعداده للعمل . فعلى هذه الأسس الثلاثة وهى: العلم، والقدرة على العمل، والاستعداد للعمل — يقاس النجاح فى التعليم بانجلترا . ومع أن عدد المتعطلين هناك قد بلغ نحو ثلاثة آلاف ألف عامل سنة ١٩٣٠ م . وعدد المتخرجين فى المدارس كل سنة يبلغ نحو ٢٥٠ ألف شاب لا تجد فرداً واحداً يقول : أغلقوا المدارس ، ولكنك تجد من يقول : أطيلوا مدة الدراسة ، وافتحوا موارد العلم لطلابه ، فبغير نور العلم لا تزدهر نهضة ، وبغير المدارس لا تعتز أمة . والحياة العملية مفتوحة أمام الجميع . وإذا ترك الطالب المدرسة وكان عالماً ، قادراً على العمل ، مستعدًا لأن يعمل فلا خوف عليه فى هذه الحياة . وما المدرسة إلا عالم مصغر ؛ فالحياة المدرسية الإنجليزية صورة من الحياة العالمية الخارجية ، تُعِد التلميذ للحياة الاجتماعية التى تنتظره ، فيخرج من المدرسة عالماً بشئون الحياة ، يحاول أن يعرف نفسه ، ويعرف العالم الذى يعيش فيه ، عاملاً بما علم ، مستعدًا لأن يعمل أى عمل تصل إليه يده ، مبتدئا الحياة من السلم الأول ، ويسير بالتدريج حتى يصل إلى ذروة العلا . يعيش الشاب فى عالم الحقيقة لا عالم

الخيال ، ولا يضيره أن يظهر صغيراً فى عمله فى بدء الأمر ، بل يعمل ويثابر ، ويخطئ ويصيب ، ويجتهد حتى يصل إلى الكمال أو ما يقرب منه .

وإذا تمثلت الروح العسكرية فى التربية الألمانية ، وظهر الروح التعاونى فى التربية الأمريكية ، فتربية الشخصية المستقلة تتمثل فى التربية الإنجليزية . وروح التعليم فى إنجلترا مؤسس على دراسة الطفل ، والتفكير فيه ، وفى شخصيته ومستواه ، وتقديمه على غيره؛ أى مؤسس على التضحية بكل شىء فى سبيل النهوض به . فالطفل مركز التعليم ، وهو حجر الزاوية فى التربية الإنجليزية ، وهو الذى يضحى من أجله بكل شىء . ولئن عنى الإسبرطيون قديماً بالقوة الجسمية والتربية العسكرية ، واهتم الأثينيون من اليونان القدماء بالفلسفة وتربية الذوق وحب الجمال ، وأولع الرومان [1] فى غابر الأزمان بالخطابة والقوة الكلامية لقد عنى الإنجليز اليوم بإعداد الطفل للحياة ، للقيام بواجبات الحياة .

التعليم بانجلترا مدنى لا ريفى غالباً :

فى إحصاء سنة ١٩١١ كان عدد السكان فى إنجلترا ٤٣٠٤٣٠٧٦ نفساً ، وهو موزع على ٥٠٩٣٩ ميلا مربعاً من الأرض ، فكان يخص الميل المربع ٦٦٧ شخصاً ؛ فالكثرة العظيمة للسكان بانجلترا جعلت إدارة التعليم فيها تختلف عن إدارة التعليم فى كندا والولايات المتحدة بأمريكا ، حيث تجد الناس فيهما متفرقين هنا وهناك ، حتى إن المدرسة الريفية ذات المدرس الواحد لا تزال قائمة فى كل منهما . أما فى إنجلترا فهذا النوع من المدارس غير معروف ؛ فمع أن نحو عشرين فى المائة من السكان لا يزالون يعيشون فى القرى بعيدين عن المدن تجدهم يميلون إلى أن يجتمعوا فى قرى متوسطة السعة ، هذا إلى أن المواصلات

---

(١) راجع آراء شيشرون (Cicero) وكوينتليان (Quintilian) من فلاسفة الرومان

بالسكة الحديدية والسيارات العامة جيّدة جدًّا ؛ فالقرى على صلة دائمة بالمدن ، وقليل من المنازل الريفية بانجلترا يشعر بالوحدة أو العزلة التى كثيراً ما تشعر بها الأسر فى كندا والولايات المتحدة بأمريكا .

فالتعليم بانجلترا يعد فى الغالب تعليماً مدنيًّا لا ريفيًّا ، والمدرسة العادية التى تعد فيها مثلاً للتعليم هى مدرسة مدنية ، بها أكثر من مدرس ؛ بها مدرسون بقدر عدد الفصول إن كانت مدرسة أولية — وهى والابتدائية سيان الآن — فإن كان بها أربعة فصول كان بها أربعة مدرسين ، ويعد الناظر واحداً منهم إن كانت المدرسة صغيرة . وقد يكون فى الفصل سنتان دراسيتان يقوم بتعليمهما مدرس واحد . والأعمال الكتابية بالمدرسة يقوم بها الناظر والمدرسون ، بحيث يقوم كل مدرس بالأعمال التى تتعلق بفصله من حضور وغياب . . . الخ .

العوامل التى أثرت فى التعليم بانجلترا :

ومن العوامل التى أثرت وتؤثر فى التعليم بانجلترا بيئتها الطبيعية ؛ فموقعها الجغرافى جعلها شعباً عظيماً فى التجارة والصناعة ، ومركزها — جزيرة من الجزائر — قد جعلها فى سلم وأمن دائماً ، لا تفكر إلا فى أحوالها الداخلية . ومرافئها الكبيرة هى الوسيلة الكبرى لجعل سفنها آمنة مطمئنة تمخر عباب البحار . أما مدنها الساحلية التى تعد مصايف لها وللمصيفين من الأجانب فكثيرة ؛ فليس بانجلترا جهة تبعد عن البحر أكثر من سبعين ميلا ؛ فكل مدينة أو قرية تجد بالقرب منها مصيفاً على البحر تقصده أيام العطلة السنوية تغييراً للهواء ، وطلباً للصحة . وإن مناجمها الغنية بالفحم والحديد والمعادن الأخرى تمدها بالمواد الأولية التى تحتاج إليها مصانعها الكبيرة ، تلك المصانع التى أثرت فى طريقة التعليم فى كثير من الجهات الصناعية ؛ ففى تلك الجهات تجد التعليم الصناعى منتشراً يلحق به كثير ممن ينتهون من التعليم الأولى أو الابتدائى .

وإذا بحثنا وجدنا أن إنجلترا مملكة قديمة ، ولكنها لاتستطيع أن تفخر بمدنية كمدنية مصر أو الصين أو الهند أو إيطاليا فى القدم ، ورأينا أن العقل الإنجليزى ضد الطفرة ، يكره كل الكراهة أى شىء يكون من طبيعته الارتفاع العنيف، ويمقت التغيير السريع . يحب النشوء والارتقاء التدريجى ، ولا يميل إلى الثورة بحال من الأحوال . فانجلترا بلد النشوء والتدرج لا بلد الثورة والطفرة . وإن أمثال هذه الحقائق والميول تشرح السبب فى البطء فى الإصلاح بانجلترا . فهى أمة عملية أكثر منها نظرية ، تميل إلى الأمور العملية أكثر من ميلها إلى النظريات . وإن الآراء الجوهرية التى يظهرها المصلحون أو النظريون تأخذ وقتاً طويلاً حتى تختمر وتهضم لدى الأكثرية من المحافظين ، ومن ذلك نجد الإصلاحات بها مستمرة ، وتحدث باستمرار .

موازنة بين انجلترا وألمانيا والولايات المتحدة بأمريكا :

إن « جون اسْتِوَارْت مِل [1] » هو الأب الروحى للسياسة الإنجليزية . ومعظم السياسيين من الإنجليز قد تشبعوا بآرائه عن الحرية الشخصية ، وتمسكوا بها وجعلوها آراء لهم . ولا عجب إذا قلنا إن فى جامعتى (أكسفورد وكيمبردج) — حيث يتعلم كثير من القادة السياسيين — يعد كتاب [2] مِل «عن الحرية» من أثمن الكتب . ولا غرابة ؛ فانجلترا معروفة بين أمم العالم بأنها أمة الحرية . ويرى (مِل) أنه لا يسوغ التدخل فى الحرية إلا لحماية النفس ، ولا يجوز استعمال القوة ضد أى فرد من المجتمع إلا لمنع الضرر عن غيره ؛ فللفرد فى نظره شخصية مطلقة ، وله سلطان على نفسه وجسمه وعقله ، وهو فى رأيه

---

(١) John Stuart Mill : ولد بلندن فى ٢٠ من مايو سنة ١٨٠٦م ، وتوفى فى ٨ من مايو سنة ١٨٧٣م .

(٢) On Liberty, by John Stuart Mill

هذا يخالف آراء « تريشك »[١] الألمانى القائل فى علاقة الحكومة بالفرد : «الحكومة قوة.» . « إن روح الحكومة لايمكنها أن تحمل قوة أعلى منها فوقها. » « ليس لدى الحكومة قاض أعظم منها . » فالألمان يرون أن الحكومة يجب أن تطاع إطاعة عمياء كلها ثقة . لا ، بل يجب أن تعبد تقريباً . و يعتقدون أنها منزهة عن الخطأ ، معصومة من الزلل ، وأن قانون الأحكام الذى يحاكم به الفرد لاينطبق على الحكومة . وفى نظير الطاعة العمياء ، والثقة التامة بسلطتها لاتحمى الفرد من التعدى الأجنبى فحسب ، بل تكفل له أيضاً معيشته ؛ بأن تمده بتعليم صحيح فى التجارة والصناعة ، وتعطيه نموذجاً من المساكن الحسنة فى مدن صحية ، وتمنحه معاشاً عند عجزه عن العمل لعاهة أو ضعف أو كبر سن . فيجد الألمانى حياة سهلة ، وتموت فيه ملكة النقد ؛ لأن الحكومة تقوم مقامه وتنوب عنه فى التفكير ؛ فهى تريحه وتخليه من التبعة ، وتقوده وترشده بشدة إلى الطرق التى تراها صالحة . أما الحكومة فى إنجلترا فتسمح لكل فرد أن يختار الطريقة التى بها يخدم بلاده ، من غير أن تملى عليه إرادتها ؛ فلدى الفرد فى إنجلترا قوة الحكم ، و بها يمكنه أن يفعل ما يشاء لأمته ، وأن يتصرف بنفسه فى الأمور التى تفيدها ، بالوسيلة التى يراها صالحة . وما دام الفرد الإنجليزى يفكر فى غرض واحد هو خدمة المجتمع ، فلا تهم الطريقة التى يستعملها للوصول إلى غرضه ، وهو خدمة المصلحة العامة . أما ألمانيا فتضع أبناءها فى المكان الذى يناسبها ، وتعين لهم الطريقة التى تثق بنجاحها وتراها مؤدية إلى أغراضها ومقاصدها . ولا تترك للفرد حرية اختيار الوسيلة التى بها ينفذ العمل ؛ ففكره مقيد بالخطة التى عينت له . فهى تضحى بقوة التفكير والإرادة عند الفرد ، وتحول دون نمو مواهبه و إرادته ، وهذه تضحية كبيرة . ولا يُحتمل خضوع أو استسلام

(١) Tretischke, Lectures on Politics.

كهذا لأى خطة من الخطط فى إنجلترا فى الأوقات العادية ؛ أما فى أوقات الحرب مثلاً فيخضع الأفراد لكل التعليمات والإرشادات من غير ماتذمر . وفى الولايات المتحدة بأمريكا لا يطاق الاستعباد بأى شكل من أشكاله ؛ فالحكومة فى إنجلترا وأمريكا تفكر فى حرية الأفراد ، وتشجعهم على التفكير الشخصى فى عمل مشروعات خاصة بهم . ولا مرية فيما لهذه الطريقة من فضل عظيم ؛ لأنها تعطى الفرد فرصة فى أن يفكر و يحكِّم عقله وحواسه فى العمل الذى يقوم به ، و إن كانت قد تؤدى أحياناً إلى بعض الضرر المالى إذا لم ينجح المشروع ، أو إلى عدم إجادة العمل .

نظام التربية

والعناية بالنظر فى أخلاق الشعب وتقاليده

يجب أن يعنى نظام التربية بالنظر فى أخلاق الشعب وتقاليده ، وفى الصفات السائدة بين الأمة ، وألا يكون ضد العادات القومية . كل هذه الأمور قد لوحظت فى التعليم بانجلترا ؛ فإن الصفات والأخلاق التى تعرف بها بين الأجناس البشرية معروفة منذ أجيال ، متأصلة فيها منذ قرون . يقول (بيتر سَانْدِيفَرد[1]) : « الرجل الإنجليزى مولع بالمنافسة ، يحب من صميم فؤاده الرحلات والسياحات . ولا يستطيع أحد الانتصار والاستقرار فى إنجلترا إلا من كان يميل إلى المنافسة . و إن هذا الميل إلى حب التنافس لايظهر للناظر العادى ؛ لأنه مغطى بطبقة كثيفة من الهدوء العقلى . » والرجل الإنجليزى — كما قلنا — يمقت النظريات ، والتفكير فى النظريات ، ويحب أن يقبض على الأمور العملية فى الحياة ، ويحلها

(١) Peter Sandiford

وهو سائر فى عمله . ويقول « بيتر ساند يفرد » أيضاً : « إن الرجل الإنجليزى يرى هادئا . وهو فى حاجة إلى قوة الخيال ، ومن الصعب أن تؤثر فيه ؛ فهو كالفحم الحجرى الصلب يتقد ببطء ، ولكن حينما يتقد يحترق إلى النهاية » . ولدى الرجل الإنجليزى قوة كبيرة على كتمان شعوره ، ويمكنه أن يملك نفسه ، وهو شديد المحافظة على القديم ، ولا يسلم مطلقاً بأن الواجب الذى يكلفه صعب أو كبير عليه ؛ فهو يعتقد أنه يستطيع أن يقوم بأى عمل يكلفه من الأعمال . وإذا سألته : هل يمكنك أن تعمل كذا ؟ قال: سأحاول . ولو فقد الإنجليزى هذه الصفة وهى عدم التسليم بأنه مغلوب لذهبت الإمبراطورية الإنجليزية . وبضبط النفس ، والمثابرة والصبر والأخلاق والروح الدينى انتصرت انجلترا ، وستنتصر فى الحرب العالمية الثانية ، كما انتصرت فى الحرب العالمية الأولى .

فالثقة بالنفس شعار الحياة الإنجليزية ، بها نال الإنجليز أكبر مركز فى أوروبة بل فى العالم . ويجب ألا ننسى أن الرجل الإنجليزى يحب الحرية الشخصية فوق كل شىء ، ولقد قاتل فى سبيل تلك الحرية أكثر من ألف سنة. ويقول « ساند يفرد » فى موضع آخر « الرجل الإنجليزى هادئ من الجهة العقلية ، ولديه حب عميق للحرية . ولقد كانت هاتان الصفتان سببين فى اتخاذه سياسة البطء ، لا فى السياسة فحسب ، بل فى التعليم كذلك » .

والإنجليزى مولع بالألعاب الرياضية ، رابط الجأش ، كثير الصبر ، محب للإحسان ، قليل القول ، كثير العمل ، صريح فى قوله ، وفىٌّ بوعده . إذا سألته عن أمر أجابك بما فى نفسه ، فهو يقول ما يعتقد ، ويعتقد ما يقول . إذا عرفك وقت الرخاء فلن ينساك وقت الشدة ، لا يحب الملق ، ويكره المتكلفين ، يعرف ماله من حقوق ، وما عليه من واجبات ، وهو منعزل بطبيعته ، يحب العزلة والوحدة . لا يحادثك إلا إذا تعارف بك . وقد يكون هذا الانعزال ناشئا عن

الحياء والخجل ، وقد يفسر بعض العلماء حب العزلة بالصلف ، وما هو بالصلف ، ولكنه اعتزاز بالنفس ، وشعور بالكرامة . وإذا حادثك لا تخرج محادثته فى الغالب عن الجو . والجو لحسن الحظ كثير التغير والانقلاب بانجلترا ؛ فمن اعتدال فى الطقس إلى ضباب ، أو مطر ، أو برودة ، أو عواصف أو رعد و برق . وإذا زالت الكلفة ، وذهب الخجل تحادث معك فى أى موضوع كالخيالة والتمثيل ، والألعاب الرياضية ، والموضوعات الأدبية والسياسية والاجتماعية . وفى لندن منتديات لا يجوز للإنسان فيها أن يخاطب عضوا إلا إذا عرفه من قبل . ولا يسعنى إلا الاعتراف بأن الإنجليزى — وإن كان محبًّا للتريث والتمهل — مثل فى الأدب ، والتسامح ، وكرم الخلق ، ورقة العاطفة ، يتجنب الأمور الشخصية ؛ فلا يسألك عن مقدار ما يمنحك أبوك فى الشهر ، ولا عن مقدار ما تنفقه أو تدفعه للسكنى أسبوعيًّا — كما يسأل الفضوليون حينما يرونك أو يعرفونك أول مرة . ويميل الإنجليزى دائماً إلى التحفظ فى الجواب ؛ فلا يجيب إجابة الجازم المتحقق ، ولكنه يجعل للشك دخلاً فى كل ما يقوله ، ويجيب دائماً بكلمة « أظن ، أو ربما » ، بعكس الرجل الفرنسى فإنه يميل كثيراً إلى الجزم واليقين .

حب الانجليز للمحافظة على القديم :

الإنجليز معروفون بحبهم للمحافظة على القديم . وفى إنجلترا تندر العجلة فى تنفيذ نظرية من النظريات ، أو مشروع من المشروعات فى التربية والتعليم ؛ فبينما تحاول الولايات المتحدة بأمريكا تجربة طائفة كبيرة من طرق التعليم والنظريات الحديثة — وربما لا توافق على شىء منها بعد التجربة وعدم الاستحسان — تجد إنجلترا فى هذه الحالة مثلاً فى دور المناقشة والمناظرة فى طريقة واحدة من هذه الطرق ؛ لأن إنجلترا تخاف الخسارة وضياع الوقت ، أما الولايات المتحدة

فلا تبالى بما تفقده فى سبيل البحث والتجربة ، ولذا تجدها اليوم تقود العالم فى العلم والاختراع والصناعة ، ولقد ساعدها غناها على هذا التقدم والإقدام . فالمحافظة على القديم فى إنجلترا لها فوائد ، ولكن يجب ألا ننسى أن لها أيضاً كثيراً من المضار ؛ فانجلترا تميل إلى الوقوف عند حد ما ، وهى بطيئة فى الإصلاح ؛ لأنها لا تستفيد فى الحال مما يقدمه وما يظهره لها المفكرون والمصلحون من أبنائها . ولا تشجع الباحثين والمخترعين تشجيع الولايات المتحدة لهم . وإن ولع إنجلترا بالمحافظة على ما لديها يظهر جليا فى القوانين المختلفة للتربية التى وافق عليها مجلس النواب الإنجليزى ؛ فلا تجد مطلقاً حذف قانون من القوانين برمته واستبدال قانون آخر به ، بل تجد أن كل قانون هو تعديل للقانون السابق ، للتوفيق بينه و بين الرأى الجديد الذى يراد إدخاله . ولا يشك أحد فى أن التعليم بانجلترا يستفيد من أن قوانينها فى التربية ثابتة .

ومع ذلك قد حدث تغيير فى التعليم بانجلترا ؛ فمنذ سنة ١٩٠٠ ترى المحافظة على القديم أقل منها فى الزمن السابق . وفى الحق أن التغييرات الحديثة بانجلترا كثيرة وظاهرة لمن عرفها من قبل ، ورآها اليوم . ولا يشعر من الإنجليز بالفائدة الكبيرة من هذا التغيير إلا قليل منهم ، وكل ما تعرفه الأكثرية هو أن هناك شيئاً يجرى فى عالم التربية ، وأن الأمور تتغير بسرعة ، وهم يشعرون بالحيرة فى الابتداء وهم سكوت لا يتكلمون . ولا ننكر أن النزاع بين المحافظين والمجددين دائم لا ينقطع ، ولو أنه نزاع صامت .

الحرية الشخصية وخضوعها للمجتمع :

يظهر الميل الفطرى لحرية الفكر واستقلال الرأى فى أحوال كثيرة فى التعليم بانجلترا . وإن قوانين التربية مفتوحة للتغيير (البطىء) ؛ فحينما تُظهر التجارب

صواب الفكرة الجديدة ، ويرى معظم الناس فائدتها ، يتغلب الإنجليز على كراهتهم لها . فالحرية الشخصية تخضع دائماً للمجتمع ، حباً للمصلحة العامة ؛ فمثلا كان الذهاب إلى المدرسة اختيارياً يذهب إليها من يشاء من التلاميذ ، لكن لما تبين أن من المحال تعميم التعليم إذا ظل اختيارياً ، غُيِّرَ هذا النظام وجعل إجبارياً . وكان التفتيش الطبى على المدارس والتلاميذ اختيارياً ، ثم غير وجعل إلزامياً . وكان إعداد المدرسين اختيارياً أيضاً ، ثم ظهر أن المدرس لا يستطيع أن يقوم بمهنته كما ينبغى إلا إذا نال قسطاً من التربية ، وعرف طرق تدريس المواد ، فجعل إعداد المدرسين إجبارياً ، وعُدَّ من الواجبات لرقى التعليم . وهناك عشرات الأمثلة لأمور كانت اختيارية بانجلترا ثم أصبحت إجبارية يطالب بها القانون .

وفى إنجلترا تجد احتراماً كبيراً لحرية المدرس الشخصية ، وحرية كل مدرسة . وبعض المدارس الحرة لا تخضع لتفتيش الوزارة ، ولا تعترف بها الوزارة ؛ لأنها تخالفها فى مبادئها وآرائها . ولكن الكثير منها يخضع تدريجياً لامتحانات الوزارة وتفتيشها ورقابتها ، ويعترف بالفائدة من هذه الرقابة . ولا يمنع ذلك أن تحتفظ كل مدرسة بشخصيتها . وبعد أن كانت مدارس الخاصة[1] تظهر خوفاً من وزارة التربية زال هذا الخوف تدريجا ؛ حتى صارت هذه المدارس تدعو مفتشى الحكومة لزيارتها ؛ كى يروها ويثبتوا فى تقريرهم عنها إجادتها ، وحسن طريقتها فى التربية والتعليم . وإن مدرستى (إيتُون وهَارُو Eaton & Harrow) مثلا صارَتَا خاضعتين للتفتيش ، وهما من أحسن المدارس الإنجليزية ، يتعلم فيهما أبناء الأسر العالية . وعلى أكتاف من تخرج فيهما ، وفى مدرسة (سَاند هِرسْت) بنيت الإمبراطورية الإنجليزية . وهذه المدارس ستبقى فى الغالب مدارس

(١) Public Schools معناها الحرفى مدارس العامة ، ولكنها تطلق على مدارس الخاصة من قبيل استعمال اللفظ ضد مدلوله الأصلى .

للخاصة إلى الأبد ، ورؤساؤها يحبون دائماً أن يعرفوا آراء وزارة التربية فيها ، وفى الطرق التى تستخدمها فى التعليم .

ولدى المدرس الإنجليزى عموماً ، وناظر المدرسة خصوصاً حرية أكثر من الحرية التى تعطى المدرس أو الناظر فى أى قطر آخر ؛ فناظر المدرسة هو ربّان سفينته . وفى المدارس الثانوية تجد فى معظم الأحوال تعيين المدرسين وعزلهم بيديه . وفى كل مدرسة ابتدائية أو ثانوية يقوم الناظر مع مساعدة المدرسين بوضع المنهج ، وعمل جدول أوقات الدروس لمدرسته . وتقوم وزارة التربية بإبداء آرائها فى الأنواع المختلفة للتعليم كى يعمل بها . لكن إذا استطاع المدرس أن يقدم مشروعاً أحسن من مشروع الوزارة فإنه يُقبل من غير تردد . وإن تجربة الطرق الحديثة فى التربية ، والنظام ، وفى الإدارة المدرسية تجد تشجيعاً أدبيًّا وماليًّا من الوزارة . ويظهر أن إنجلترا تخاف شيئاً واحداً هو أن يكون التعليم على نسق واحد فى جميع أنحائها كما فى ألمانيا .

ولكننا لا ننكر أن هذه الحرية الكبيرة التى تعطى المدرسين والنظار قد تؤدى أحياناً إلى الضرر ؛ فليس كل معلم يصلح أن يوثق به كل الثقة . والمراقبة صعبة ؛ لأن من الصعب اختبار نتائج كل نوع من أنواع التعليم ، وتجربة كل طريقة من طرق التربية . وإن الإجادة التامة التى تنتج من الطريقة الألمانية فى التعليم يستحيل الحصول عليها فى المدارس الإنجليزية ؛ فالغرض الوحيد الذى ترمى إليه ألمانيا فى كل مدرسة من المدارس أو معمل من المعامل هو الإجادة والإتقان فى العمل . أما فى إنجلترا فليست الإجادة هى الغرض الذى يرمى إليه ، وإنما الغرض تكوين شخصية كاملة للفرد . ومع هذا فإن الإجادة تحدث من غير شك ، ولو أنها قد تكون خفية . ويظهر أن الرجل الإنجليزى العادى لا يثق بالإجادة الظاهرية ، وقد يحتقرها ، ولا يفكر إلا فى الحقائق . وهذا هو السبب فى أن الشعوب الأخرى تسىء الحكم على إنجلترا دائماً .

طريقة التعليم فى إنجلترا طريقة عملية

قلنا إن إنجلترا أمة عملية لا تدين بالنظريات ، كما أنها لا تميل إلى الإكثار من التجربة التى تميل إليها أمريكا ، ولكن إنجلترا لا تمتنع عن العمل بالنظريات التى يمكن تنفيذها ، والتى تؤدى إلى نتائج عملية . ولا ينكر أحد أن النظرية التى لا يمكن تنفيذها لا فائدة منها ، ولا خير فى العلم إذا لم يصحبه العمل . ولذا كانت طريقة التعليم فى إنجلترا طريقة عملية تلائم الأمور العملية التى تحتاج إليها ، وتلائم حاجات الشعب وحياته . ولا يمكن أن تفهم هذه الطريقة منفردة عن التاريخ القومى لهذه الأمة ؛ لأنها نتيجة الخلق القومى ، والحالة الشعبية . والمهم لدى الإنجليز الوصول إلى العمل بأى طريقة كانت ، من غير عناء كبير ، أو بحث طويل فى النظريات . وتاريخ التعليم الإنجليزى مملوء بالأمثلة الدالة على حب العمل ، وعدم الاكتراث للنظريات . يقول الدكتور «سِيريلْ نُوروُود» : «إن هذا قد أدى الناقدين إلى أن يقللوا من شأن قوانا المفكرة ، وأن يمثلونا بشعب يخاف عند ظهور فكرة جديدة . »

فمدارس إنجلترا إذاً مدارس عملية ذات قوة كبيرة ، وتأثير عظيم فى تهذيب الأخلاق وتقويمها ، وإعداد رجال مخلصين عمليين ، يثقون بأنفسهم ، ويشعرون بما يجب عليهم لغيرهم ، ولا يفرون من تحمل تبعة أى عمل يقومون به . هى مدارس تربى فى كل طفل الثقة بالنفس ؛ فيقول لك دائماً « سأحاولَ » إذا سألته : هل يستطيع أن يقوم بعمل من الأعمال ؟

وفى الحق أن المستوى العام للتعليم عال ، والفضل فى رقى مستوى التعليم الآن بانجلترا يرجع إلى جامعاتها وكلياتها ، وإلى المثل الأعلى الذى تدين به ، وهو التعلم حبًّا للتعلم ، حبًّا للعلم لا للأمور المادية . وإن نظرة عامة إلى التعليم فى إنجلترا سنة

١٨٢٨ والتعليم بها اليوم ؛ أى بعد قرن أو أكثر — وليس القرن بعمر طويل فى تكوين الأمم — تكفى لبيان مقدار ما قامت به وزارة التربية والتعليم بانجلترا من العمل الجليل ، فى نشر التعليم ، وتعميمه ، وتنويعه ، وترقية مستواه ، وفتح الباب أمام أبناء الفقراء ، وإعطائهم الفرصة فى الحياة ، وفى التعلم ؛ فالتلميذ الذكى ينتهى من التعليم الابتدائى وعمره أقل من إحدى عشرة سنة ، وإذا فاز فى امتحان المجانية لحق بمدرسة ثانوية ، وقد يحصل على جائزة أخرى للمجانية بعد انتهائه من التعليم الثانوى ، فيتم تعليمه بالجامعة ، فينال حظه من الحياة بقدر ما تسمح به مواهبه ومقدرته وكفايته . وبهذه الوسيلة لا يقبر ذكاء فرد من الأذكياء فى إنجلترا .

ولا غرابة، فإن وزارة التربية بانجلترا تشترط فى منح الإعانة لمدرسة ثانوية أو جامعة قبول تعليم نحو ٢٥ ٪ بالمجان ممن يحصلون على جائزة المجانية من فقراء التلاميذ . ومن هذا ترى أن الإعانة لا تعطاها المدرسة الثانوية عفواً ، بل نظير قيامها بتعليم عدد معين من الأذكياء من أبناء الطبقة الفقيرة . وإن الحكومة الإنجليزية التى كانت مقتنعة سنة ١٨٣٣ بأن مبلغ ٢٠ ألف جنيه يكفى لإعانة التعليم قد أنفقت عليه ٢٤ ألف ألف من الجنيهات فى سنة ١٩٢٤ ؛ فالمدارس والجامعات لا تستطيع القيام بجميع نفقات التعليم من أوقافها ودخلها من مصروفات الطلبة ، لذلك تقوم الحكومة بمساعدتها ماليًا . وإن العلاقة التى بين المدارس ووزارة التربية والتعليم بانجلترا لا تعارض حرية المدارس فى اتخاذ الطرق التى تريدها ، وهذه الحرية لا تعارض القوانين والنظم التى تضعها الحكومة وتراها صالحة لبلادها من جهة التعليم .

تشجيع التعليم بانجلترا

التعليم القومى الآن إجبارى عام فى إنجلترا ؛ فلا تجد فيها أميًّا لا يعرف القراءة والكتابة ؛ فالخادم تقرأ صحف الصباح والمساء كسيدتها من غير ما فرق . وإن الفقراء هناك يتعلمون فى مدارس الأطفال ، وفى المدارس الأولية أو الابتدائية ، وفى المدارس المركزية والتكميلية بالمجان ، من الخامسة إلى مابعد الرابعة عشرة . ويُسأل الآباء أمام القانون إذا لم يرسلوا أبناءهم وبناتهم إلى المدرسة حينما يبلغون الخامسة من العمر . والحكومة الإنجليزية بذلت وتبذل كل جهدها فى نشر الثقافة والعلم فى بلادها بكل الطرق والوسائل . ولا تجد أبواب المدارس مقفلة فى وجه أحد ؛ فإذا ادعى ناظر المدرسة الابتدائية أنه لايستطيع أن يقبل تلميذاً من التلاميذ لأن المدرسة مملوءة مثلاً ، كلف أن يقبل هذا التلميذ بأى وسيلة من الوسائل . وحينما يدخل التلميذ المدرسة يُفْحَص عن أسنانه ونظره وصحته طبيًّا ؛ فإن كان ضعيف النظر طولب القائم بأمره بشراء منظار له ؛ فإن كان فقيراً أمكنه الإتيان بمنظار بالمجان من إحدى الجماعات الخيرية التى تعطى ذلك الفقراء الضعاف النظر من التلاميذ . وإن كان لا يستطيع أن يرى أرسل إلى مدارس فاقدى البصر . وإن كان أصم أو أبكم أرسل إلى مدارس الصم والبكم ، وإن كان ضعيف الجسم أرسل إلى مدارس الهواء الطلق ، وإن كان ضعيف العقل أرسل إلى مدارس ذوى العاهات العقلية . وبهذه الوسيلة يجد كل فرد ما يناسبه من أنواع التعليم ، ولا يحرم أحد التعليم ، فهو حق من حقوق كل إنسان ، فكما أن من حقوق الإنسان الحياة فلا يجوز أن يعتدى على حياته أحد ، والملكية فلا يصح أن يتعرض لملكه أحد ، والحرية فلا يجوز أن يستعبده أحد ، كذلك من حقوقه التعليم ؛ بأن تقوم كل أمة بتعليم أبنائها الذين

ينتسبون إليها . فالتعليم للإنسان من ضروريات الحياة كالماء والغذاء والهواء .

رأت إنجلترا أن التعليم هو السبيل الوحيد للمحافظة على مستواها بين الأمم الراقية فى الحضارة والمدنية والصناعة والتجارة والزراعة ، فضحت فى سبيل ترقيته بكل ما فى استطاعتها من مال ومعونة ورأى و إرشاد وتشجيع — تشجيع المعلمين والمتعلمين — و بذلت كل ما أوتيت من قوة فى سبيل تنفيذه بالقانون ، وكانت النتيجة أن نسبة المتعلمين بها الآن ١٠٠٪ . ولقد مر عليها حين من الزمن كانت الحكومة فيه تقبض على الشبان الذين لم ينالوا قسطهم من التعليم — وهم متعطلون فى الطرقات — وتأخذهم إلى المدارس قسراً . فكنت تجد منذ سبعين سنة تقريباً فى الفصول الدراسية الأولى بالمدرسة تلاميذ من كبار الغلمان مع صغار الأطفال . كان المدرس فى ذلك الوقت يلاقى من الصعوبة ما لا طاقة له به . وكان معظم هؤلاء الأولاد من أبناء السبيل ؛ من المتشردين واللقطاء واللصوص الذين لم يروا شيئاً من التربية أو التهذيب من قبل . وفى المدرسة الأولية كان المعلم أحياناً يجد فى السنة الأولى أولاداً أكبر منه جسما . وكان من الصعب حفظ النظام فى الفصول ، ولكن بمضى بضع سنين (بعد سنة ١٨٧٠) قد تغلب المدرسون على هذه الصعوبة ، وصارت السنوات المدرسية فى مستوى واحد تقريباً ، هو مستوى السن فى الوقت الذى كان لا يعرف فيه المستوى العقلى أو الاختبارات العقلية . وكلنا نعلم أن كل أمر فى أوله صعب ، و ببذل المجهود ، ومضى الزمن ، يسهل كل صعب .

وكان « چون ستوارت مِل » (ولد فى لندن فى ٢٠ من مايو سنة ١٨٠٦ م. وتوفى فى ٨ من مايو ١٨٧٣ م .) من القائلين بجعل التعليم إجبارياً بمصروفات ؛ بأن يقوم الآباء بدفع جزء من نفقات تعليم أبنائهم بحيث يناسب حالهم المالية ؛ أى أنهم يساعدون ولو بالقليل من المال . ولكن إنجلترا رأت بالتجارب أن

هناك آباء لا يستطيعون أن يدفعوا شيئاً مطلقاً فى سبيل تعليم أولادهم لشدة فقرهم ، وأنه لا وسيلة لتعميم التعليم إلا جعله إجبارياً بالمجان . وقد رأينا سنة ١٩٣٠ [١] فى بعض المدارس الأولية المصرية القديمة فى الأرياف التى كان مجلس المديرية يكلف فيها التلاميذ دفع ٥٠ قرشاً فى السنة ، أنها نقصت ثلاثة أخماسها تقريباً ؛ فالمدرسة التى كان بها ٢٥٠ تلميذاً صار بها نحو مائة تلميذ ؛ لأن آباءهم فقراء لا يستطيعون دفع ٥٠ قرشاً فى السنة . وبجعل التعليم بالمجان بانجلترا صارت النتيجة ما نراه اليوم من إزالة الأمية ، وانتشار العلوم ، والبحوث العلمية ، والاختراعات ، والرقى الخلقى والعلمى والصحى والاجتماعى ، والرقى فى النظام ومستوى الحياة والمعيشة . ولم تكتف إنجلترا بالمجانية فى التعليم ، بل تقوم الآن بنفقات الغذاء لفقراء الأطفال ، وبنقل التلاميذ الريفيين الذين تبعد مساكنهم عن المدارس فى مراكب خاصة بهم من المنزل إلى المدرسة ، ومن المدرسة إلى المنزل .

الشعور العام نحو التعليم بعد الحرب العالمية الأولى :

إن الحرب العالمية الأولى قد نبهت الأمم فى أمريكا وأوربة إلى شعور جديد نحو التعليم ؛ فأخذت إنجلترا مثلا تفكر فى الوسائل التى بها تمد مدة التعليم ، ورحبت بقانون سنة ١٩١٨ لرفع مستوى الجيل الجديد فى التعليم والتهذيب . وإن وزارة المالية بانجلترا كانت تدفع سنة ١٩٣٠ أكثر مما كانت تدفعه سنة ١٩١٤ ثلاث مرات إعانة للتعليم ، واثقة بأن التعليم هو الوسيلة الوحدة للرقى ، وأنه كالماء والهواء لا غنى لأحد عنهما . ولا غرابة فالتعليم بانجلترا أمر يهتم به الشعب والحكومة والجهات المحلية معاً ؛ لأن الكل يشعر بفائدة التعليم وأثره فى رقى الأمم .

---

(١) قبل إلغاء التعليم الإلزامى المجانى فى مجالس المديريات بمصر .

وإن أكبر دليل على تقدير إنجلترا لفوائد التعليم أنه فى سنة ١٩٢٠ المتدخلة فى سنة ١٩٢١ رأت الحكومة الإنجليزية أنها مثقلة بالديون بعد الحرب ، وأن النفقات الضرورية كثيرة ، ففكرت فى اقتصاد بضعة (ملايين) من الجنيهات ، فلجأت إلى ميزانية التعليم لتنقصها شيئاً ما ، فكانت النتيجة الإخفاق ، لأنها قوبلت بمعارضة شديدة من جميع المفكرين من كل طبقة من الأمة الإنجليزية ، وكان الجواب : «اقتصدوا فى كل شىء ، ومن كل شىء ، إلا من مالية التعليم» . ومن هذا يتبين مقدار ثقة الشعب الإنجليزى بالتعليم وأثره ، واستعداده لتقديم أى تضحية فى سبيله .

نظرة الى التعليم بانجلترا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر :

إذا نظرنا إلى التعليم فى إنجلترا سنة ١٨٢٨ والتعليم بها اليوم وجدنا فرقاً كبيراً ، ونهضة عظيمة ، ورقيًّا ظاهراً فى التعليم ، ففى تلك السنة (١٨٢٨) كان مستوى التعليم فى جامعتى (أكسفورد وكيمبردج) أقل من مستواه اليوم . وكان المستوى العلمى للطلبة ضعيفاً ، وكانت طريقة الامتحان رديئة حتى إن « چيفرى » (Jeffrey) وسِدْنِى سِمِث (Sidney Smith) نقدا هاتين الجامعتين نقداً مرًّا فى (مجلة أدنبره) ، وصرحا بأن الجو هناك جو كسل وخمول ، وبأن (أكسفورد) أهملت العلوم الرياضية ، وعنيت باللغتين الإغريقية واللاتينية ، وأن (كيمبردج) التزمت كل ما هو مهمل ، والطلبة لم يفكروا فى تعلم شىء حديث ، ولم يضيفوا شيئاً جديداً للعلم . وكان الرأى العام عن مدارس الخاصة — وهى : (إيتُون ، وهَارُو ، ووِنْشِسْتَر ، ووِسْتمنِسْتَر ، وشْرُوسْبَرِى ، وكارْتَرْهَوْس ورَجْبِى) — رديئاً ؛ للإهمال فى الملاحظة ، ورداءة الطعام ، واستعمال الشدة من غير ضرورة ، وعدم المواظبة . وكان المنهج محدوداً . وكانت المواد تختار من

غير حكمة، وتعلم من غير علم كبير بها . وكان معظم أبناء الشعب يعلمون فى مدارس حرة تبلغ عدة آلاف مدرسة من كل نوع ، الحسن منها قليل ، والردىء كثير. وقد ابتدأ التعليم الأولى فى مدارس خيرية ، وتأسست جماعة لتحسين أحوال الفقراء سنة ١٧٩٦ . وفى سنة ١٨٠٣ م ، أنشئت جمعية الاتحاد لمدارس يوم الأحد . وفى سنة ١٨١١ كونت جماعة وطنية لترقية تعليم الفقراء على مبادئ الكنيسة . ولقد رأى بِلْ (Bell) وَلَانْكَاسْتَر (Lancaster) أن يستخدما طريقة العرفاء حتى تكون مصروفات التعليم قليلة .

وكانت مدة الحياة المدرسية من ١٨ شهراً إلى سنتين . وفى سنة ١٨٣٣ قرر مجلس العموم إعطاء إعانته الأولى لمساعدة التعليم الأولى . فما تقدم نرى أن التعليم بانجلترا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر كان فى دور التأخر ، ولكن الظلام يسبق النور . والظلام الحالك يسبق ضوء الفجر . وليس من العدل أن نصف سنة ١٨٢٨ بأنها سنة مظلمة ؛ ففى ذلك الحين أخذ الفجر ينبثق، فقد ظهرت كلية « أورِيل » (Orill College) التى تخرج فيها هؤلاء العظماء : نيومَان (Newman) ، وكِيبِل (Kebel) وأرْنُولْد ، وهُويتْلِي (Whately) . وفى سنة ١٨٢٧ أنشئت الكلية الجامعة بلندن [١] ، ثم أنشئت كلية الملك بلندن [٢] سنة ١٨٢٨ ، ثم جامعة ديرْهَام [٣] سنة ١٨٣١ . وهذه أول حركة فى الجامعات الإنجليزية ، وهى ابتداء النهضة التعليمية . ولقد تولى (أرنولْد) نظارة مدرسة رَجْبِي سنة ١٨٢٨ . وابتدأ الإصلاح ، وكثرت مدارس الخاصة ،

راجع الفصل الخاص بالجامعات فى إنجلترا من هذا الكتاب .

(١) University College, London (٢) King's College, London

(٣) Durham University

وتضاعفت مدارس العامة ، وأخذ (بِنْثَام) (Bentham) وأتباعه ينادون بتعميم التعليم ، وأخذ رُوبَرْت أوِن [١] يقول : « إن أحسن الحكومات تلك التى يكون لديها أحسن الطرق القومية فى التعليم . » واستمرت الإصلاحات إلى وقتنا هذا حتى صارت إنجلترا تعد من أرقى الأمم فى التعليم .

شكل (١) درس موسيقى فى الهواء الطلق

(١) Robert Owen

الفصل الثانى

نشر التعليم الأولى بانجلترا

قانون التعليم العام سنة ١٨٧٠ :

لم تنجح وزارة الأحرار بانجلترا سنة ١٨٣٩ ولا وزارة المحافظين سنة ١٨٤٣ فى حل مشكلة التعليم الأولى ؛ بسبب الصعوبات الدينية . وفى منتصف القرن التاسع عشر وضعت طريقة بها يتعلم نحو ٢٠٠٠٠٠٠ من الأطفال . وفى سنة ١٨٧٠ صدر قانون التعليم العام ، فملأ الفراغ الذى كان إذ ذاك ، وأزال النقص الظاهر وقتئذ فى التعليم ، وسوّى بين الجميع فى أن ينال كل فرد قسطه من التعليم الأولى ، فأعطى الكل حق المساواة فى فرصة التعلم ، وخوّل مجالس التعليم — « كمجالس المديريات لدينا » — الحق فى فرض ضريبة للتعليم ، وصار النجاح مُحَسًّا ؛ ففى ست سنوات تضاعف عدد المدارس ، وتحسنت المواظبة تحسناً كبيراً حتى أصبحت عادية .

وفى السنة التى جعل فيها التعليم إجباريًّا كان عدد الأطفال فى المدارس الأولية ١٤٠٠٠٠٠ . وفى سنة ١٨٩٢ بلغ العدد ٥٠٠٠٠٠٠ . واليوم لا تجد أثراً للأمية بانجلترا .

وهنا يجدر بنا أن نسأل : ما النتيجة التى حصلت عليها تلك الأمة من تعميم التعليم ؟ إن نظرة واحدة إلى عدد المجرمين قبل تعميم التعليم وبعده تبين بوضوح أثر التعليم فى الشعوب وفى النفوس ، وتدل على صدق كلمة (فيكتور هوجو) :

« من فتح مدرسة فقد أغلق سجناً » ؛ تلك الكلمة التى ينبغى أن تكتب بقلم من النور على باب كل مدرسة ، وفى كل ميدان عام . ففى سنة ١٨٧٧ كان عدد المسجونين بانجلترا ٢٠٨٠٠ ، ثم أخذ هذا العدد ينقص حتى صار فى سنة ١٨٩٤ (١٣٠٠٠) سجين ، وبذلك نقص الثلث . ويجب أن نتذكر أن عدد السكان كان فى ازدياد مستمر ، ومع ذلك كان عدد المسجونين فى نقص دائم بدلاً من أن يزيد بزيادة السكان . وهذا أثر من آثار التعليم . ولو لم ينشر التعليم لارتفعت نسبة السجناء بنسبة زيادة عدد السكان ، ولكان بالسجون ٢٨٠٠٠ سجين بدلا من ١٣٠٠٠ سنة ١٨٩٤ ، ولكان ما ينفق على الشرطة والسجون ٨٠٠٠٠٠٠ جنيه على الأقل بدلا من ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه . فالتعليم هو الوسيلة الوَحِدَةُ لإغلاق السجون ، والسبيل الوحيد لرقى الأفراد ، وهو سر عظمة الأمم . قال أفلاطون : « التعليم أفضل شىء يملكه خير الرجال » . وقال (مونتين)[١] : « الجهل مصدر الرذائل » . وقال فُلَر[٢] : « التعليم خير منحة يمكن أن تُمنَح » . فحياة الجهل حياة الموت ، والإنسان فى حاجة إلى العلم ؛ لأن العلم وسيلة الحياة . قال (شكسبير) : « العلم هو الجناح الذى نستطيع أن نطير به إلى السماء » . ولا نستطيع أن نذكر هنا أثر العلم فى الأفراد والأمم فذلك يحتاج إلى موضوع آخر .

طريقة التقدير بحسب النتائج :

وفى سنة ١٨٦٢ جربت طريقة « التقدير بحسب النتائج » (Payment by Results) فى التعليم ؛ فكان المفتش يختبر التلاميذ مرة فى السنة . وكان حظ المدرس يتوقف على نتيجة التلاميذ فى الامتحان . ومن مثالب هذه الطريقة : أنها تؤدى

(١) Montaigne (٢) Fuller

إلى التعليم الآلى ، وإلى الحفظ من غير فهم ، والتعليم للامتحان فحسب ، والنسيان بعد الامتحان ؛ فقد يستطيع المدرس أن يعرف الأبواب الهامة التى تأتى منها الامتحانات غالباً ، فيعنى بها كل العناية ، ويوجه نظر التلاميذ إليها ، ويضع لهم أسئلة فيها ، ويملى عليهم الإجابة عنها ، ويكلفهم حفظ الإجابة عن كل سؤال . فإذا ما أتى الامتحان أجابوا ونجحوا ، وكانت النتيجة ١٠٠٪ . ولكن هل هذا هو التعليم الحق ؟ كلا ! إنه تعليم سطحى ، ظاهره غير باطنه ، وباطنه غير ظاهره ؛ فالتلميذ فى الظاهر يعرف كل شىء ، وفى الواقع لا يعرف إلا بعض الشىء . كانت هذه الطريقة عقبة فى سبيل التفكير ، وفى سبيل التجربة ، وفى سبيل التربية العقلية ، فهى تقود المدرس إلى العناية بتحفيظ التلاميذ الأجوبة لا بتفهيمهم إياها .

وإن طريقة بها يستطيع أحد المفتشين أن يقول فى تقريره : « إن الحساب العقلى لصغار الأطفال يحتاج إلى كثير من العناية » طريقة محكوم عليها بالخطأ ؛ فصغار الأطفال لا يحتاجون إلى الحساب العقلى ، بل إلى أمور مُحسَّة يمكنهم إدراكها . ولقد تركت هذه الطريقة أثراً سيئاً فى المدارس الإنجليزية استمر أكثر من جيل .

وفى سنة ١٨٩١ كان التعليم المجانى ممكناً ، وفى السنوات العشر التالية كان حقيقة . وبقانون سنة ١٩٠٢ أصبح إنشاء المدارس الثانوية التى يقوم الأفراد بنفقاتها سهلاً ، وابتدأت العلاقة تنمو بين المدارس الأولية والمدارس الثانوية . وفى سنة ١٩٠٧ اشترط على المدارس الثانوية قبول نحو ٢٥ ٪ من تلاميذها بالمجان ، واختيارهم ممن يفوزون فى امتحان المجانية من تلاميذ المدارس الأولية ؛ كى يتسنى للمدرسة الثانوية أن تأخذ إعانة كاملة من الحكومة . وبهذا ترى أن الإعانة لا تنالها المدارس الثانوية عفواً بغير مقابل . وبهذه الطريقة يجد الأذكياء

من الفقراء الفرصة فى أن يتعلموا التعليم الثانوى بالمجان أيضاً ، فلا يقبر ذكاء طفل إنجليزى — كما ذكرنا من قبل — فالأذكياء فى إنجلترا يلتقطون كالزهرة ، ويوضعون فى المكان اللائق بهم ، وتفتح السبل فى وجوههم حتى تنتفع الأمة بهم . وبالمثل قد يحصلون على جائزة أخرى للمجانية بعد الانتهاء من التعليم الثانوى ، فيتممون تعليمهم بالجامعة . وهنا أضرب مثلاً باللورد « بركنهد » الذى كان من أكبر الوزراء العاملين فى وزارة المحافظين سنة ١٩٢٩ ؛ فإنه كان من أسرة فقيرة ، مات أبوه وهو طفل ، فعنيت والدته بتربيته وتربية إخوته بقدر ما استطاعت . عرفت تلك الأم فى ابنها الفذ نوراً لامعاً من الذكاء ، فتعهدته بالعناية وسارت به إلى الأمام . ذهب إلى (أكسفورد) ليمتحن امتحاناً يفوز الناجح فيه بالمجانية فى أكسفورد . ولم يكن معه إذ ذاك من النقود ما يكفى رجوعه إلى بلدته . ولقد نجح فى الامتحان ، ونال الجائزة الأولى التى كان يتوقف عليها مصيره ومستقبله . وتعلم فى أكسفورد مع أبناء الطبقة الخاصة من الأمة . وظهرت عليه علامات النبوغ والمقدرة الخطابية ، وقوة الحجة ، والتأثير فى السامعين بطريقة منطقية فى محفل انتخابات كان يحضره « يوسف تشمبرلين » أبو السير أوستن تشمبرلين ، فأعجب به كل الإعجاب ، وسأله أن يقابله بعد الانتهاء من حياته الجامعية . ثم قابله بعد سنين فعرض عليه أن يلحق بحزب المحافظين ، ففعل ، وثابر حتى وصل بعلمه وعمله إلى الدرجة التى كان يتمناها . ولو لم يعط « اللورد بركنهد » فرصة التعليم لقبر ذكاؤه حيًّا ، ولحرمت أمته ثمرات ذكائه وعبقريته .

قوانين الذهاب الى المدرسة :

كل طفل تثبت قدرته جسميًّا وعقليًّا يلزم الذهاب إلى المدرسة من الخامسة إلى الرابعة عشرة . ويجوز أن يُبقى الآباء أبناءهم فى المنزل لتعليمهم به إذا استطاعوا

أن يثبتوا لجمعية التعليم أن أبناءهم يتعلمون تعليماً كاملاً فى المنزل بمربين قادرين أكفاء . ويلحق ضعاف الأجسام بمدارس الهواء الطلق ؛ كى لا يحكم عليهم بالمكث طول اليوم المدرسى فى حجرة بين أربعة حيطان لا شمس فيها ولا هواء ، وصحتهم لا تساعد على ذلك ، وكى لا يحرموا التعليم . وبهذه الوسيلة يستفيدون عقليًا وجسميًا .

وتفتح المدارس الأولية أو الابتدائية ٤٢ أسبوعاً فى السنة . ويذهب التلاميذ إلى المدرسة خمسة أيام فى الأسبوع ؛ « لأن السبت والأحد عطلة عادة » ، فمجموع الأيام الدراسية فى السنة ٢١٠ أيام . وإذا كان اليوم المدرسى مقسما نصفين : قبل الظهر ، وبعد الظهر ، كانت مدة الدراسة فى السنة ٤٢٠ نصفاً . وللمدرسة الأولية الحق فى أخذ الإعانة الحكومية على من يواظب من التلاميذ بحيث لا يقل حضورهم عن ٤٠٠ نصف يوم فى السنة .

اليوم المدرسى :

إن زمن الدراسة فى اليوم خمس ساعات ونصف ساعة ، من ٩ صباحاً إلى ٣٠ – ٤ مساء ، وتتخلل ذلك فترة الغداء ، ومدتها ساعتان . وعلى هذا يقضى الطفل فى التعليم الأولى ٩ سنوات ، ونسبة المواظبة ٩٠ ٪ . ومن هذه النسبة والمدة نستنبط أن الأطفال فى إنجلترا يقضون وقتاً كبيراً فى المدارس الأولية أو الابتدائية .

ويسمح أيضاً للأطفال بالذهاب إلى قسم صغار الأطفال من سن ٣ إلى ٥ ، ولكن ذهابهم فى هذه السن غير إجبارى . وكان القائمون بأمر التعليم فى الماضى لا يشجعون ذهاب هؤلاء الصغار إلى المدرسة فى هذه السن ، أما اليوم فيستحسن المربون ذهابهم إلى مدرسة الأطفال ؛ ثقة بتلك المدرسة التى تراعى فيها عادةً

طبيعة الطفل ونفسيته وغرائزه وميوله، وفيها يُعنى بتربيته جسميًا وعقليا واجتماعيًا فهى من أجل ذلك أحسن للطفل من بيت فيه كثير غيره من إخوة وأخوات، وليس هناك إلا أم فقيرة، ليس لديها خادم، وتقوم وحدها بإدارة منزلها وتنظيفه وشراء الطعام و إعداده، وغسل الآنية وتجفيفها، وغسل الملابس وكيها. فأم كهذه ليس لديها من الوقت ما يسمح لها بالعناية التامة بمراعاة أبنائها كما ينبغى. فمدرسة الأطفال خير لهم من المكث فى بيت لا يجدون فيه كل العناية، وخير للأمهات لأنهن لا يستطعن القيام بواجباتهن نحو منازلهن وأولادهن فى وقت واحد.

الغرض من المدرسة الأولية أو الابتدائية

رأى أحد الإنجليز، ورأى فلاسفة اليونان من قبل، أن العقل السليم فى الجسم السليم. ولكن الإنجليز اليوم يرون أن يضيفوا إلى العقل السليم والجسم السليم: الخلق القويم، والشعور بالواجب. فالمدرسة الأولية أو الابتدائية لا تفكر فى تعليم المواد فحسب، بل تعمل على تربية العقل، والجسم، والخلق، وتهذيب الإرادة، وتقوية الملاحظة لدى كل فرد، وتعطيه الفرصة فى أن يستفيد من قوانين الطبيعة، و بقدر ما فيها من فن أو جمال، وتفهمه الحياة كما هى، وتشعره بواجبه نحو غيره، وواجبه نحو الله ونفسه وأمته، وتعده للحياة الكاملة. فللمدرسة أثر كبير فى تكوين الطفل لا ينقص عن أثر المنزل والأصدقاء وتجارب الحياة.

و إن المدرسة الإنجليزية تشعر بالواجب الملقى على عاتقها نحو التعليم، ونحو تحسين الأحوال الاجتماعية والصحية والخلقية، وتقوم به خير قيام. والمدرس الإنجليزى فى إنجلترا يستطيع بما له من نفوذ، و باجتهاده فى أن يكون المثل الأعلى الذى يصح الاقتداء به — أن يبث فى نفوس التلاميذ أحسن العادات من الجد،

والمثابرة على العمل ، وأداء والواجب ، وكتمان الشعور ، وإجلال كل نبيل والاستعداد للتضحية بالنفس ، والعمل للوصول إلى الحقيقة ، والشعور بالواجب ، والاستقامة . فالمدرس يعمل لتكوين أعضاء عاملين ينفعون المجتمع الذى يعيشون فيه بحيث تفخر بهم الأمة التى ينسبون إليها .

الفرق بين مدارس الشعب ومدارس الخاصة :

هناك فرق واضح بين مدارس الشعب — وهى المدارس الأولية — ومدارس الخاصة[1] (Public Schools) فى إنجلترا ؛ فالروح (الديمقراطية) التى تظهر فى مدارس الشعب بكندا والولايات المتحدة بأمريكا قلما ترى فى المدارس الإنجليزية . ومحال أن تسمح الفرص لطفل من أسرة شريفة أو متوسطة بأن يجلس جنباً لجنب مع ابن العامل على مقعد واحد من مقاعد المدرسة الأولية بانجلترا ، وهى المدرسة التى يعلم فيها أبناء الفقراء من الشعب بالمجان تعليماً إلزامياً ، فابن العامل يبتدئ تعليمه دائماً فى تلك المدرسة ، ولو أنه بطريق الجوائز — وما أكثرها فى إنجلترا — التى يحصل عليها بذكائه واجتهاده كثيراً ما يذهب إلى المدرسة الثانوية ، ثم الجامعة ، فيتعلم فيهما بالمجان بجانب أبناء الخاصة والأسر المتوسطة . وهذه هى الفرصة الوحدة التى فيها يجد ابن العامل نفسه مع ابن «اللورد» فى معهد واحد . أما الطفل الذى يولد والملعقة الفضية تنتظره (كما يعبر الإنجليز عن أبناء الخاصة) فيبتدئ تعليمه فى المنزل بمساعدة مرب خاص أو مربية ، أو فى مدرسة إعدادية وهو الغالب . ويستمر كذلك حتى يكبر إلى درجة يمكن فيها تحويله إلى مدرسة مثل إيتون ، وهارو ، ورجبى ، ووِنْشِسْتَر ووِسْتْمِنِسْتَر . وإنك تجد بين مدارس الجمهور مدارس حديثة ، وأخرى قديمة ؛ فالأولى صحية

(١) الحق أنها مدارس للخاصة وليست للعامة ، ولو أن الترجمة تفيد أنها مدارس للعامة . والتسمية من قبيل الأضداد .

بناؤها حديث ، والثانية لم يعن فيها غالباً بكل الوسائل الصحية الحديثة . ومعظم هذه المدارس الدينية القديمة المبنية بجانب الكنائس يتعلم فيها التلاميذ التعليم الدينى صباحاً بمدرس أو معلم من الكنيسة ، ويتعلمون بقية العلوم بعد التعليم الدينى . ولا أبالغ إذا قلت إن من المدارس التى رأيتها مدرسة حجرها يتصل بعضها ببعض ؛ فإذا أردت دخول حجرة فقد تضطر إلى الوصول إليها من حجرة أخرى ، فتزعج المدرسين والتلاميذ ، وتقطع عليهم سلسلة تفكيرهم . وقد تجد الحجرة الواحدة منقسمة فصلين ؛ بوضع ستارة أو حاجز من النسيج بينهما . والإنجليز يعنون حقاً بتثقيف العقول أكثر من العناية بمظهر البناء ، وغرضهم الوحيد أن يجد كل طفل الفرصة فى التعليم ؛ للوصول إلى الكمال تدريجياً . ولو كان الجو فى إنجلترا مثل الجو فى مصر من شمس جميلة ، وسماء صافية لعلم الإنجليز أبناءهم فى خيمات فى الهواء الطلق معظم أيام السنة .

والمدرسون فى هذه المدارس الأولية أو الابتدائية يدرسون من الساعة التاسعة صباحا إلى منتصف الساعة الخامسة بعد الظهر كما ذكرنا ، تتخلل ذلك مدة الغداء وهى ساعتان . ويقوم كل مدرس بأخذ فصل من الفصول فى جميع المواد . وفى الفصل أحياناً سنتان دراسيتان معاً كالسنتين الأولى والثانية ؛ فإذا كان فى المدرسة ثمانية فصول كان بها ثمانية من المدرسين . ويقوم ناظر المدرسة الصغيرة بالتدريس لأحد الفصول كما بينا فى الفصل السابق . ويعمل الناظر لنشر التعليم الحق والتهذيب فى مدرسته ، ويعرف كل تلميذ علمياً وخلقياً وصحياً . وبالصلة الحسنة التى بين المدرسة والمنزل يستطيع إصلاح جميع التلاميذ . وثقة الآباء بالمدرسة كبيرة لاحدَّ لها . وكثيراً ما يستشير الآباء والأمهات ناظرَ المدرسة فيما يتعلق بأبنائهم وبناتهم . ولا يجد أولياء أمور التلاميذ صعوبة مطلقاً فى مقابلة ناظر المدرسة . ولا مبالغة إذا قلت إن ناظر المدرسة فى إنجلترا يعرف الأحوال المحيطة بكل تلميذ ، ويعرف الأقوياء والضعفاء

فى كل فصل ، والأسباب التى أدت إلى ضعف بعضهم ، ويعنى بالضعفاء عناية خاصة ، بمساعدتهم فى أوقات معينة حتى يتقدموا مع إخوانهم ، ولا يخفى عليه شىء يتعلق بالمدرسة .

أنواع المدارس الأولية[1]

بانجلترا عدة أنواع للمدارس الأولية أو الابتدائية وهى :

المدارس الأولية العادية ، ومدارس العمى وضعاف النظر ، ومدارس الصم والبكم وذوى العاهات العقلية ، وذوى العاهات الجسمية ، والمصروعين . وكلها تعد أولية فى نظر الوزارة . وسنكتفى هنا بالتكلم عن المدارس الأولية العادية التى كان عددها ٢٠٩٥٣ مدرسة قبل سنة ١٩٢٠ ، وتلاميذها ٦٩٩٠٠٤٩ . (وهذه غير الأنواع الأخرى السابقة من المدارس الأولية) . وبها من المدرسين ٢٠٠ ألف مدرس ، ثلاثة أرباعهم من المعلمات ، ولا يقل ما تنفقه إنجلترا على التعليم الأولى (من مرتبات مدرسية ، وإدارة وبناء ، وأدوات) عن ٧٢ ألفاً من الجنيهات .

ولا عجب فالإنجليز يقدرون التعليم حق قدره ، وهو أمر حيوى فى نظر الشعب ونظر الآباء الآن ، وقد علّمت الحرب العالمية الثانية الشعب الإنجليزى كيف تشتد رغبته فى العلم ، حتى وضعت الحكومة الإنجليزية سنة ١٩٤٤ أضخم مشروع للتعليم فى انجلترا .

نظام المدارس الأولية :

إن نظام المدارس الأولية معقد بعض التعقيد ؛ فنى كل مدرسة قسم خاص بتعليم الأطفال الصغار من (٥ — ٧ سنوات) ، وقسم آخر لمن يزيد على

(١) المدارس الأولية والابتدائية سيان الآن .

(شكل ٢) المدرسة روضة لتربية الأطفال تربية حقة

٧ سنين من البنين أو البنات . ويختلف القسم الثانى باختلاف التلاميذ ، و باختلاف المبانى المدرسية. ولا تخرج المدارس الأولية العادية عن الأنواع الآتية :

النوع الأول : — قسم أطفال من (٥ — ٧) ، ثم قسم بنين و بنات معاً من (٨ — ١٤) .

النوع الثانى: — قسم أطفال من (٥ — ٧) ، ثم قسم بنين فقط من (٨ — ١٤) ، أو قسم بنات فقط من (٨ — ١٤) .

النوع الثالث : — قسم أطفال من (٥ — ٧) ، ثم قسم بنين وبنات معاً من (٧ — ١٠) ، ثم قسم بنين وبنات معاً من (١١ — ١٤) .

النوع الرابع: — قسم أطفال من (٥ — ٧) ، ثم قسم لصغار البنين والبنات معاً من (٧ — ١٠) ، ثم ثالث للبنين فقط من (١١ — ١٤) ، ورابع للبنات ليس غير من (١١ — ١٤) .

وهناك مناقشات طويلة دارت حول أى الأنواع الأربعة السابقة أحسن فى التعليم عمليًا وإداريًا . والحق أن لكل فرع منها أنصاراً يعضدونه بقلوبهم ، ويؤيدونه ببراهينهم . والظاهر أن النوع الرابع أحسن الأنواع ، وينتج أحسن النتائج ، ولكن لايمكن إيجاده إلا فى المدارس الكبيرة ، الواسعة الأرجاء ، التى تبنى لهذا الغرض خاصة ، بحيث يرسم فى بنائها قسم خاص بصغار الأطفال من (٥ — ٧) ، وآخر للبنين والبنات معاً من (٧ — ١٠) ، وثالث لكبار التلاميذ خاصة من (١١ — ١٤) ، ورابع لكبريات التلميذات خاصة من (١١ — ١٤) . وأما النوع الثانى من المدارس الأولية وهو الجمع بين الأطفال الذين من (٥ — ٧) فقط ثم عزل البنين من (٨ — ١٤) وعزل البنات من (٨ — ١٤) كذلك فتستحسنه وزارة التربية وتشجعه ، على حين لا تستحسن النوع الثالث من المدارس وهو تقسيم المدرسة إلى ثلاثة أقسام : —

(١) قسم للأطفال من (٥ — ٧) .

(٢) قسم لصغار التلاميذ والتلميذات معاً من (٧ — ١٠) .

(٣) قسم للكبار معاً من (١١ — ١٤) .

ويحتاج كل نوع من الأنواع السابقة للمدارس الأولية فى إدارة أقسامه المختلفة إلى عناية كبيرة . وإن المعلمين لكبار التلاميذ يلقون التبعة واللوم من أجل رداءة الأعمال التى يقوم بها تلاميذهم على عدم جودة التعليم فى الأقسام الخاصة بصغار التلاميذ . وكل قسم فى المدرسة الأولية يقوم بملاحظته مدرس أول . ويقوم الناظر بإدارة جميع أقسام المدرسة . وهذا النظام متبع فى بعض مدارس انجلترا ، وفى كل مدارس الولايات المتحدة وكندا ، وهو نظام حسن . وفى قسم الأطفال بالمدرسة الأولية فصلان أو ثلاثة لصغار الأطفال ، أما بقية المدرسة فبها سبع سنوات دراسية . وكثيراً ما تكون هناك سنة سابعة مُعيدة للتلاميذ المعيدين .

ويقضى التلميذ المتوسط عادة عاماً فى كل سنة دراسية ، وكثيراً ما ينتهى الأذكياء من التلاميذ من دروس السنة المدرسية فى أقل من سنة ، فينقلهم ناظر المدرسة إلى السنة التالية . وكثيراً ما يحدث أن الأطفال يصلون إلى السنة الأخيرة وعمرهم ١١ أو ١٢ سنة . وفى بعض المدارس تقسم كل سنة إلى فصول متقاربة فى القوى : فصل (ا) وفصل (ب) وفصل (ح) والأول للأذكياء ، والثانى للمتوسطين ، والثالث للضعفاء . ولا يشعر التلاميذ طبعاً بالغرض من هذا التقسيم .

المبانى المدرسية والملاعب : —

لم تتقدم أوروبة فى نوع من المبانى المدرسية تقدم الولايات المتحدة التى تفخر بمدارسها العظيمة ؛ ولكننا لانسى أن المدرسة الريفية الإنجليزية أحسن كثيراً من المدرسة الريفية الأمريكية ذات المدرس الواحد . فهذا النوع لا وجود له الآن بانجلترا . وأهم ميزة تمتاز بها المدارس الإنجليزية ملاعبها المدرسية المتسعة الكبيرة المنتظمة . وتقوم الوزارة بملاحظة المبانى المدرسية والأدوات ، والمقاعد والقماطر والسبورات . . الخ .

وينص القانون على أن الإعانات المدرسية لا تمنح إلا بالشروط الآتية وهى : —

(١) أن تكون المبانى المدرسية صحية ، آمنة فى حال الحريق .

(٢) أن تكون دورة المياه فى المدرسة صحية .

(٣) أن يكون بها حجرة يخلع فيها التلاميذ والمدرسون معاطفهم ، ويغيرون فيها أحذيتهم عند الضرورة .

(٤) أن يكون فيها الضوء الكافى ووسائل التدفئة والتهوية والنظافة .

(٥) ألا يكون فيها خلل فى البناء .

(٦) أن تكون كافية لتعليم الأطفال المقيدين بها .

(٧) أن تكون إدارتها منظمة كما ينبغى .

والمدارس الجديدة التى تفتح يراعى قبل الموافقة عليها شرط ثامن وهو : أن يكون بالمدرسة ملعب لا يقل عن ألفى قدم مربعة إذا كان بالمدرسة أقل من ٢٠٠ طفل ، بحيث يخص كل تلميذ كبير ١٠ أقدام مربعة ، وكل طفل صغير ٦ أقدام مربعة . أما المدارس التى بها ٢٠٠ تلميذ أو أكثر فيراعى فى ملاعبها أن يكون فيها عشرون قدما مربعة للتلميذ الكبير ، و١٦ قدما مربعة للطفل الصغير .

منهاج المدارس الأولية أو الابتدائية

وجدول الدروس بها

فى أوائل القرن التاسع عشر كان التعليم فى تلك المدارس مقصوراً على ثلاث مواد وهى : —

القراءة والكتابة والحساب « The Three R's » .(١)

أما اليوم فوزارة التربية بانجلترا تطالب فى قانون نظام التعليم الأولى باختيار منهج الدراسة من المواد الآتية : —

(اللغة الإنجليزية ، والحساب ، والجغرافية ، والتاريخ ، والرسم ، والخط ، ودروس مشاهدة الطبيعة ، والغناء ، وقانون الصحة ، والرياضة البدنية ، والتدبير المنزلى (للبنات) ، والأشغال اليدوية ، وفلاحة البساتين ، ودروس الدين والأخلاق ، وصناعة الألبان) . غير أن الوزارة لا تطلب أن يشمل المنهج كل هذه المواد ؛ فالقانون ينص على أنه « ليس من الواجب تعلم كل المواد السابقة

(١) Reading, writing, & arithmatic.

فى مدرسة أو فصل » . ويجوز أن يختلف المنهج على العموم ، بشرط « أن تقتنع الوزارة بأن التغيير فيه ناشئ عن حاجة التلاميذ ، أو حاجة المدرسة ، أو أنه عمل بقصد التجربة » . فنظار المدارس الابتدائية يتمتعون بحرية كبيرة فى تحديد المناهج فى مدارسهم . وتعد المدرسة المقياس الذى يجب أن يفكر فيه الناظر عند وضع المنهج . والنظار هناك أكفاء يستحقون كل ثقة .

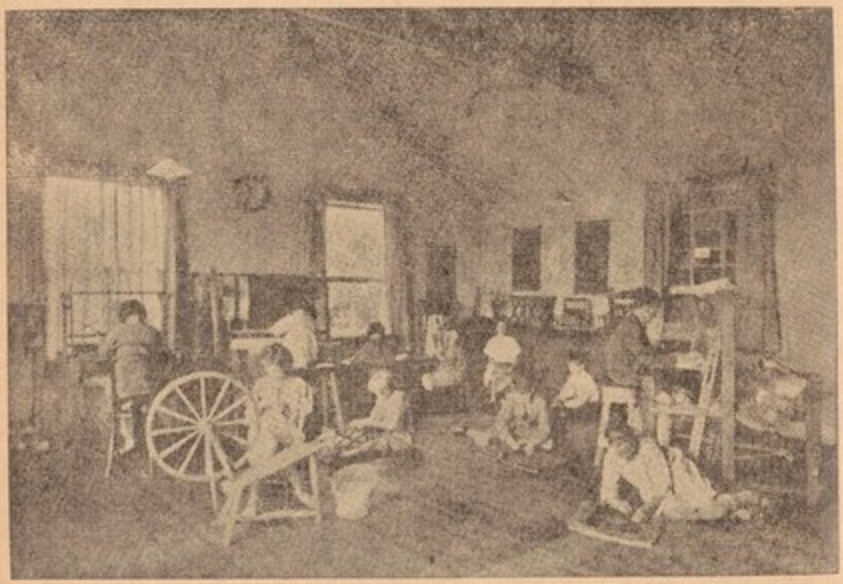

(شكل ٣) فى المدرسة الابتدائية يتعلم التلاميذ نسج الثياب

ونظريا هناك من المناهج بقدر ما هنالك من المدارس ، وعمليًا هناك مقاييس معينة ، ومستوى معين للدراسة ، ولو أن هناك اختلافات كبيرة فى المناهج .

ويراعى التنويع فى المنهج وفقًا لما تقتضيه البيئة المدرسية . وبذلك يلائم التعليم حاجة الجهة التى بها المدرسة من زراعة ، أو صناعة ، أو تجارة ، أو ملاحة. ومن حيث إن ناظر المدرسة هو الذى يضع ويحدد بالتفصيل مناهج مدرسته ، ويقوم بعمل جدول أوقات الدروس فيها على أن يوافق المفتش المختص على ما قام به الناظر من عمل ، فاختيار ناظر المدرسة يتوقف على معلوماته وتجاربه فى

التعليم ، وعلى مقدرته وكفايته وشخصيته . وليس المنهاج والجدول كل شيء ، بل المهم الروح الذى ينفذهما ، روح الحق ، روح الإخلاص، روح التعاون بين الناظر والمدرسين ، والتعاون بينهم وبين التلاميذ . وقد يستطيع الناظر أن يقنع المفتش بحسن مشروعه . ومع هذا قد يكون روح المدرسة روحاً سيئاً ، ويكون التعليم فيها غير ناجح ؛ لإهمال ؛ أو ضعف ، أو تقصير ، أو لعدم التعاون والإخلاص ، أو للخطأ فى الطريقة المستعملة فى التعليم . . . الخ .

وفى انجلترا ربما لا تتبادل الآراء بين مدرس وآخر ، أو مدرسة وأخرى. وقد تكون هناك مئات من التجارب فى التعليم فى جهات مختلفة ، ولكنها لا تتعدى المكان الذى جربت فيه . ولا علاج لذلك إلا النشر والإعلانات الشائعة فى أمريكا . وفى المدينة الإنجليزية الواحدة ربما لا تشاهد طريقة واحدة فى التعليم ، بعكس ما فى الولايات المتحدة بأمريكا من اتحاد الطريقة فى مدارس المدينة الواحدة . ولا يستطيع الإنسان أن يحكم حكماً عاما على العمل بالتفصيل فى المدرسة الإنجليزية بحيث يشمل كل شيء فيها ؛ فالأمر يتوقف على رئيس المدرسة ومعلميها الذين يستطيعون أن يغيروا روح العمل فى مدرستهم بما أوتوا من إخلاص ، ونشاط ، ومقدرة ، وتعاون على نجاح المدرسة وترقية مستواها .

ومقدار ساعات الدراسة فى الأسبوع بالمدرسة الابتدائية ٢٧½ ساعة [١] . وتقسم على المواد بطرق مختلفة ؛ فمثلا فى مذكرة التعليم بلندن سنة ١٩٢٧ قد ذكر الجدول الآتى لسنة من السنوات النهائية فى مدرسة بلندن : —

(١) قلنا سابقاً إن أيام الدراسة فى الأسبوع خمسة ، ومدة الدراسة فى اليوم خمس ساعات ونصف ساعة . فالمدة فى الأسبوع ٢٧½ ساعة .

ساعات الدراسة فى الأسبوع :

ساعة	
٢ ١/٢	تعليم دينى .
١٠	لغة إنجليزية (مطالعة و إنشاء) — وحساب .
٥	تاريخ وجغرافية وغناء ورقص .
٥ ١/٢	علوم وأعمال يدوية (وهى أشغال الإبرة والتدبير المنزلى للبنات ، والنجارة ، والأشغال المعدنية للبنين) .
١ ١/٢	تربية بدنية .
٣	فترات راحة وتقييد أسماء . . . . الخ .
٢٧ ١/٢	مجموع الساعات فى الأسبوع .

ويؤخذ التلاميذ مرة فى الأسبوع بعد الظهر للاشتراك فى ألعاب منظمة فى ملعب عام بالمدينة ، فينتفعون كل الانتفاع بهذه الألعاب . وفى المدن التى بها حمامات للسباحة مثل منشستر ، وإكْستر ، وليڤربول ، وبرادفورد يشمل المنهج السباحة ، ويتعلمها كل تلميذ تقريباً فى أثناء وجوده بالمدرسة .

وفى كثير من المدارس الأولية يقسم الوقت على المواد بإحدى الطريقتين الآتيتين : —

ساعات الدراسة فى الأسبوع		المواد فى الأسبوع
طريقة (ا)	طريقة (ب)	
ساعة	ساعة	
٣ ١/٢	٣	تربية بدنية وألعاب مدرسية منظمة .
١٠	٩	اللغة الإنجليزية بجميع فروعها .
١ ١/٢	٣ ١/٢	تعليم دينى .
٣	٢ ١/٢	تاريخ وجغرافية .
٥	٤ ١/٢	حساب ومبادئ علوم .
٣	٤	علوم وفنون (وتشمل الأعمال اليدوية) .
١	١	راحة وتقييد أسماء . . . الخ
٢٧	٢٧ ١/٢	المجموع .

وكل ما يمكننا أن نقوله هو أن المبادئ الهامة فى التعليم تراعى فى المدرسة الإنجليزية ؛ فمثلا أدرك أولو الأمر منزلة اليد والعين فى التربية ؛ فاهتموا بالنجارة والأشغال اليدوية ، والفنون الجميلة . أما الرياضة البدنية فقد نظمت وفقا للعلم الحديث حتى صارت المدارس الإنجليزية تفوق غيرها فى الألعاب والرياضة البدنية فى الهواء الطلق . وأما أشغال الإبرة فليست الآن مقصورة على عمل نموذج واحد طول السنة . ويقلل المربون من تعليم القواعد أو أجرومية اللغة الإنجليزية ، ويشجعون التلاميذ على كثرة القراءة والاطلاع والاستعارة من مكتبة المدرسة ، أو من المكتبة المتنقلة [1] فى الريف ، أو من المكتبة العامة فى المدن ، فيبثون فى نفوس التلاميذ من الصغر حب القراءة

(١) سنتكلم بالتفصيل عن المكتبات المدرسية والمتنقلة فى هذا الفصل .

ولا غرابة إذا كثر فى انجلترا العلماء والكتاب ، والمؤلفون والقراء ، والبحاثون والفنيون . وهناك يعرف الناس كيف يستفيدون من أوقات فراغهم فى القراءة أو الكتابة ، أو التصوير ، أو فى الرياضة ، أو الرحلة ، أو فى تقدير ما فى الطبيعة من جمال وفن وذوق .

(شكل ٤) التلاميذ يتعلمون فى الهواء الطلق

ترتيب التلاميذ ونقلهم من سنة الى أخرى .

فى المدرسة الأولية سبع سنوات أو ثمان للدراسة . ويقضى التلميذ المتوسط عاماً فى السنة الدراسية ، ويرتب التلاميذ فى فصولهم ترتيباً علمياً يراعى فيه السن والعمر العقلى والعمر الدراسى معاً . وبهذه الوسيلة يجد كل طفل نفسه فى المستوى الذى يناسبه . ومنذ صدور القوانين الخاصة بتعليم ذوى العاهات العقلية والجسمية — تلك القوانين التى تجعل التفتيش الطبى إجبارياً فى جميع المدارس — قد نقل ذوو العاهات من المدارس العادية إلى مدارس أو فصول

خاصة بهم ، تناسب حالهم الجسمية أو العقلية . فكل طفل من الأطفال يجد التعليم الذى يصلح له ، ويوضع فى المدرسة التى يستطيع الاستفادة منها . وتتبع إحدى الطرق الآتية فى نقل التلميذ من سنة إلى أخرى : —

(١) ينقل الأذكياء من التلاميذ مرتين فى السنة ؛ لأن التلميذ الذكى قد ينتهى من المنهج فى نصف السنة ، فلا يعطل إلى آخر السنة ، بل ينقل إلى سنة أخرى ، ويجنى ثمرة ذكائه ؛ كى يستطيع أن يتقدم لامتحان المجانية فى المدارس الثانوية وعمره عشر سنوات أو أقل أحياناً .[1]

(٢) أو يسمح للتلاميذ بأخذ مقرر سنتين فى سنة مثلا فيقفزون سنة . فإذا كانوا فى السنة الثانية انتقلوا منها إلى الرابعة وتركوا الثالثة . وهذه الطريقة ممكنة فى كل المدارس .

(٣) وحينما تكون المدارس كبيرة يمكن استعمال طريقة أخرى وهى تقسيم كل سنة دراسية إلى ثلاثة أقسام : ا ، ب ، حـ تقسيماً علميا ؛ بحيث تكون فصول (ا) خاصة بالأذكياء المتقدمين ، وفصول (ب) بالأغبياء المتأخرين . وفصول (حـ) بالمتوسطين . وتنقل فصول (ا) من سنة إلى أخرى كلما انتهت من المنهج المقرر عليها ، وكذلك فصول (ب) . أما المتوسطون فيقضون عاما فى كل سنة دراسية . ويجب ألا يشعر الأطفال بالغرض من هذا التقسيم .

(٤) وقد يكون النقل بقدر عدد الأمكنة الخالية فى السنة التالية ، ولكن هذه الطريقة آلية وغير علمية ، وإن وزارة التربية والتعليم فى انجلترا تترك أمر نقل التلاميذ لنظار المدارس ، ولم تضع طريقة خاصة أو نظاماً معيناً للنقل . ويعتمد ناظر المدرسة فى نقل تلاميذ مدرسته على ما يضعه لهم من الامتحان ، وعلى تقريرات مدرسى الفصول عن كل تلميذ لديهم . والثقة هناك بالمدرسين

(١) امتحان المسابقة للمجانية فى المدارس الثانوية خاص بمن لا يزيد عمره على ١٢ سنة .

والنظار كبيرة ، وهم أمناء فى أعمالهم يستحقون كل هذه الثقة . والامتحان كتابى فى القراءة والكتابة والحساب ، وشفوى فى بقية المواد . ومن الصعب على من يدفع المصروفات من التلاميذ الدخول بمدرسة ثانوية إذا زاد عمره على ١٣ سنة . ولهذا يجب أن يصل كثير من التلاميذ إلى السنة السادسة أو السابعة بالمدرسة الابتدائية — حيث يحصل امتحان المسابقة أو الجائزة — وعمرهم ١٣ سنة على الأكثر ؛ ومعنى ذلك أنه يجب نقل الأذكياء أكثر من مرة فى السنة ؛ كى ينتهوا من الدراسة الأولية أو الابتدائية قبل هذه السن .

ولا عجب إذا انتهى الذكى من التعليم الابتدائى قبل العاشرة أحياناً ؛ ففرصة التعليم متوافرة من الصغر لدى كل طفل .

أما الطفل الغبى فقد يمكث أكثر من عام فى السنة الدراسية . وينقل المتوسط ومن لم يحصل على جائزة من الأذكياء إلى المدارس المركزية والتكميلية لإتمام التعليم فيها . وقد يضطر بعض التلاميذ إلى البقاء فى المدرسة الأولية وإعادة دروس السنة الأخيرة مرتين أو ثلاثاً فيمل التكرار . وهذا عيب من العيوب التى تؤخذ على ذلك النظام فى التعليم . والعلاج هو تطويل منهج السنتين الأخيرتين ؛ ليجد التلميذ المتروك فى المدرسة شيئاً جديداً ، ولا يضيع عليه وقته .

المنهج فى مدارس رياض الأطفال

يشمل المنهج فى مدارس رياض الأطفال : الرسم ، وعمل النماذج من الصلصال ، وبعض الأشغال اليدوية والألعاب ، والغناء ، ومقداراً لا بأس به من الحساب ، واللغة الإنجليزية بما فيها من قراءة وكتابة . ويسبق الطفل فى انجلترا الطفل الأوروبى ؛ فيبدأ التعلم قبله بسنة . ولمدارس رياض الأطفال شعار خاص فى

التعليم هو إعطاء الطفل حرية كبيرة ، والعمل لتربية شخصيته ، والتفكير فيه قبل أى شىء آخر ، فلا يعنف إذا تحرك من مكانه ، بل تراه يتحرك إذا شاء ، ولا يحكم عليه بالجلوس مكتوف اليدين طول النهار ، ولا يصغى مجرد إصغاء ، بل عمله أكثر من إصغائه . لذلك تجد الطفل فى الروضة يشعر بالسعادة ، ويعيش فى عالم هو عالم الطفولة ؛ عالم الحركة ، واللعب ، والنشاط ، والعمل ، والغناء ، والسرور ، وتلوح على وجهه كل سعادة وهناءة .

عدد التلاميذ فى الفصول

فى الماضى القريب كان الآباء لا يكترثون للتعليم ، وكان فى بعض الفصول ٨٠ أو ٩٠ تلميذاً ، ولكن قانون التعليم الحالى ينص على « أن المدرسة التى بها ١٠٠ تلميذ يجب أن يكون فيها حجرتان للدراسة على الأقل ، وألا يأخذ المعلم فصلا يزيد على ٦٠ تلميذاً . وفى انجلترا وغيرها حركة كبيرة بين المربين ترمى إلى تقليل عدد التلاميذ فى الفصول ؛ بحيث لا يزيد العدد فى مدارس رياض الأطفال على ٤٠ تلميذاً فى الفصل ، ولا يزيد فى المدارس الأولية أى الابتدائية على ٤٨ تلميذاً . وبهذه الوسيلة يمكن تحسين طرق التعليم ، ورفع مستواه ، ويستطيع المدرس مساعدة كل تلميذ على حدة ، وفى اعتقادنا أن العدد يجب ألا يزيد على ثلاثين تلميذاً فى رياض الأطفال ، والمدارس الابتدائية والثانوية بأى حال من الأحوال .

ويرى الدكتور سَادْلر (Dr. Sadler) أن هذه الفكرة هى الخطوة الأولى فى إصلاح التعليم . ولكل نوع من المعلمين بالمدارس الأولية عدد معين من التلاميذ ؛ فمثلا :

نوع المدرس	متوسط عدد التلاميذ لكل نوع
الناظر	٣٥ تلميذا
المدرس المساعد الحاصل على شهادة	٦٠ تلميذا
المعلم المساعد غير الحاصل على شهادة	٣٥ تلميذا
المعلم من الطلبة : (العريف)	٢٠ تلميذا
المعلمة الإضافية	٢٠ تلميذا

وينص القانون على أنه يجب أن يكون فى المدرسة مدرس حاصل على شهادة فنية من الوزارة لكل ٨٠ تلميذاً ؛ فإذا كان بالمدرسة ٣٢٠ تلميذ وجب أن يكون فيها من المدرسين الحاصلين على شهادات فنية أربعة منهم على الأقل . أما الباقون فيجوز أن يكونوا من غير حاملى الشهادات من ذوى الخبرة . هذا وعدد التلاميذ فى الفصول فى نقص مستمر . وفى سنة ١٩١٤ كان متوسط عدد التلاميذ لكل مدرس فى انجلترا ٨ و٣٥ .

ونسبة التلاميذ فى المدارس المدنية أكبر منها فى المدارس الريفية ؛ لأن عدد السكان فى المدن أكثر من عدد السكان فى الأرياف .

وفيما مضى كانت الفصول مملوءة بالتلاميذ ؛ لأن دراسة عقول الأطفال كانت مهملة ، وكنت لا تجد فى المدرسة إلا النظام الآلى المبنى على العقاب والإرهاب . أما الآن فالمدارس الأولية تقوم بقسط كبير جدا من التعليم والتربية والتهذيب ، وتعمل على تقويم لغة الكتابة والمحادثة وهى اللغة الإنجليزية ، وعلى تربية اليد والصوت والقلب . قال الدكتور « بالارْد »[1] وهو من كبار علماء التربية فى انجلترا وأحد مفتشى التعليم بلندن :

(١) Dr. P. B. Ballard

« إن كانت اليد الإنسانية هى الاختراع العظيم للقرن التاسع عشر فاللسان الإنسانى هو الاختراع العظيم للقرن العشرين . فبتثقيف اللسان نثقف العقل فى الوقت نفسه . » فالخطابة والإلقاء والتمثيل والغناء لها الآن مكان كبير فى التربية والتعليم .

المكتبات المدرسية

ليس فى المدرسة الإنجليزية مكتبة واحدة فحسب ، بل فى كل فصل من فصول المدرسة مكتبة صغيرة بها كتب مدرسية وأدبية تناسب المستوى العلمى للفصل ، وبها مصورات جغرافية ، وروايات تمثيلية ، وكتب للمراجعة . ويقوم كل فصل بانتخاب أحد تلاميذه للعناية بالمكتبة ، وهو مسئول عن ترتيبها ونظامها ، فيحضر الكتب منها وقت الحاجة إلى استعمالها ، ويعيدها إلى مكانها بمساعدة أحد إخوانه بعد الانتهاء من الدرس . ولكل تلميذ الحق فى أن يستعير من الكتب ما يشاء لمدة معينة ؛ بأن يذهب إلى دفتر الإعارة فيكتب فيه اسم الكتاب الذى استعاره ، واسم المؤلف ، ورقم الكتاب ، وتاريخ الاستعارة ، ثم يوقع . والأمانة سائدة بين التلاميذ ، فحينما ينتهى التلميذ من قراءة الكتاب فى المدة المعينة يعيده إلى موضعه فى المكتبة ، فلا يضع رقم ١٠ مثلاً موضع ١٠٥ . وبهذه الوسيلة يعتاد التلاميذ النظام ، ويُبث فيهم روح التعاون . وإذا لم يستعر أحد التلاميذ شيئاً سأله مدرسه عن السبب ، وكلفه الاستعارة ، ثم اختبره بعد الانتهاء من قراءة الكتاب فى موضوعه ، وسأله عن أحسن قطعة قرأها فيه ، وأحسن رجل أعجب به . وبهذه الطريقة يضطر كل تلميذ إلى أن يستعير ويقرأ ، ويشجع التلاميذ على البحث والاطلاع . وإذا اعتاد الفتى أن يقرأ كتاباً فى الخارج كل أسبوعين قرأ ما ينيف على العشرين كتاباً فى السنة ، فتكثر معلوماته

ويشعر بحب الكتب من الصغر . وعندنا فى كل مدرسة أميرية مكتبة مملوءة بالكتب ، ولكن مع الأسف لا يراها إلا قليل من التلاميذ ، لأن المدرسين لايشجعونهم على الاستعارة والقراءة .

ولا تعجب إذا كنت لا تجد من يقرأ كتاباً واحداً بعد الانتهاء من الحياة المدرسية . وحبذا الأمر لو فكر كل مدرس فى أخذ طلبته إلى مكتبة المدرسة ، وشوقهم إلى القراءة والاطلاع ، وفهمهم طريقة البحث فى الكتب ، وحثهم وشجعهم على الاستعارة والمطالعة فى أوقات الفراغ .

وزيادة على المكتبات المدرسية تجد فى كل مدينة إنجليزية مكتبة عامة أو أكثر فى المدن الكبيرة . وفى كل منزل إنجليزى مكتبة بها الكثير من الكتب الأدبية والعلمية والصحية . ويهدى لكل طفل إنجليزى كثير من الكتب التى تناسب سنه فى يوم ميلاده ، وفى عيد الميلاد كذلك .

وقد تكون للطفل مكتبة خاصة به ، وحجرة خاصة بلُعبه أو مرْبى[1] إذا كان من أسرة متوسطة أو غنية . ولا أبالغ إذا قلت إن الطفل فى انجلترا رجل صغير ، قوى الملاحظة ، كثير الآراء والأفكار الصائبة ؛ فقد يقول لك قبل أن يرى المدرسة : إن هذا الفيل من الهند ، ولو فقد هذا الجزء من السيارة لحدث كذا ، وهذا الجزء من الطائرة اسمه كذا ، ووظيفته كذا . ولقد حدث (لعلى بَابَا) فى ألف ليلة وليلة كيت وكيت .

---

(١) Nursery

المكتبات المتنقلة بانجلترا

وهناك أيضاً مكتبات متنقلة تنتقل من المدينة إلى القرية بسيارة معدة لأن تكون مكتبة ، تنقسم أربعة أقسام وهى : —

قسمان للروايات ، وقسم للكتب العلمية المختلفة ، والقسم الرابع خاص بكتب الأطفال . وتقوم هذه المكتبات بعمل جليل فى نشر العلم ، وإعطاء الفرصة لسكان القرى النائية الأطراف فى أن يستعيروا ما يريدونه من الكتب للقراءة والاستفادة. وهى منتشرة الآن فى جميع أنحاء انجلترا .

وتعد المكتبة المتنقلة فرعاً من المكتبة العامة التى تمدها بما تحتاج إليه من الكتب . ويقوم بإدارتها موظف تابع لمدير المكتبة العامة . وفى « كِنْت » مثلاً — وهى إحدى الضواحى التابعة للندن — مكتبة متنقلة أنشئت فى نوفمبر سنة ١٩٢١ ، وبها نحو ١٥٠ ألف كتاب للاستعارة ، يستعيرها القراء بالتناوب ، ويتداولونها بينهم واحداً بعد الآخر . وفى سنة ١٩٣٠ قد بلغ المستعيرون من هذه المكتبة ١٢٢٣٠٠٠ . وهذا العدد يدل على كثرة الإقبال على القراءة ، وعلى أن انجلترا أكثر الأمم حبًّا للقراءة ؛ فلا تركب قطاراً أو سيارة عامة إلا وتجد فى أيدى كلّ فرد صحيفة ، أو مجلة ، أو كتاباً . فالمكتبة المتنقلة قد سدت فراغاً كان الناس يشعرون بالحاجة إلى ملئه منذ زمن ليس بالقصير . وفى « كِنت » سيارتان تملآن من المكتبة الرئيسة العامة بها ، ثم تزوران كل قرية فى تلك الجهة مرتين أو ثلاث مرات فى السنة . وقبل قيام المكتبة من « كِنت » وهى المركز الرئيسى فى تلك الجهة يخبر القائم بأمور المكتبة فى القرية عن وقت وصول السيارتين إليها ؛ كى يستطع استدعاء عدد كبير من المستعيرين للمساعدة فى اختيار المجموعة الجديدة من الكتب ، ورد ما يمكن رده من المجموعة القديمة ، التى كانوا

قد استعاروها من قبل . وينتهى الأمر وهو رد الكتب القديمة ، وأخذ كتب أخرى بدلها فى نحو ساعة من الزمن .

وكتب الأطفال فى المكتبات المتنقلة أقل من كتب غيرهم من القراء . وحب القراءة مشاهد لدى كل طفل ، وبخاصة قراءة القصص والحوادث . ومن الصعب أن تشبع رغبات الأطفال فى الحكايات وقراءتها . وليس فى هذه المكتبات من الكتب ما يكفى كل الأطفال ؛ ففى « كنت » ٧٥٦٦٦ طفل فى المدارس الأولية ، وليس فى قسم الأطفال بالمكتبات إلا نحو ٣٢ ألف كتاب . ولذا يضطر رؤساء المكتبات إلى جعل الاستعارة خاصة بمن تبلغ سنه ١٢ سنة . ويقص الرؤساء أحياناً بعض الحكايات المحزنة لرفض مطالب كثيرين من صغار الأطفال. وتبذل مجهودات كبيرة فى اختيار كتب الأطفال من أحسن الطبعات ؛ ثقة بأنه كلما كان الكتاب جميل المنظر جيد الطبع ، كثرت عنايتهم به . ولا يزال الكتاب لدى الطفل القروى شيئاً ثميناً . فالمكتبات المتنقلة والمدرسية والعامة تقوم بخدمة جليلة للتلاميذ وغيرهم ممن يحبون القراءة ويجدون مسرة فيها .

ودور الكتب العامة مملوءة بالقراء . وهناك نوع من المكتبات التجارية التى تخصص قسما بالإعارة نظير دفع اشتراك يسير سنوى . فلدى كل فرد صغير أو كبير ، غنى أو فقير ، الفرصة فى أن يجد ما يريده من الكتب ، من أى نوع من الأنواع .

ولقد علقت صحيفة الأهرام فى ٢٨ من يونية سنة ١٩٣١ م . على هذه المقالة التى نشرتها بها فقالت :

« إن أشد آفة التعليم والمتعلمين أنهم لا يقرءون ولا يطالعون ، فالذى ينال الشهادة يظن أنه قد وصل إلى كل شىء ، لا لأنه تعلم كل شىء ؛ بل لأنه طالب وظيفة ، والشهادة توصل إليها . أما القراءة وأما المطالعة وأما عدُّ شهادة المدرسة

مفتاحا للحياة العلمية فأمر لا يخطر ببال أحد . لذلك كلما تقدم المتعلم منا فى العمر أضاع شطراً مما حصله فى المدرسة حتى يحصل إلى سن الكمال ، وقد غابت عنه معرفة كل شيء . وأكبر دليل على ذلك كساد التأليف وقلة المؤلفين والمترجمين . ومن النادر أن ترى شابا أو رجلا يطالع كتابا أو يحمل رسالة ؛ فالقراءة محصورة فى الصحف وفى شطر صغير منها . وهذا الشطر لا يزيد فى المعرفة ، ولا فى العلم ، ولا فى الاطلاع على ما هو جديد فى العالم . وكل شيء فى العالم يزداد تجدداً . فهل يتبع أطباؤنا مثلا حركة التجدد فى الطب ؟ وهل يساير مهندسونا حركة التجدد فى الهندسة ؟ وهل يطالع تجارنا ما يقال فى أسواق التجارة ؟ وهل رجال الأدب يسايرون الحركة الفكرية ؟ وهل الذين تهمهم المسائل الاجتماعية يطالعون ما يقال فيها وما يكتب ؟

إن العالم فى تطور عظيم جدا فى كل شيء حتى فى الكتب والمؤلفات الحديثة ؛ فإذا طالعت الناشئة المصرية الكتب والمؤلفات سايرت العالم كله وهى جلوس فى منازلها .

الكتاب مصلحنا الصامت الحكيم ، فلنصحبه ، وليكن جليسنا . « وخير جليس فى الزمان كتاب » .

هذا ما قالته « الأهرام » . وقديماً قال نابغة العرب ، أديب العلماء ، وعالم الأدباء « أبو عثمان عمرو الجاحظ المولود سنة ١٦٠ هـ . والمتوفى سنة ٢٥٥ هـ . » يصف الكتاب :

الكتاب وعاء ملئ علماً ، وظرف[١] حشى ظرفا[٢] ، وبستان يحمل فى ردن[٣] ، وروضة تقلب فى حجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحيا » . وقال :

---

(١) وعاء . (٢) كياسة وبراعة وذكاء . (٣) الردن : الكم .

لا أعلم جاراً أبرّ ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل جناية ، ولا أقل إملالا وإبراما[١] ، ولا أقل خلافاً وإجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عضيهة[٢] ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفا ، ولا أقل صلفا وتكلفا ، ولا أبعد من مراء[٣] ، ولا أترك لشغب ، ولا أزهد فى جدال ، ولا أكف عن قتال — من كتاب . . . ولا أعلم نتاجا فى حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التدابير الحسنة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يجمع الكتاب .

ودخل الرشيد على المأمون وهو ينظر فى كتاب ، فقال : ما هذ ؟ فقال : كتاب يشحذ[٤] الفكرة ، ويحسن العشرة . فقال : الحمد لله الذى رزقنى من يرى بعين قلبه ، أكثر مما يرى بعين جسمه .

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك ؟ فقال : هى إن خلوتُ لذتى ، وإن اهتممت[٥] سلوتى ، وإن قلت إن زهر البستان ونَور[٦] الجنان ، يَجلوان الأبصار ، ويُمتعان[٧] بحسنهما الألحاظ[٨] ، فإن بستان الكتب يجلو العقل[٩] ، ويشحذ الذهن ، ويحيى القلوب ، ويقوى القريحة ، ويعين الطبيعة ، ويبعث نتائج العقول ، ويستثير[١٠] دفائن القلوب ، ويُمتع فى الخلوة ، ويؤنس فى الوحشة ، ويُضحك بنوادره ، ويسر بغرائبه ، ويفيد ولا يستفيد ،

---

(١) إضجاراً وإملالا . (٢) العضة والعضيهة : الكذب والبهتان .
(٣) مراء : جدال ، ماراه : جادله . (٤) يقوى . (٥) اهتممت : حزنت واغتممت . (٦) نور : زهر . (٧) أمتع ومتع : نفع .
(٨) المراد بها العيون . (٩) ينير . (١٠) يظهر .

ويعطى ولا يأخذ، وتصل لذته إلى القلب، من غير سآمة تدركك، ولا مشقة تعرض لك. ويقول الشاعر العربى فى وصف الكتب :

لنا رِفقة نهوى استماع حديثهم ألبَّاء مأمون غيبا ومَشهدا
يفيدوننا من علمهم علمَ ما مضى ورأيا وتأديباً ومجـــدا وسؤددا

والأدب العربى مملوء بآيات بينات عن الكتب وفوائدها، شعراً ونثرا، فليرجع إليه من أراد الزيادة.

(شكل ٥) المكتبة روح المدرسة، وروضة للتلميذة المجدة

مالية التعليم الأولى أو الابتدائى

تراعى فى ميزانية التعليم الأولى المبادئ الآتية : —

(١) مواظبة التلاميذ على الحضور إلى المدرسة .

(٢) إيجاد مدرسين أكفاء .

(٣) العدالة فى توزيع الميزانية .

(٤) العمل لتحسين مستوى التعليم وترقيته بكل وسيلة من الوسائل . وتقوم وزارة التربية والتعليم بإعانة السلطات المحلية بالأقاليم على أساس المواظبة ، وهى مثابرة التلاميذ على الاستمرار فى الذهاب إلى المدرسة، والوصول إلى مستوى معين فى التعليم . وبالتفتيش المدرسى يمكن الحكم على التعليم . فالوزارة والسلطة المحلية هما السلطتان القائمتان بنفقات التعليم العام بانجلترا بالتضامن . والحق أن هذه النفقات تقع على أكتاف دافعى الضرائب من أفراد الشعب . وللسلطة المحلية للتعليم أن تقبل إعانة الوزارة أو ترفضها كما تشاء . ولقد حدث أن (لندن ومنشستر) رفضتا إعانة الحكومة للتعليم الأولى الراقى ؛ لأنها تشترط شروطاً يصعب عليهما تنفيذها .

وميزانية التعليم فى ازدياد مستمر ؛ فقد تضاعفت فى عشرين سنة نفقات السلطات المحلية من ٢٥٪ إلى ٥٠٪ . ولما كان من السهل على الحكومة أن تجمع الضرائب بسهولة أكثر من السلطات المحلية تجد هذه السلطات تطالب دائماً بزيادة الإعانة من الحكومة .

وفى سنة ١٩١٣ كان مجموع الإعانة التى وافق عليها مجلسا العموم والأعيان (اللوردات) لمساعدة التعليم بانجلترا وويلز ١٤،٣٣٩،٣١٨ جنيه توزع بالطريقة التى سنذكرها فى الفصل الحادى عشر الخاص بوزارة التربية والتعليم بانجلترا (فى

إحصاء مصروفات الوزارة التى أقرها مجلس النواب) فى السنة المذكورة .

والسلطات المحلية تحصل على مالية التعليم الأولى مما يأتى : —

(١) الضرائب المحلية و يجمع منها نحو ٥٠ ٪ من نفقات هذا التعليم .

(٢) الإعانة السنوية التى تقوم الحكومة بدفعها على أساس المواظبة على الحضور بالمدرسة بنسبة ١٣ شلناً وثلث شلن عن كل طفل يقل عمره عن خمس سنوات .

(٣) إعانة الأجور ؛ وهى تلك الإعانة التى تقوم الحكومة بدفعها بعد أن ألغيت المصروفات وجعل التعليم بالمدارس الابتدائية بالمجان . وتبلغ هذه الإعانة ١٠ شلنات عن التلميذ المواظب بالمدرسة .

(٤) بعض إعانات أخرى كإعانة العمى والصم وذوى العاهات العقلية التى تتبرع بها الحكومة ، وما يتطوع به آباؤهم لتعليمهم ، و إعانة التفتيش الصحى والعلاج الطبى ، وتبرعات المحسنين .

وأهم الأبواب التى تنفق فيها ميزانية التعليم الأولى أى الابتدائى خمسة وهى : —

(١) دفع ما تتطلبه المبانى المدرسية الصحية ، والملاعب الرياضية ، والأثاث ، والأدوات والأجهزة التعليمية ، وتبلغ ١٢ ٪ من الميزانية .

(٢) مرتبات المدرسين ، وتقدر بنحو ٦٣و٥ ٪ من ميزانية التعليم . وتأخذ المرتبات أكبر قسط من النفقات .

(٣) تغذية المحتاجين جداً من الأطفال ، ونقل التلاميذ الذين تبعد مساكنهم عن المدرسة . وتقدر نفقات هذا الباب بنحو ١٥ ٪ من الميزانية .

(٤) التفتيش الطبى بالمدارس ، ونفقاته فى ازدياد مستمر . وينفق عليه ٣ ٪ من الميزانية :

(٥) الإدارة ومصروفاتها ٦و٥ ٪ من مجموع الميزانية .

ولنذكر هنا كلمة موجزة عن التعليم فى ألمانيا وفرنسا وسويسرة بإيجاز فنقول :

التعليم الأولى فى ألمانيا

لقد ابتدأ تنظيم التعليم الأولى بألمانيا منذ صدور قانون بروسيا فى أكتوبر سنة ١٨٥٤ م . وتنقسم المدارس الأولية ثلاثة أنواع : —

(١) مدارس بها ثلاثة فصول أو أكثر .

(٢) مداس بها اثنان من المعلمين .

(٣) مدارس بها معلم واحد فى فصل واحد .

ويخص المدرس ٨٠ تلميذاً على الأكثر . وفى (سكسونيا) تشمل المدارس الأولية : المدارس الابتدائية والمتوسطة والعالية والليلية ومدارس يوم الأحد .

زمن الدراسة فى الأسبوع بألمانيا :

ومدة الدراسة فى الأسبوع ٢٢ ساعة لصغار الأطفال ، و٢٨ ساعة للمتوسطين منهم ، ومن ٣٠ إلى ٣٢ ساعة للكبار من التلاميذ .

التعليم الإجبارى فى ألمانيا :

يستمر التعليم الإجبارى فى ألمانيا من سن ٦ إلى سن ١٤ ، بحيث يصل التلميذ إلى مستوى خاص فى التعليم . فإذا بلغ من العمر ١٤ سنة ولم يصل إلى هذا المستوى وجب عليه أن يمكث سنة أخرى بمدرسة من المدارس الليلية ، أو مدرسة من مدارس يوم الأحد . ولا تجد ألمانيا صعوبة فى تنفيذ قانون التعليم العام :

أولاً : لأن القانون ينص على معاقبة الآباء إذا أهملوا تعليم الأبناء .

ثانياً : جعل تنفيذ قانون التعليم بأيدى الشرطة ، وحرصهم على تنفيذ هذا القانون حرفيّاً .

ثالثاً : حب الألمانيين للنظام ، واحترامهم للقوانين ، وميلهم إلى التعليم مما ساعد على تعميم التعليم من غير عناء أو تعب . والتعليم عادة بمصروفات فى (بروسيا وسكسونيا وباڤاريا) ، أما المدارس المجانية فهى استثناء من القاعدة . ويراعى فى المدارس المتوسطة — وهى مدارس التجارة والزراعة والصناعة — أن يكون منهاجها مناسباً لما يحتاج إليه الإقليم .

التعليم فى فرنسا

لقد صار التعليم الابتدائى بالمجان فى مدارس العامة بفرنسا منذ صدور قانون سنة ١٨٨٠ ، ثم صار إجباريا من سن ٦ إلى سن ١٣ بقانون سنة ١٨٨٢. ويبلغ عدد المدارس الابتدائية فى فرنسا ٨٥٫٥٠٠ مدرسة ، وعدد التلاميذ بها ٢٣٢ . ٥٥٣ ، وعدد المدرسين أكثر من ١٥٦٦٠٠ مدرس . وفى سنة ١٩٠٢ بلغت نفقات الحكومة على هذا النوع من التعليم ١٥٨٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك .

أما التعليم الثانوى فمدته سبع سنين فأكثر . وبفرنسا من مدارس الليسيه أى المدارس الثانوية وحدها ٣٤٨ مدرسة ، وبها نحو ١٥ جامعة .

التعليم فى سويسرة

التعليم الابتدائى فى سويسرة إجبارى بالمجان، ونظامه من أحسن النظم وكل مقاطعة فى سويسرة مستقلة فى إدارة مدارسها . ولذا تختلف السن المدرسية قليلاً باختلاف المقاطعات ؛ ففى الشمال الشرقى منها تجد المقاطعات البروتستانتية تعنى عناية كبيرة بالتعليم ، وفيها ينفذ قانون التعليم الإلزامى بكل دقة ، ونسبة التلاميذ فى المدارس خمس السكان .

أما مقاطعات الروم الكاثوليك فلا ينفذ فيها قانون التعليم كما ينبغى ، ولذا

تجد نسبة التلاميذ فى المدارس الكاثوليكية التسع من السكان ، أى بنسبة واحد إلى تسعة . ويستمر التعليم إلى سن ١٥ .

عدد المدارس :

وفى سنة ١٩٠١ بلغ عدد المدارس الابتدائية فى سويسرة ٤٦٦٣ مدرسة ، وتلاميذها ٤٧١٧١٣ . وكان عدد مدارس الأطفال ٧٦٧ مدرسة ، بها ٤٠٣٤٤ طفل . وعدد المدارس الثانوية ٥٤٩ مدرسة ، بها ٣٧٩٤٥ طالب . وفى سويسرة كثير من المدارس الخصوصية والعالية والصناعية للطلبة والطالبات ، وفيها كذلك ست جامعات ، ومجمع علمى فى (نيوكاتل) ، وبها ٤٤٨٥ طالب .

نفقات التعليم فى سويسرة :

بلغت نفقات التعليم فى سنة ١٩٠١ (١٢٦ ٤٩٩٧١ فرنك) ؛ دفعت منها الحكومة ١٩٦٩٥١ ٢٤ فرنك ، وقامت المجالس المحلية بدفع الباقى وهو ١٧٥ ٢٥٧٧٤ فرنك : ومن هذا نرى أن الحكومة تقوم بنصف نفقات التعليم تقريباً .

روح المدرسة الانجليزية الحديثة

إن الزائر الغريب لمدرسة إنجليزية حديثة لأول مرة يلاحظ على الأطفال شيئين:

أولاً : النشاط والاستعداد للعمل .

ثانياً : السعادة

فالتلاميذ مملوءون نشاطاً ، وحياتهم كلها بهجة وهناءة وسرور، ووجوه ضاحكة مستبشرة ، تملأ المدرسة بشراً وسروراً ، ونفوس آملة تتطلع إلى المستقبل السعيد. والجو المدرسى كله حياة ، ويقظة وانتباه ، وحب للعمل ، واستعداد لأداء الواجب، يتمثل فيه روح الوفاء والإخلاص ، والعناية ، والدقة فى العمل ، والتعاون بين النظار والمدرسين والتلاميذ . هناك لاتجد تلاميذ يتظاهرون بالعمل وهم لا يعملون، أو يصغون وهم يتثاءبون ، لا ترى من يحل مسائل حسابية بطريقة آلية من غير ما تفكير ، أو من ينقل قطعاً إنشائية ، أو كلمات إملائية لا يدرك لها معنى (مثل : جؤجؤ ، بؤبؤ) .

هناك يشتغل الطفل بعقله ويده ؛ فلا يكتفى بتعلم النظريات ، بل يشتغل أيضاً بكثير من الأعمال اليدوية ، ويعطى مقداراً كبيراً من الحرية فى العمل : يعمل بحسب قواه العقلية ، وله رأى خاص به . هناك يعتمد الطفل على نفسه فى كل عمل مع الاستعانة بمدرسه وإرشاداته عند الحاجة . قد يحل المسألة خطأ ، ولكن المهم أنه حاول أن يعمل ، وعمل برغبة ، وتركت له الفرصة فى التفكير ، وفى رسم الخطط وتدبير الوسائل . ولقد حدث فى إحدى المدارس الحديثة للبنات أن معلمة من المعلمات اضطرت إلى الذهاب إلى المستشفى يوماً ما ، فرأت رصيفةٌ لها أن الواجب يقضى بمصاحبتها . وكانت ناظرة المدرسة على فراش المرض ،

ولسوء الحظ قد حدث لرابعتهن وهى فى طريقها إلى المدرسة ما أو جب تأخرها نصف ساعة عن الميعاد . وعلى هذا بقيت المدرسة ولا ناظرة فيها ولا مدرسة . فلما دخلت الأخيرة المدرسة وجدت كل البنات فى أمكنتهن ، يعملن بنظام ؛ فلقد نظر بعضهن فى جدول أوقات الدروس ، واخترن من التلميذات من يستطعن التعليم فى السنين الأولى من المدرسة ، وأخذت البقية تعمل بنفسها . فكان كل فصل يسير فى عمله بنشاط كالعادة . ولم يحدث من إحداهن ونية[1] أو تقصير فى العمل . وكان النظام مستتبا . فمثل هذه الحادثة تبرهن على أن روح المدرسة الحديثة هو . روح التعاون ، والاعتماد على النفس ، وحب العمل ، والفخر بالمدرسة ، والإخلاص لها .

وهذا الروح وتلك المبادئ وحدها تكفل نجاح أى مدرسة من المدارس ، وتغنى عن استعمال الثواب ، والعقاب ، والمنافسة فى المدرسة .

فالتلاميذ بالمدرسة الإنجليزية مغتبطون بمدرستهم ، يستنفدون جهدهم ، ويبذلون كل ما فى وسعهم فى سبيل تقدمها . محال أن يتمنوا الرفعة على أكتاف غيرهم ، يعمل الكل لمصلحة الكل وينسى نفسه . ومن أظهر منهم مقدرة ومهارة فى أمرٍ ما فمكافأته أن يسمح له بمعاونة غيره من الضعفاء أحياناً .

---

(١) الونية : التفريط والإهمال فى العمل .

مدرسة ريفية ابتدائية انجليزية

من المدارس التى رأيتها مدرسة ريفية ابتدائية داخلية تقبل التلاميذ بعد الانتهاء من قسم الأطفال . فيها يستيقظ التلاميذ مبكرين ، فيرتب كل منهم سريره ، وينظفون معاً حجر النوم . وبعد ارتداء الملابس يقوم بعضهم بمساعدة الطاهية فى إعداد الطعام ، أو فى إعداد المائدة وتنظيمها . وبعد تناول طعام الصباح يساعدون فى تنظيف الآنية وتنشيفها .

ومدة الدراسة النظرية صباحاً أربع ساعات . وبعد الظهر يشتغل التلاميذ بالزراعة فى حديقة المدرسة ، أو بالنجارة فى حجرة النجارة التى يقوم بالتعليم فيها أحد النجارين . وفى هذه المدرسة يظهر روح التعاون بأجلى معانيه ؛ فمن التلاميذ من يقوم بإصلاح ما يحدث فى بناء المدرسة من خلل ، ومنهم من يكوى الملابس ، ومنهم من يخيط ما تحتاج إليه من رتق ، وهكذا .

وتتصل بالمدرسة حديقة كبيرة ، تبلغ مساحتها نحو ثلاثة أفدنة ، بها قسم لتربية الطيور والحيوانات الداجنة ، يتولى بعض التلاميذ إطعامها والعناية بها . ويقوم التلاميذ أنفسهم بزرع ما أمكن من أنواع الخضر والفواكه والأزهار فى تلك الحديقة . وبهذه الوسيلة تستطيع المدرسة أن تستغنى عن شراء كثير من المواد الغذائية وغيرها ، وتجمع بين التعليم النظرى والعملى أو الصناعى ، فتفتح كثيراً من السبل أمام كل تلميذ حتى تنتفع بميوله ، وتعرف ما يرغب فيه من الأعمال ، فتوجهه حيث يحب . ويختار له من سبل الحياة ومن المهن والصناعات ما يلائم ميوله الطبيعية . فالمدرسة تعطيه الفرصة فى أن يعرف شيئاً عن النجارة ، والزراعة والحياكة ، والكى ، والبناء ، والرسم ، والتصوير ، والموسيقا مع المواد المدرسية الأخرى ، وهذه هى التربية النافعة .

ولا يسمح لأحد من التلاميذ بأكل شيء من فواكه الحديقة فى غير مواعيد الأكل ، ومن خالف ذلك يحرم هذه الفاكهة حتى ينتهى فصلها . وهذا عقاب طبيعى صارم ؛ لهذا لا يجرؤ أحد أن يقطف شيئاً من الحديقة . ولكل تلميذ صوان خاص به ، يضع فيه أدواته ، وللناظر وحده الحق فى الاطلاع على ما به . وبعد تناول الشاى يسمح التلاميذ المذياع أو اللاسلكى أو يتعلم بعضهم العزف على المعزف (البيانو) ، ويلعبون ألعابا رياضية ككرة القدم أو كرة المضرب ، وفى يوم الأحد يذهبون صباحاً إلى الكنيسة مع مدرسيهم ، ثم يخرجون للرياضة فى جهات خاصة . فأوقاتهم منظمة ، موزعة بين العمل واللعب ؛ يلعبون حيث يجب اللعب ، ويعملون حيث يجب العمل . ويجتهد ناظر المدرسة فى ألا يترك لأى تلميذ الفرصة فى أن يفكر فى أعمال شيطانية ، فيدعه يشتغل بأى عمل من الأعمال ؛ كى لا يفكر فى أى عثو أو إفساد فى المدرسة .

إن الشباب والفراغ والجدهْ مفسدة للمرء أى مفسدهْ

وإن دروس مشاهدات الطبيعة ، والجغرافية ، والتاريخ كثيراً ما تكون فى الخارج على شاطئ نهر أو فى حديقة ، أو زيارة لدار آثار ، أو حصن ، أو كنيسة قديمة . وفى كل أسبوع يختار بعض تلاميذ المدرسة لزيارة مدرسة أخرى ؛ لتكثر تجاربهم ، ويروا أشياء ربما لم يروها من قبل فى مدارسهم . وبذلك تتبادل المدارس الزيارات فى يوم من أيام الأسبوع .

وكثيراً ما يقف ناظر المدرسة ليباشر التلاميذ وهم يشتغلون فى حديقة المدرسة ، ولا يعزب عنه شيء فى مدرسته ؛ فهو خبير بكل تلميذ ، وبالأحوال المحيطة به ، وبنقط الضعف فيه ، وبوسائل العلاج . فيمكنه أن يقول لك إن (جَفْرِى) قوىّ لأن أمه كثيرة العناية به . أما (چان) فضعيف ؛ لأنه لا يجد ما يكفيه من الغذاء ، وهذا جيد فى التاريخ ، وذاك يحتاج إلى العناية بالحساب ، وذلك فى حاجة إلى

المساعدة فى اللغة ، وهكذا . والمدرسون يعدون تلاميذهم أبناء يفكرون فيهم كما يفكرون فى أبنائهم . ففى تلك المدرسة وفى معظم المدارس الإنجليزية تجد التلميذ غالباً محباً للألعاب الرياضية ، كثير المعلومات ، ناضج الرأى ، مرتب الفكر ، بعيد النظر ، قوى الملاحظة ، يستطيع التعبير عما فى نفسه ، يحب النظام . والدقة فى العمل . يعرف معنى الطبيعة ، ويقدر ما فيها من حياة وجمال ، ويمكنه القيام بكثير من الأعمال . وهذه نتائج العناية بالطفل فى المنزل والمدرسة معاً ، نتيجة العناية بالتربية العملية لإعداد كل فرد للحياة الكاملة .

المعلمون والمعلمات بانجلترا أمس واليوم

بالأمس كانت طائفة التعليم بانجلترا مهملة ، ضائعة الحقوق كما ذكر « اللورد ماكولى » فى بعض خطبه . وعلى الرغم من كل الأعمال الجليلة التى قام بها القرن التاسع عشر نحو التعليم فإن المعلم كان راتبه ضئيلاً ، ومعاشه قليلاً ، وكانت حياته مملوءة بكثير من الصعاب والمتاعب . ولم يكن حظ المعلمة بأحسن من حظ المعلم . وكانت شكوى هذه الطائفة قليلة ، مع كثرة ما كانوا يقاسونه من شظف العيش ، ومشقة العمل ، والحق أن هذا كان عاراً على أمة غنية كانجلترا .

وقد أخذت حال المعلمين فى التحسن منذ سنة ١٩٠٢ ، وقدروا حق قدرهم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، إذ كان للحرب الفضل فى ازدياد الشعور بانجلترا نحو فائدة التعليم والمعلمين . فاليوم قد نالوا حقوقهم كاملة ، وصار مستواهم لا يقل عن مستوى غيرهم أدبياً ومادياً . ولا غرابة فالإنجليز يشعرون بأن المعلمين قادة الأفكار فى الأمة ، يمثلون الطبقة المثقفة فيها ، ويقومون بعمل جليل ، فعليهم

وبهم ترقى الأمة إلى أسمى درجات الحضارة والمدنية . ولقد تذكروا حقاً ما قاله (بسمرك) بعد الحرب السبعينية : « لقد غلبنا جارتنا بمعلم المدرسة » .

الإقبال على مهنة التدريس :

وهناك اليوم إقبال كبير على مهنة التدريس ، وسيظل الأمر كذلك ما دام المعلمون يجدون كل تشجيع وتقدير من الشعب الإنجليزى ووزارة التربية والتعليم . ولم يكن هذا التشجيع للمعلمين فى نفوس الإنجليز فحسب ، بل إن لهم اليوم مركزاً سامياً فى الولايات المتحدة وغيرها من الأمم الراقية . ويتمنى بعض الأبطال أن يكون معلماً ولو خمس سنوات ! ولا يقدر المعلم إلا من يعرف قيمة التعليم وأثره فى الأفراد والأمم[1] . وقد كان لتقدير المعلمين فى انجلترا أثر ظاهر ونجاح باهر فى أمرين :

أولاً : فى إزالة الاعتزال أو التنحى الذى كان قديما بين المعلم والمتعلم ؛ فقد صار المدرس اليوم يشعر نحو التلميذ الصغير شعوره نحو ابنه وأخيه ؛ فتراه يلعب معه بالكرة فى فناء المدرسة ، ويشاركه فى كثير من الأعمال ، ولا يفكر فى أن ذلك يقلل إجلال التلميذ له ؛ لأن الاحترام أمر نفسى يزداد ولا يقل بالصلة المملوءة إخلاصاً . وغريب أن فكرة العزلة ؛ عزلة الناظر عن المدرس ، والمدرس عن التلميذ ، والضابط عن الجندى — لا تزال سائدة فى المدارس الفرنسية والجيش الفرنسى ؛ ظناً منهم أن التنحى يوجد التعظيم والتوقير كما كنا نظن نحن المصريين خطأ . هذا وإن العداوة القديمة — عداوة التلميذ والمدرس — قد اختفت كل الاختفاء بالمدرسة الإنجليزية ، وصار المدرس أخاً كبيراً للتلميذ ، لا شبحاً مخيفاً مفزعاً فى نظره . والحق أن روح العلاقة بين المعلم والمتعلم فى انجلترا

(١) ارجع إلى كتاب التربية والحياة أو كيف نصلح التعليم فى مصر — للمؤلف .

صار روح وفاء وإجلال وإخلاص ، وأن المدرس يحاول أن يكون الصديق والأب والمرشد لتلاميذه .

ثانياً : شعور رجال التعليم بأن كل فرع من فروع التعليم يعمل لخدمة المصلحة العامة التى تعد أمراً حيوياً فى نظر كل فرد إنجليزى ، ويعمل لخلق « ديمقراطية » متعلمة منقطعة النظير ، لم ير العالم مثلها إلى الآن . يقول « سير يل نوروود » : « إن انجلترا لن تستطيع أن تحمل الحمل الملقى على عاتقها وتبعة مركزها فى العالم إذا لم تخلق تلك « الديمقراطية . » وإن طائفة التعليم تعلم علم اليقين أنها وحدها تستطيع أن تبنى تلك التربية (الديمقراطية) على أساس الديانة العملية ، لأن على أيدى هذه الطائفة وحدها — طائفة التعليم — يمر كل فرد من الأفراد فى الأمة ثم يخرج إلى العالم . فالمعلمون فى انجلترا يشعرون بمركزهم ، وبالأمانة المتروكة فى أيديهم ، ويعملون للوصول إلى الغرض الذى ينتظر منهم . فقد اعترفت لهم الأمة والحكومة بحقوقهم ، فأصبحوا قادة الشعب يوجهونه إلى المثل العليا فى الحياة .

وفى انجلترا والولايات المتحدة بأمريكا تجد نسبة المعلمين أقل كثيراً من نسبة المعلمات ، فالمعلم الواحد فى انجلترا يقابله ثلاث معلمات . أما فى ألمانيا فالأمر بالعكس ؛ وعدد المعلمين بها أكثر من عدد المعلمات . وبانجلترا عداء كبير صامت بين الجنسين : المعلمين والمعلمات — كما أن هناك عداء ظاهراً بين الأطباء والطبيبات ؛ لما بين الجنسين من المنافسة والحقد . وفى كثير من المجالس المحلية للتعليم يعد زواج المعلمة استقالة منها ؛ ظناً بأن المتزوجة لا يمكنها أن تقوم بواجبات التعليم والزوجية معاً . وإذا تزوجت فمن العدالة أن تترك وظيفتها لغيرها ممن لم يتزوجن من المعلمات اللاتى لم يجدن عملا . وترى تلك المجالس أن من العدالة ألا تعيش وحدك ، بل تعيش وتترك غيرك بجانبك يعيش أيضاً ، وأن من الواجب على الزوج أن يقوم بنفقات زوجته .

أما فى لندن فتستخدم المتزوجات من المعلمات من غير قيد ولا شرط . وهناك فرق فى الراتب بين الجنسين ، فراتب المعلمين أكثر من راتب المعلمات ؛ وإذا كان راتب المدرسة ٢١ جنيهاً فى الشهر ، فراتب المدرس ٢٦ جنيهاً فى الشهر ، والعلة فى ذلك أن للمدرسين أسراً ينفقون عليها . أما المدرسات فلسن بمسئولات إلا عن أنفسهن ، وأظن أن فى هذا حكمة وعدلا .

تعيين المدرسين بالمدارس الابتدائية

وقبل أن يقوم المجلس المحلى للتعليم بتعيين المدرسين والمدرسات يلاحظ أنه يجب أن تتوافر فيهم شروط خاصة . ولا تعطى المراكز الكبيرة إلا من يستحقها ، أما المراكز الصغيرة فشروطها سهلة . فالمدرس فى مدرسة ثانوية يكون فى العادة حاصلاً على شهادات أعلى من شهادات المدرس فى مدرسة ابتدائية ، والمحاضر فى الكلية أو الجامعة أكثر كفاية من المدرس فى الثانوى ، وناظر المدرسة الأولية « الابتدائية » مثلا يجب أن يكون قد تعلم فى كلية المعلمين ، وحصل على شهادة فى التعليم من وزارة التربية ، وكانت لديه تجربة عملية فى المدارس تبلغ سنتين على الأقل . ويمكن الحصول على شهادة المعلمين من الكلية بالامتحان من غير حضور بها . وهذا الآن نادر جداً . أما المعلمات الإضافيات فى انجلترا (The Supplementary teachers) فيقبلن فى وظائف التعليم من غير شهادات ، وهذا عيب من العيوب فى طريقة التعليم . فأى فتاة تبلغ من العمر ١٨ سنة ، وتكون قادرة على العمل ، حسنة الأخلاق يمكن أن تعين مدرسة بشرط أن يرى المفتش أنها تستطيع القيام بمهنة التعليم . وأعمال المعلمات الإضافيات محدودة ؛ فلا يسمح لهنّ إلا بالتعليم فى قسم الأطفال ، وفى الفصول الأولى من المدارس الصغيرة ، وقد عُدِل عن هذا النوع منذ سنة ١٩١٩ .

أما تعيين معلمى المدارس الأولية فمن خصائص المجلس المحلى للتعليم . ويجوز أن يفوض الأمر إلى جماعة التعليم ، أو إلى مديرى المدارس . وهنا يجب أن يوافق المجلس المحلى أو السلطة المحلية (The local authority) على التعيين . وأما الوظائف الكبيرة التى تخلو كنظارة المدارس فيعلن عنها فى الصحف العامة ، ويكون فيها شىء من المسابقة ، وبعد الفحص الدقيق عن الطلبات يُختار ثلاثة من المتقدمين للظهور أمام لجنة الاختيار . وهنا يعمل الاختيار النهائى . أما المراكز الصغيرة فلا يعلن عنها بقدر الوظائف الكبيرة . وتفضل مجالس التعليم من ينسبون إليها من رجال التعليم ؛ ففى لندن مثلا إذا أريد اختيار ناظر مدرسة اختير من بين المدرسين الذين مضى عليهم عشر سنوات فى التعليم بمدارس لندن نفسها . وبذلك يقصرون نظارة المدارس على مدرسيهم . ولا تعد الأقدمية وحدها أساساً للترقية ، بل يجب أن تصحب بالكفاية والمقدرة .

ويأمَنُ المدرسون على وظائفهم ما دامت أعمالهم جيدة ، وأخلاقهم حسنة . ومن المحال أن يستغنى عنهم ، أو يفصلوا ما داموا يؤدون واجبهم ، ويحسنون سلوكهم . ولا يمنع أى مدرس أن يشترك فى أى عمل خارجى ما دام ذلك العمل لا يتعارض مع أداء واجباته فى مدرسته .

مرتبات المدرسين والنظار بالمدارس الابتدائية

وهكذا كانت مرتبات المدرسين فى المدارس الأولية :

بنس شلن ج.ك

فى سنة ١٨٤٧ كان راتب المعلم فى مدارس الكنيسة ٤ ١١ ٣٥ فى السنة.

بنس شلن ج.ك

وراتب المعلمة ٣ ١٤ ٢٣ فى السنة ، يضاف إلى هذا إعانة الحكومة التى كانت تمنح كلاً منهما .

وفى سنة ١٨٦٠ كان متوسط الراتب السنوى مع إعانة الحكومة ٩٥ جنيهاً للمعلم ، و ٦٥ جنيهاً للمعلمة .

وفى سنة ١٨٨٨ كان ١١٩ جنيهاً للأول ، و ٧٢ جنيهاً للثانية .

وفى سنة ١٩١٢ كان مساعد المدرس يأخذ ٣ شلن ١٢٩ ج.ك فى السنة ، ومساعدة المدرسة تأخذ ٦ شلن ٩٤ ج.ك وكان ناظر المدرسة يتقاضى فى تلك السنة ١٧٨ جنيهاً فى السنة[1] ، وناظرة المدرسة ٢ شلن ١٢٥ ج.ك . وهاك جدولا[2] بالمرتبات من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢٣ :

النظار والمدرسون بالمدارس الابتدائية	متوسط الراتب فى ٣١ مارس			
	١٩١٤	١٩١٨	١٩٢٠	١٩٢٣
	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه
(١) نظار المدارس الابتدائية الحاصلون على شهادات :	١٧٧	٢١٥	٣٠٥	٤٠١
ناظرات المدارس الابتدائية الحاصلات على شهادات :	١٢٦	١٦١	٢٣٨	٣٢٧
نظار المدارس الابتدائية غير الحاصلين على شهادات :	٧٦	٩٥	١٣٨	٢٠٦
ناظرات المدارس الابتدائية غير الحاصلات على شهادات :	٦٩	٩٠	١٢٧	١٦٣
(٢) المدرسون المساعدون الحاصلون على شهادات :	١٢٩	١٦٧	٢٤٩	٣١٠
المدرسات المساعدات الحاصلات على شهادات :	٩٦	١٢٣	١٢٩	٢٠٤
المدرسون المساعدون غير الحاصلين على شهادات :	٦٨	٩١	١٣٧	١٨٢
المدرسات المساعدات غير الحاصلات على شهادات :	٥٧	٧٩	١٢٢	١٤٨
(٣) المعلمات الإضافيات :	٤٠	٥٤	٨٤	٩٧

ولزيادة الفائدة أقول : إنه كان متوسط الراتب فى سنة ١٩١٤ للمدرس

(١) راجع : Reports of the Cross Commission & Board of Education Report 1912.

(٢) راجع : Statistics of the Board of Education, 1920 — 21, & Board of Education Report, 1922—23

المساعد فى المدرسة الثانوية ١٧٤ جنيهاً فى السنة ، وللمدرِّسة ١٢٦ جنيهاً . ولقد تغيرت الأحوال الآن ؛ ففى سنة ١٩٢٥ كان ناظر المدرسة الثانوية يتقاضى ٧٦٣ جنيهاً فى السنة ، والناظرة ٥٩٨ جنيهاً . والمدرس المساعد « بالثانوى » ٣٩٠ جنيهاً ، والمدرسة المساعدة ٣١٠ جنيهات . فالمدرس الآن يجد تشجيعاً ماديا وأدبيًا. والحق أنه فى الوقت عينه يعد نفسه إعداداً تامًّا فى الكليات والجامعات، وينال قسطاً وافراً من التربية والتعليم. ونظراً للأزمة الاقتصادية بانجلترا قد خصم من مرتبات طائفة التعليم ١٠ ٪ فى عام ١٩٣١ .

نظام الترقية

قلنا إن الحالة المادية لطائفة التعليم الآن تدعو إلى الارتياح والاطمئنان . ونقول إن نظام الترقية والعلاوات آليٌّ يمنع الأكفاء أن ينالوا ما يستحقونه من التشجيع ، فالمدرس العادى مثلا يعرف أنه بعد سنتين سينال زيادة كذا على راتبه من غير تفرقة بينه و بين مدرس آخر عرفت مقدرته وكفايته . وهذا طبعاً يدخل اليأس فى نفس المدرس القدير الكفء . . وكثيراً ما يسمع الإنسان أن المهملين يلومون المخلص على كثرة العمل فى مثل هذه الأحوال ، قائلين له : « لِمَ تتعب نفسك كل هذا التعب؟ هل ستأتيك فى آخر السنة علاوة أكثر منا ؟ كلنا فى نظام الترقيات والزيادات سواء ! » والمخلص يجب ألا ينتظر من أحد جزاء ولا شكوراً ، وينبغى أن يعتقد أن الله وحده هو المكافئ ، ومن المحال أن يسوى الله بين اثنين: أحدهما مخلص فى عمله ، والآخر مهمل أداء واجبه ، ويجب أن يستمر على هذه العقيدة . فاعمل وأخلص فى عملك ، وثق بأن الله سيكافئك ، إن لم يكن اليوم فغداً . وسيأتى يوم تنال فيه حقوقك كاملة . والواقع أن هذا الاعتقاد هو أكبر سلوى للمخلصين، يدعو الإنسان إلى العمل وهو مستريح الضمير . والحق أنه مهما

تكن مبادئ الشخص من الوجهة الكمالية فهو ينتظر الجزاء تشجيعاً له ، واعترافاً بعمله . وإن المثل الأعلى نادر الوجود .

ولو اتبعت انجلترا طريقة ولايات أمريكا المتحدة فى تشجيع الأكفاء من الشبان ، وفتح الباب فى سبيلهم ، والإقدام على ترقيتهم بكل شجاعة ، ومن غير مراعاة للأقدمية وحدها لقامت بخدمة جليلة للتعليم . ولا خوف فى انجترا من كثرة الأغراض ، فالرجل الإنجليزى كثيراً ما يعمل للحق ، ولا ينصر إلا الحق . فأمريكا ترحب بالشبان إذا أظهروا مقدرة وكفاية ، وإخلاصاً فى العمل ، وتثق بهم كل الثقة ، وتسهل لهم سبل الرقى ، فتنفعهم وتنتفع بهم . فالشاب إذا اجتمع لديه النشاط والإقدام مع القدرة على العمل ، والكفاية والإخلاص ، والمثابرة والصبر ، استطاع أن يقوم بكثير من الأعمال . وفى الوقت نفسه تمكن الاستفادة من تجارب كبار الرجال المحنكين الذين خبروا الحياة ، وانتفعوا بتجاربهم الكثيرة. وبهذه الوسيلة تُضاعف الفائدة ، وينتفع بالشيب والشبان . ولا يبخل الأمريكيون بأكبر المراكز على من يظهر الاستعداد والمهارة من الشباب . وهذا تشجيع منهم للشبان ، وانتفاع بمواهبهم وقواهم الحيوية . وبالطريقة الإنجليزية فى نظام الترقية يصعب أن ترقى مدرساً تعتقد أنه مخلص وكفء قبل وقت ترقيته ، كما أن من الصعب أن تمنع زيادة راتب مدرس عادى . وهذا مما يؤخذ على هذه الطريقة .

المعـــاش

وللمدرس الحاصل على شهادة فنية فى التعليم الحق فى المعاش حينما يبلغ من العمر ٦٥ سنة ، أو قبل تلك السن إذا كانت صحته لا تسمح له بالاستمرار فى عمله . ومشروع المعاش للمعلمين فى انجلترا حسن ، ويحمى المبذرين منهم عند

الكبر . ويكوّن المعاش مما أخذ من مرتبات المعلمين ، ومما تهبه الحكومة لمعاشهم ، ومن الإعانة التى تقدر للمدرسين الذين صاروا عاجزين عن العمل قبل أن يبلغوا الخامسة والستين ؛ لضعفهم عقليًا أو جسميًا . وإن ما يؤخذ من المرتبات للمعاش إجبارى .

المعلمون والمدارس الصيفية

أو

لا نهاية للعلم

يظن المدرس هنا بعد التخرج من مدارس المعلمين وغيرها من المدارس أن الحياة العلمية قد انتهت بعد انتهاء الحياة المدرسية . والحقيقة أنه لا نهاية للعلم ، وأن العلم يبتدئ بعد الحياة المدرسية ؛ فالمدرسة تفتح السبل أمامك ، وعليك إتمام البقية . فيجب أن تستزيد دائما من المعلومات ؛ كى لا تقف أفكارك عند حد ؛ فليس هناك مهنة من المهن تحتاج إلى ازدياد دائم فى العلم ، والاطلاع ، والبحث ، والتجربة ، والخبرة والنشاط كمهنة التدريس حتى قيل إن المعلم طالب من المهد إلى اللحد . لذلك تجد المدرسين فى انجلترا لا يتكلون على تجاربهم المدرسية ، ولا يكتفون بما حصلوا عليه فى الكلية ؛ بل يلحقون بمدارس صيفية فى أثناء العطلة ؛ أسبوعين أو شهراً من كل سنة ؛ لأخذ محاضرات فى التربية ، أو علم النفس ، أو اللغات الأجنبية ، أو للتمرن على كثير من الأعمال اليدوية ... ويدفعون أجوراً خاصة للمدارس التى يذهبون إليها صيفاً . ويتضاعف عدد هذه المدارس كل سنة ؛ فتجد بكل مدينة كبيرة مدرسة أو مدارس يلحق بها من يريد من المدرسين أو المدرسات ، والطلبة والطالبات ، لتحسين مستواهم العلمى .

تراهم يقضون الصباح فى استماع المحاضرات ، و بعد الظهر فى اللعب والرياضة البدنية ، أو فى زيارة بعض الأمكنة الأثرية ، أو القيام برحلات بحرية . وفى المساء يشتركون فى الذهاب إلى رواية تمثيلية ، أو محفل اجتماعى . فتراهم يخلقون كل وسيلة للتعلم ، وترويح النفس ، والاستفادة علمياً وصحياً واجتماعياً .

وحبذا الأمر لو اقتدينا بانجلترا فى فتح مدارس صيفيـــة فى جهات صحية كالإسكندرية والمنصورة ودمياط و بورسعيد ، يذهب إليها المدرسون صيفا لمدة ، معينة للرياضة وحضور المحاضرات التى يمكن أن يختار لها أساتيذ فى مختلف المواد ؛ ليجد المدرس الفرصة التى يريدها ، فيختار ما يشاء من المواد والجهات . ويمكن أن يسمح لهؤلاء المدرسين بالسكنى فى المدارس الداخلية فى تلك المدن (إن وجدت) ؛ تسهيلا لهم ، وتشجيعاً على حضورهم ولحاقهم بتلك المدارس . ولعل ما قامت به وزارة التربية والتعليم فى مصر أخيراً من إنشاء معهد للدراسات العليا للمدرسين تطبيق لهـــذه الفكرة التى أشرنا إليها ، ومع ذلك فالمعلم يستطيع الاستزادة من المعلومات بقراءة الـكتب الحديثة ، وحضور المحاضرات المختلفة ، والاطلاع فى دار الـكتب أو مكتبة المدرسة فى أثناء السنة . وعندى لا يحسب المدرس ناجحاً فى مهنته إلا إذا عود تلاميذه الاعتماد على النفس ، وحب العلم والعمل ، ومعرفة قيمة الوقت ، والعمل على تجديد معلوماته بالقراءة والاطلاع .

وفى الولايات المتحدة بأمريكا يلحق كثيرون من المدرسات والمدرسين بالمدارس الصيفية لحضور محاضرات فى التربية العلمية والعملية . وفى سنة ١٩٢٠ كان عدد هؤلاء المدرسين خمسين ألفا . وفى سنة ١٩٢٨ قد بلغ عددهم ٤١٠ آلاف مدرس . وفى سنة ١٩٣٠ بلغ العدد ٤٢١ ألف مدرس ؛ أى بنسبة ٤٥ ٪ من مجموع المدرسين فى المدارس الثانوية والابتـدائية بالولايات المتحدة بأمريكا .

فمتى يأتى اليوم الذى يرى فيه الإنسان المدرس المصرى ينتفع علمياً بوقت فراغه حتى تزيد معلوماته ؟ وقد يكون هذا اليوم قريباً ، إذا قامت الوزارة من جانبها بتأمين حياة المدرسين ومساواتهم بأرقى الطوائف ماديًا . هنالك قد يتحقق الأمل ، فينهض المستوى العلمى والثقافى فى البلاد . فالمدرس البائس شديد الخطر على المجتمع ؛ إذ كيف يتسنى لهذا المدرس المجهد جسمياً وعقليًا ، والذى يشعر بمرارة الظلم والغبن أن يبحث ويطلع ، وينهض بتلاميذه ، ويؤدى رسالته كاملة على أحسن وجه ؟ فإذا أردنا أن يؤدى المعلم رسالته حقا فعلينا أن نعمل على إنصافه ومنحه حقوقه المادية والأدبية ، وأن نشجعه بكل قوة إن كان يستحق التشجيع ، وأن نمنحه حقوقاً وامتيازات تشعره بتقدير الدولة له ، وحرصها على كرامته ، وإخلاصها فى رفع الظلم عنه ، وإذا كانت الدولة قد جعلت لبعض الطوائف امتيازات ، فهى مثلاً تمنح رجال الجيش وضباط الشرطة حق الأولوية فى قبول أبنائهم بالكلية الحربية أو كلية البوليس ، وهى تفعل مثل ذلك بأبناء الأطباء فى كلية الطب ، فالمدرس المسكين الذى يقوم بعبء تثقيف أبناء الأمة جميعاً أحق من غيره بالإنصاف والتقدير . ونحن نقول : إن إصلاح التعليم إصلاحاً حقيقيًا لن يكون إلا إذا اتجهت جهود المصلحين أولاً نحو المعلم ، وقد قلنا فى كتابنا روح التربية والتعليم : « إن من الواجب أن يستريح المعلمون من المتاعب المالية ؛ فإن راحتهم ضرورية لإصلاح التعليم ، والمتزوج منهم يجب أن يكون فى حالة تمكنه من تربية أسرته تربية صالحة ، وإن المدرس الحزين الكاسف البال لا يستطيع أن يحسن عمله ، أما المدرس البائس فخطر اجتماعى له أثره السيئ فى المجتمع » . ومما ينهض دليلاً على ظلم المدرس أن الحكومة عندما قامت بإنصاف المنسيين من طوائف الموظفين هالها أن تجد معظم المنسيين من المدرسين ، ونحن نرجو ونلح فى الرجاء أن يتجه الإصلاح نحو المدرس ، وأن يقدر حق قدره ، ولو بقبول تعليم أبنائه بالمجان فى جميع مراحل التعليم بلا قيد ولا شرط .

الفصل الرابع

العناية بتربية الأطفال اليوم

العناية بالأطفال فى البيت والمدرسة والملعب :

فى انجلترا اليوم عناية كبيرة بتربية الأطفال تربية صالحة جسميًا ، وعقليًا ، وخلقيًا ، واجتماعيًا . وإن نظرة واحدة إلى صور الأطفال اليوم وصورهم منذ خمسين سنة تظهر لك فرقاً كبيراً بينهم اليوم ، وبينهم بالأمس . وهذا يدل دلالة واضحة على مقدار العناية بالطفل ، وعلى ارتفاع مستوى المدنية بانجلترا ، وعلى النهضة المحسة ، والتقدم العظيم فى التربية والتعليم . فنظرة إلى الوجه ، وقوة الجسم ، واليدين ، والعينين ، والفم ، تدل الناظر على التحسن الكبير فى المستوى ، وتغنيه عن المناقشة فى نهضة التعليم بانجلترا . ولا يجد الطفل عناية بتربيته فى المنزل فحسب ، بل يجد هذه العناية فى المدرسة والملعب كذلك . ويرى عطفاً كبيراً ومعاملة حسنة فى حجرة الدراسة وخارجها ، فهو متمتع بالحياة ، يرى السعادة أينما ذهب ، ويجد الفرصة فى التعلم منذ وجوده فى هذا العالم ، ويجد العناية به حتى قبل أن يرى هذا العالم . وإذا بلغ الثالثة من العمر وجد المدارس الابتدائية أو الأولية تنتظره . وفى المنزل يجد عناية كبيرة من أمه وأبيه فى تعليمهما إياه القراءة والكتابة فى ساعات فراغهما ، وقصهما كثيراً من الحكايات عليه وهو فى فراشه قبل النوم ، وشرائهما له من اللعب التعليمية والآلية ما يناسب سنه . ومن هذه اللعب يتعلم الأعداد والحروف الأبجدية ، والأشكال الهندسية من مثلث ومربع ومستطيل ودائرة ونصف دائرة . . . الخ .

وتُختار له اللعب التكوينية ؛ كأن يؤتى له بأجزاء طيارة أو سيارة . وبمحاكاة ما لديه من الصور والرسوم يمكنه أن يركب الأجزاء بعضها مع بعض ، ويكوِّن منها الطيارة أو السيارة ، ويعرف أجزاء كل منها ؛ والوظيفة العلمية لكل جزء. ولا يختار له من اللعب ما لا يدعو إلى شيء من التفكير ؛ كأن يشترى له قطار صغير ، فإذا ما أدار الألوى فيه جرى القطار على الأرض . فالجو الإنجليزى جو علمى ، والبيئة بيئة علمية .

ومن الممكن أن نقول كثيراً ، وكثيراً جدا عن الألعاب المنظمة للأطفال ، وإعداد كل وسائل الراحة فى الملاعب التى تنشأ فى المتنزهات العامة للألعاب الرياضية المختلفة ، والعناية فى مدارس الأطفال بالموسيقا ، والفنون الجميلة ، واستخدام الصور المتحركة والمذياع (الراديو) فى المدرسة ، والرحلات المدرسية ، والزيارات العلمية ، والطريقة التى يعامل بها ذوو العاهات وضعاف العقول أو الأجسام من الأطفال ، والطرق الحديثة المتبعة فى تربية هؤلاء الأطفال ، ولكن الكتاب لا يتسع لكل هذه الموضوعات .

الطرق الحديثة فى التربية والتعليم

وأهم هذه الطرق الحديثة فى التربية :

(١) — طريقة دلتون :

والغرض منها التخلص من تعليم الفصل فى وقت واحد بمن فيه من أذكياء وأغبياء ومتوسطين أى مادة من المواد من غير مراعاة الفروق فى المستوى العلمى والعقلى بين التلاميذ ؛ وذلك بتقسيم الفصل جماعات صغيرة بحسب الذكاء والمعلومات ، وتكليفهم القيام بأعمال خاصة ، فى زمن معين ، وإعطائهم حرية فى البحث ، وتشجيعهم على القراءة والمراجعة بأنفسهم ، مع إرشاد أساتذتهم

لهم عند الحاجة ، وتعويدهم الاعتماد على أنفسهم ، والثقة بها من الصغر ، حتى يكونوا رجالاً عمليين فى الكبر ، وبث روح التعاون والمساعدة فيما بينهم ، والسير بحسب مقدرة كل جماعة منهم ، فلا يُرهق الضعيف ، ولا يضاع وقت الذكى فى انتظار الغبى[١] .

(٢) — طريقة (مدام منتسورى) الطبيبة الايطالية :

وهى تلك الطريقة المنتشرة فى مدارس الأطفال ، والتى تعمل على إعطاء الطفل حرية كبيرة فى التعلم ، والعمل لتنمية كل حاسة من حواسه بلُعب تعليمية خاصة ، وعدم التدخل فى عمل الطفل إلا عند الضرورة ، وانتهاز الفرصة التى يحتاج فيها إلى التعلم أو الإرشاد ، فتقوم مرشدته بتعليمه أو إرشاده ، ومراعاة أحسن الوسائل العلمية فى تربيته تربية حقة ، فلا يشعر الطفل بأنه فى سجن ، بل فى روضة علمية تعمل لتربية حواسه ووجدانه وعقله وجسمه وخلقه وشخصيته . ومن القواعد التى سلم بها فلاسفة التربية أنه يجب أن يعطى الطفل أكبر فرصة فى تربيته تربية كاملة من كل الوجوه .

(٣) — طريقة (مس تشارلوت ماسون) :

(مس تشَارْلُوت ماسُون) هى تلك المربية الإنجليزية الكبيرة التى أنشأت جماعة للآباء ؛ للعمل على النهوض بتربية الطفل ، وأنشأت مدرسة نموذجية فى (آمبلْسَيد) وأخذت تنفذ كل المبادئ الصالحة فى التربية بمدرستها ، نذكر منها :

(ا) إيجاد روح التعاون فى المدرسة ؛ تعاون التلميذ مع المدرس .

(ب) العمل بقاعدة الحرية المعقولة فى التعليم .

---

(١) ارجع إلى ما كتبناه عنها وعن غيرها من الطرق باسهاب فى كتابنا « الاتجاهات الحديثة فى التربية » . بمكتبة عيسى البابى الحلبى بمصر .

(ح) عدم إرهاق الطفل بأوامر ونواه لا حاجة إليها .

(ء) تعويد الطفل الاعتماد على نفسه فى التعلم والبحث .

(هـ) تشويقه إلى العمل وترغيبه فيه .

(و) مراعاة عالم الطفل وطبائعه وغرائزه دائماً .

(ز) العمل بنظرية الحكم الذاتى فى المدرسة .

(ح) التفكير فى الطفل قبل أى شىء آخر ، والعمل لإعداده للحياة التى تنتظره ؛ بالجمع بين التعليم النظرى والعملى .

تعد مدرسة «مس تشارلوت ماسون» من أحسن المدارس النموذجية فى انجلترا.

(٤) — طريقة اللعب :— (١)

وتنسب إلى « المستر كولدول كوك » ؛ وهى طريقة تشوق التلاميذ إلى العمل ، وتشجعهم على القيام بعمل محاضرات ، ومناظرات ، وتمثيل روايات ، وكتابة مقالات وقصائد شعرية . . . وتدعوهم إلى العناية بالفنون الجميلة من موسيقا وغناء ورسم ... وفيها يقوم التلاميذ بكثير من الأعمال فى المدرسة التى تعد مملكة صغيرة لا تفكر إلا فى الأطفال ، وتهذيبهم ، و إسعادهم ، وإدخال السرور على قلوبهم ، وتعليمهم للوصول إلى الكمال أو ما يقرب منه . وهناك طرق أخرى كثيرة لا يتسع المقام لذكرها هنا ؛ فارجع إليها — إن شئت — فى كتابنا « الاتجاهات الحديثة فى التربية . »

قال (شيشرون) الفيلسوف والخطيب الرومانى (١٠٦ — ٤٣ ق . م .) : « يجب أن تبتدئ التربية من أول أدوار الطفولة وتستمر طول الحياة . »

والحق أن الطفل فى انجلترا يجد من يفكر فيه حتى قبل ظهوره فى هذا العالم ؛

(١) اقرأ : The Play Way, by H. Caldwell Cook. ثم ارجع إلى ما كتبناه عنها فى كتابنا : «الاتجاهات الحديثة فى التربية» وكتابنا «روح التربية والتعليم» بمكتبة عيسى البابى الحلبى.

فقبل الزواج تفكر الطبقة الراقية من الإنجليز فى مقدار تأثير « الوراثة » فى الأطفال ؛ فلا يقدمون على تزوج من به أو من بها مرض من الأمراض العقلية ،

(شكل ٦) درس عملى فى الطهى لفرقة من البنات

أو العصبية ، أو الرئوية ، خوفاً من أن يكونوا سبباً فى إيجاد طفل معتوه ، أو مجنون ، أو مسلول . وحينما يولد الطفل يجد من يعنى بأمه ، ومن يعنى به ، و بوزنه كل أسبوع ؛ لمعرفة مقدار نموه ، هل هو طبيعى أو غير طبيعى . و إذا كانت الأم من الطبقة العاملة ، وأرادت للضرورة أن تعمل لكسب معيشتها ، أمكنها أن تترك ابنها فى دار من دور الحضانة المعدة لتربية الأطفال ، وتدفع عنه ستة بنسات فى اليوم ، وتذهب لعملها . و إذا بلغ الطفل من العمر سنتين أمكن إدخاله نوعاً خاصًّا من مدارس الأطفال ، حيث يجد كل عناية بصحته وغذائه وتربيته . وتقوم الحكومة بمساعدة هذه المدارس . و إن روح الغيرة نحو العناية بتربية الطفل ظاهرة جدًّا فى انجلترا . وطريقة التفتيش الطبى بها لا نظير لها فى جميع أنحاء

العالم. والسلطات المحلية مسئولة عن التعليم الابتدائى ، والمركزى ، والتكميلى ، بحيث يناسب سن الأطفال ، وقواهم العقلية ، وأحوالهم الشخصية . وعلى تلك السلطات أن تتأكد من أن الفقر لا يقف عائقاً فى سبيل تعلم أى فرد من الأفراد التعلم الذى يناسبه ، وأن تعمل كل وسائل التسهيل للتلاميذ الذين تبعد مساكنهم فى القرى والأرياف عن المدارس كى لا يحرموا التعليم ؛ فكبار التلاميذ يُعطون دراجات لاستعمالها ، وينقل صغارهم بالمجان فى سيارات المجالس المحلية ، ويقبلون فى القسم الداخلى إذا كان فى المدرسة الأولية الريفية قسم داخلى .

كلمة (السير تشارلس تريفليان) فى المؤتمر الصحى :

ولنذكر هنا ما قاله (السير تشارلس تريڤليان) وزير المعارف البريطانية (سنة ١٩٣١) فى المؤتمر الصحى العام بانجلترا ، نقلاً عن مجلة التربية الحديثة (ص ١٤٨) من السنة الخامسة :

« إن هذه أول مرة ينعقد فيها هذا المؤتمر للبحث فى الشئون الصحية وعلاقتها بالتربية ، وإنى لمغتبط تمام الاغتباط ؛ لأن حالة الطفل الآن أحسن منها بكثير فى الماضى ، فالطفل في أيامنا أطول قامة ، وأثقل وزنا ، وأفضل تغذية من الطفل قبل ٢٠ سنة » .

« ولقد نجحنا فى مكافحة ضعف الأطفال الناشئ من عيب فى البصر ، أو نخر فى الأسنان ، أو تضخم فى اللوز والغدد ، أو من إهمال النظافة ، أو من سوء التغذية. وإنى على سبيل المثال أذكر لكم الأعمال التى قام بها المجلس الصحى العام للمدارس سنة ١٩٢٩ . فإنه قد عالج ٧٨٧٩٢٦ طفل من المصابين بأمراض بسيطة ، و٢١٦٤٩٦ من المصابين بضعف البصر وبالحول ، و ٧٥٧٩٤ مريض بالحلق

والأنف ، و١١٠٥٦٦٣ مريض بالأسنان . وقد تمت هذه المعالجة فى أنحاء متفرقة من البلاد ، والمرجو أن يتمكن الأطباء فى القريب العاجل من استئصال شأفة الأمراض المتفشية فى الأطفال » .

« ولقد اتجهت العناية فى المدة الأخيرة بالأطفال الضعاف الذين تستدعى حالتهم الخاصة أن يتوافر لهم القدر الكافى من الهواء النقى ، ونور الشمس ، والراحة ، والتغذية المناسبة . وكل هذا موجود فى المدارس التى تدرس فى الهواء الطلق، والتى يوجد منها الآن ١٠٩ مدرسة ، يتعلم فيها أكثر من ١٠ آلاف طفل. وزيادة على ذلك قد تألفت ١٨ هيئة ، واتخذت العدة للمعالجة بالأشعة الصناعية. وفى السنة الماضية تألفت ٢٠٠ جماعة لمعالجة العيوب والتشوهات الجنسية كالكساح وما شاكله . أضف إلى هذا ثلاث مدارس أخرى مختصة بمعالجة أمراض وجع المفاصل (الروماتزم) فى الأطفال .

« والواجب على الحكومة والسلطات المحلية أن تتعاون على مكافحة أمراض الأطفال قبل دخولهم فى السن المدرسية ، ومع أن التعليم الصحى لم يكن إلى عهد غير بعيد معدًّا من الأمور الأساسية فى التربية إلا أن الأفكار قد اتجهت فى المدة الأخيرة إلى وجوب تعليم الأطفال العادات الصحية » .

وقال أيضا : « إنه ما من شىء جذب اهتمامه الكامل ولقى منه كل عناية وتشجيع وهو وزير للتربية أكثر من مسألة تقديم الطعام لأطفال المدارس . ويتمنى أن تعم هذه الطريقة جميع المدارس ، لا لأن الطعام من مستلزمات الصحة فحسب ، بل لأن الطعام الساخن الذى تقدمه المدارس أفضل للطفل بكثير من أحسن أنواع المشطور (السندوتش البارد » .

« وفى سنة ١٩٣٠ كان فى (كِنْت : Kent) ٤٣ مقصفاً مدرسيًّا ، تقدم

الأكل للطلبة بثمن الأكلة الواحدة ٣ بنسات (١٢ مليما تقريبا) . ومن الأكلات التى يتناولها الطلبة وعددها ٤٣٥٣٠٠ أكلة ، كان منها ١٥٠٠٠ أكلة بغير مقابل. وإن كمية اللبن التى يقدمها المجلس الوطنى لتعميم استعمال اللبن لأطفال المدارس كمية كبيرة جدا ؛ فاللبن يقدم الآن لخمسمائة ألف طالب صغير ، وهذا العدد يقابل أربعمائة ألف منذ ستة أشهر » .

ولقد ذكر أثر اللبن فى صحة الأطفال الذين يرزحون تحت عامل سوء التغذية فقال : « إن كل طالب دون الثامنة يعطى بالمجان نصف رطل من اللبن يوميا ، وكل طالب فوق الثامنة يعطى رطلا كاملا » ، ولقد تحسنت صحتهم كثيراً على اللبن .

العناية بالشئون الصحية والتربية البدنية اليوم

فى المدارس الإنجليزية

لقد عنيت انجلترا عنـايه تامة من أوائل القرن العشرين بالشئون الصحية والتربية البدنية فى مدارسها ؛ فسنت قانونين : —

(١) قانون إطعام الأطفال فى المدارس .

(٢) قانون التفتيش الطبى عنهم .

فنجحت نجاحاً كبيراً فى تحسين النشء . وغريب جدًّا أن انجلترا انتظرت إلى القرن العشرين حتى أدركت أن من الواجب أن يجعل الطفل صالحاً للتعليم ، قادراً على التعلم ، وأن يجعل التعليم موافقاً لمدارك الأطفال ومستواهم . ولا تعجب إذا قلت إن المدرس منذ خمسين سنة كان يكلف القيام بتعليم ٨٥ تلميذاً فى

المدارس الأولية ، وكان غذاء الأطفال رديئاً ، وملابسهم ممزقة ، والعناية بالصحة قليلة . فكنت ترى على وجوههم كل بؤس وشقاء . تألم الدكتور (بارنارْدو) لهذه الحال المحزنة الأليم كله ، فقام بجانب أعماله الخاصة بكل ما يخفف آلام هؤلاء الفقراء المساكين ، فأنشأ ملجأ باسم (Dr. Barnardo's Home) يضم بين جوانبه هؤلاء المهملين من أبناء السبيل الذين لفظتهم الحياة ، وتنكرت لهم الإنسانية ، وقام بتعليمهم والعناية بهم .

وليسمح لى القارئ بأن أستطرد وأقول : إنه كان لدينا جيش كبير من السائلين بجانب المساجد ، وفى الطرق من عمى وصم وبكم وعرج ومعتوهين . ولكثرتهم كان يعيرنا الزائرون من الأجانب بأن مصر بلد السائلين . والحق أننا لسنا فى حاجة إلى المدارس فحسب ، ولكننا فى حاجة إلى الملاجئ الكثيرة أيضاً حتى نقضى على هذا الجيش المتعطل من هؤلاء . ولفتح ملاجئ فى البلاد والمدن نحتاج إلى كثير من المال . وليس فى استطاعة أى حكومة فى العالم أن تقوم بكل مشروع تحتاج إليه بلادها . فالأفراد يجب أن يقوموا بواجبهم وبخاصة الأغنياء منهم . وقد أحسنت الحكومة المصرية فسنت قانوناً سنة ١٩٣٣ يمنع السؤال ، وفى الوقت نفسه قامت بإنشاء كثير من الملاجئ فى جميع أنحاء القطر .

ولزيادة الفائدة أبين هنا ما يفعل فى انجلترا لجمع الأموال التى تعول الملاجئ والمشافى والجماعات الخيرية ، لعلى أجد من يعمل بهذه الطريقة فى مصر : — (١)

---

(١) نهضت مصر فى السنوات الأخيرة نهضة مباركة ، فبدأت بمشروع القرش وأنشأت بعض المصانع والملاجئ ، وأخذنا نسمع كثيراً عن يوم المستشفيات ، ويوم الهلال الأحمر ، ومشروع البر ، ومشروع الحفاء ، وجماعة إنقاذ الطفولة المشردة .

فى انجلترا لا تخلو بلدة من ملجأ . والوسيلة لجمع المال هى تكوين جماعة خيرية مكونة من رئيس وأمين صندوق وكاتب وأعضاء للقيام بأمور الملجأ مثلا . والمفروض فى الجماعة طبعاً الأمانة والإخلاص . والثقة بين الأفراد صفة جميلة فى الشعب الإنجليزى . وتختار أيام الأسواق عادة لجمع الإعانات فيها ؛ وذلك بأن تكتب الجماعة لعدد معين من السيدات ترجوهن التبرع بمساعدتها بالمجىء فى يوم كذا للوقوف بمكان خاص . فتقف كل سيدة فى مكان معين ، وباحدى يديها صفيحة مقفلة ، فى أعلاها فتحة صغيرة لوضع النقود منها ، وبيدها الأخرى مجموعة من علامات أو إشارات خاصة ، مرسوم عليها صورة طفل من الملجأ ، وبالإشارة دبوس . وتتقدم السيدة لكل من يمر أمامها من رجال وسيدات وأطفال ، فيتبرع كل فرد بما تجود به نفسه ، ويأخذ إشارة ويضعها فى عروته ؛ كى لا تطالبه سيدة أخرى بعد ذلك . وكلما ملئت الصفيحة أتى بأخرى وأودعت المملوءة فى أقرب مصرف أو مكتب بريد . وفى آخر النهار تجمع الصفائح كلها ويحصى ما فيها . وقد تحصل الجماعة من التبرعات فى ذلك اليوم على ما يزيد على ألف جنيه . فإذا تكرر الجمع كل أسبوعين مثلا أمكن أن يجمع من المال فى كل بلدة أو مدينة ما يكفى إنشاء ملجأ يقوم بتعليم اللقطاء واليتامى من الأطفال ، ويأويهم حيث لا مأوى لهم ، وبهذه الملاجئ تقضى على جميع السائلين من الفقراء والعجزة . وعندى أنه يمكن اختيار بعض الرجال الموثوق بهم لجمع التبرعات بدلا من السيدات فى مصر .

ولنعد إلى موضوعنا فنقول : إنه يمكن أن يتضح ما حدث فى انجلترا من التغيير والإصلاح ، والعناية بالأطفال من الكلمة الآتية وهى مقتبسة من تقرير[1] ضابط التعليم بلندن سنة ١٩٢٦ : —

---

(١) اقرأ : The Report of the Education Officer for London. 1926

إن المذكرة الآتية جديرة بالذكر ، وهى عن مدرسة كانت تعد منذ سنوات ليست بالقصيرة أردأ مدرسة فى لندن ، فلقد كانت فيما مضى مركزاً للقتال ، فالجهات المجاورة كانت تتقاتل مع إدارة المدرسة ، والتلاميذ كانوا يتشاجرون مع المدرسين ، والآباء كانوا ينصرون أبناءهم ؛ وكان العقاب البدنى شائعاً ، وإهمال الواجب أمرا عاديًا ، وكان الأطفال يرسلون إلى المدرسة وملابسهم خرق بالية ، وحالتهم هى التعس والشقاء ، يأتون فى الشتاء من غير أحذية ولا جوارب ، فى الوقت الذى تكون فيه الأرض والأشجار والنباتات كلها بيضاء مغطاة بطبقة كثيفة من الثلج ، وكثيراً ما كان المدرسون يشترون الخبز لتلاميذهم من مالهم . فكان المدرس يقوم بمجهود كبير نحو تعليم التلاميذ النظام ، وإطاعة القوانين ، والعناية بالعمل . وكان يعمل كل وسيلة لكسب محبتهم وصداقتهم بدلاً من عداوتهم . أما الآن فقد ظهر نشء جديد ، وجيل حديث ، نشأ فى عصر يخالف العصر الماضى ، ويفوقه رقيًا فى المستوى وفى العناية بالصحة ، والتربية البدنية ، وملاءمة المبانى المدرسية الجديدة . ففى المدرسة الإنجليزية اليوم لا تجد طفلاً بغير حذاء ، ويندر جدًا وجود تلميذ يلبس ملابس ممزقة أو خرقاً بالية . لا كسل ولا إهمال ، ولا ضعف ولا اصفرار ؛ لأن الأطفال اليوم يجدون فى المدرسة وخارجها عناية كبيرة بالألعاب الرياضية ، وصاروا يحبون جو المدرسة ، لأنه جو يشجع على حب الذهاب إليها ؛ جو الترغيب والتشويق ، لا الإرهاب والتخويف . والآباء اليوم أحسن منهم بالأمس ، والجيل الحاضر أرقى من السابق علماً وصحة وحياة . . .

والآباء الآن يثقون ثقة كبيرة بطائفة التعليم ، ويشعرون بما تؤديه هذه الطائفة لهم من جليل الأعمال ، ويساعدون المدرسين كل المساعدة فى تنفيذ النظم

المدرسية التى يضعونها . وفى ذكر هذه النتيجة السارة نقول : إن التفتيش الطبى والعناية بالشئون الصحية ، والتربية البدنية ، وحسن معاملة الأطفال كان لها أثر كبير فى تحسين أحوال التعليم والتلاميذ والمدارس .

الغرض من التفتيش الطبى فى انجلترا

ليس الغرض من التفتيش الطبى فى المدارس الإنجليزية إعطاء إجازات مرضية ، ونصح التلاميذ بأخذ مُسْهِل حينما يكون فى الفم دمل مثلا ، وإنما الغرض الفحص عن المريض فحصاً دقيقاً ، ثم معالجته بعد معرفة المرض ، وأسبابه وعلاجه ، وأسباب الوقاية منه . فطبيب المدرسة بانجلترا يعرف كل ما يتعلق بالحالة الصحية للتلاميذ ونموهم الجسمى ، بالبحث عن الأمراض المدرسية ، ونصح التلاميذ بطريقة العلاج المناسب . ويتطلب التفتيش الطبى — زيادة على ذلك — تعويد الأطفال القوانين الصحية ، وتعليمهم قواعد الصحة الشخصية . ويختبر الطبيب كل تلميذ طبياً ثلاث مرات فى حياته المدرسية : حينما يكون عمره خمس سنوات ، ثم ثمانى سنوات ، ثم اثنتى عشرة سنة . وللآباء والمعلمين الحق فى استشارة الطبيب عن أبنائهم وتلاميذهم فى أى وقت عند الحاجة . وفى كل سنة يرى شىء من التقدم . ويبدو هذا التقدم واضحاً من صور التلاميذ اليوم ، وصورهم قبل اليوم . ويقول هؤلاء الذين يبغون المثل الأعلى إن هناك أموراً أخرى كثيرة يمكن أن تفعل ؛ فمثلا حياة الطفل قبل مجيئه إلى المدرسة تحتاج إلى نوع أكبر من الرقابة ، فالمدارس هى التى تتسلم البضاعة التى لحقها الضرر فى السنوات الأولى من حياة الطفل ، ويمكن تعليم الصحة أحسن مما تعلم الآن ، وتحسين طرق البحث الصحى ، والإكثار من الانتفاع بالهواء الطلق ونور الشمس .

يقول (السير جورج نيُومَان) : إن التلميذ اللندنى سنة ١٩٢٤ يختلف عن تلميذ سنة ١٨٩٤ فى ستة أمور وهى : —

(١) أنه أكثر نظافة وملابسه أحسن من قبل .

(٢) حاله أحسن ، وسلوكه كذلك .

(٣) هو أذكى عقلا ، وأسعد حياة .

(٤) جسمه أقوى ، وصحته أجود .

(٥) تنفسه الآن من الفم نادر جدًّا .

(٦) قوة الأيدى اليوم مختلفة .

وفى لندن تقوم الممرضات باختبار التلاميذ كل ثلاثة أشهر ، ووزنهم وقياسهم لمعرفة مقدار نموهم الجسمى ، واختبار بصرهم ، وإرسالهم إلى طبيب العيون إذا اقتضت الحال ذلك . وهنا جماعات لاعدد لها لرعاية الأطفال والعناية بأمورهم ، ومساعدة من يحتاج منهم إلى المساعدة . ولقد ذكر فى التقرير الأخير عن التعليم بلندن :

أنه يرسل عدد كبير من أطفال لندن إلى الأرياف للحاق بمدارس المصروعين أو مدارس الهواء الطلق ، أو مدرسة (سوانلى) للعيون ، أو مستشفى (سَتُون) للأذن ، أو إلى مصحات الأمراض الصدرية ، أو إلى مستوصفات وجع المفاصل . وفى كثير من المدارس فصول لمعالجة الأطفال الذين يحتاجون إلى مقدار أكثر من الرياضة البدنية . فكل نوع من الأطفال يجد ما يحتاج إليه من العلاج . ولقد أثمرت المساعدة التى تقوم بها المدارس نحو الشواذ من الأطفال بلندن ثمراً طيباً فى تحسين مستوى الصحة والجسم . وللعناية بالشئون الصحية والتربية البدنية قلت نسبة الوفاة بانجلترا بين الأطفال . ولإرشادات الأطباء والممرضات وعناية الآباء أثر

كبير فى تحسين الصحة . ولا غرابة فالآباء فى الجيل الحاضر هم الآباء الذين تعلموا فى المدارس الأولية بعد أن دخلها كل إصلاح .

الجماعات الخيرية لرعاية الأطفال :

وفى انجلترا جماعات خيرية للعناية بالمدارس ، والنظر فى شئون تلاميذها . وفى لندن وحدها ما يبلغ الألف . وتعمل هذه الجماعات كل وسيلة لإسعاد الأطفال والعناية بأمورهم . وتختار منهم الذين لا يجدون فى منازلهم من الطعام ما يكفيهم ليتناولوا بعض الأكلات فى المدرسة . وتكوّن هذه الجماعات من ممرضات ومربيات يزرن المنازل ، ويتعارفن بالأمهات ، ويعملن لتنفيذ إرشادات الطبيب فى العلاج . وتعنى هذه الجماعات عناية كبيرة بمساعدة من يلاقى أى صعوبة من التلاميذ ، سواء أكانت صحية أم مالية ، مدرسية أم منزلية . وتقوم بنصح الآباء من جهة مستقبل أبنائهم فى العمل ، وتعمل كل وسيلة لإيجاد عمل مناسب للتلاميذ حينما يتركون المدرسة ويتهون من الحياة المدرسية .

ويشعر الشعب الإنجليزى الآن بأهمية الصحة والتربية البدنية عاملين من عوامل الرقى يوضعان موضع العناية . ويُعتمد على المدرسين عموماً ، والأطباء خصوصاً فى الشئون الصحية المدرسية . والأمة تقدر نتيجة استشارة الطبيب فى تلاميذ المدرسة ، وتشعر بالفائدة التى تعود عليها حينما يكون الأطفال أقوياء الأجسام ، صحيحى الأبدان . وقد يتشدد الأطباء فى فائدة التهوية فى الحجر الدراسية ، ويعارضون فى الواجبات المنزلية بالمدارس الثانوية ؛ لأنها تضر بأعصاب التلاميذ . كل هذا التحسن مشاهد فى الصحة . والحق أن التقدم الصحى بانجلترا ظاهر كما تشهد بذلك التقريرات الصحية عن المدارس . ولا تتعارض النظم التى تسير عليها المدارس مع الشروط الصحية .

التعاون فى سبيل تربية الطفل

بين المدرسة والمنزل

من مظاهر التربية الحديثة أن التعاون فى المدرسة يجب أن يحل بالتدريج محل المنافسة ، وأن المدرسة والمنزل يجب أن يعملا متعاونين فى سبيل تربية الطفل تربية يلصح بها للحياة التى تنتظره ، تربية اجتماعية كاملة ، بحيث يتعود التعاون مع غيره من الصغر ؛ حتى يستطيع أن يقوم بأعمال جليلة فى الكبر . ربما لا يستطيع الآباء فى المنزل أن يروا الغرض من الحياة أو معنى الحياة ، وقد يكونون محبين لأنفسهم ، يأخذون ولا يعطون . وهنا تبدو الحاجة إلى المدرسة ؛ فإنها تأخذ وتعطى ، وتدرك معنى الحياة ، وتستطيع القيام بمساعدة المنزل فى تربية الطفل تربية علمية عملية صحية تلائم البيئة التى ينسب إليها .

وسائل إعداد الطفل للحياة الكاملة

إن أحسن الوسائل التى بها يستطيع المنزل والمدرسة معاً إعداد الطفل للحياة الكاملة هى :

(١) العناية بالدور الأول من الحياة وهو دور الطفولة ؛ فإنه الأساس الذى يبنى عليه مستقبل الطفل وحياته . ولقد بلغت بالإنجليز العناية بالطفل لدرجة أنهم يفكرون فيه حتى قبل أن يولد بخمسين سنة على الأقل ، فالطبقة الراقية منهم تفكر فى أثر الوراثة فلا يتزوج أحد من هذه الطبقة بمن به أو بها مرض من الأمراض العقلية أو العصبية أو الرئوية ، خوفاً من التسبب فى إيجاد طفل معتوه أو مجنون أو مستعد للسل .

(٢) أن يعطى الطفل حرية كبيرة لتنمية مواهبه وقواه التى تعد هبة للحياة الاجتماعية . ولا نقصد بذلك أن ندع الطفل يفعل كل ما يشاء ، بل نعطيه فرصة فى أن يعمل ويجرب ، ونراقبه عن بعد حتى يظهر خطؤه ، وندعه يحاول إصلاحه بنفسه ، ونساعده عند الحاجة ، ونعمل على أن يعرف نفسه ، ويعتاد ضبط شعوره وعواطفه ، والصبر ، والتجربة ، والمثابرة ، والتفكير فى الجماعة وروحها ، بحيث نضحى فى سبيله بكل شىء آخر ، فلا نفكر إلا فى الطفل وتقويمه وتهذيبه ليكون المثل الأعلى فى الحياة .

(٣) العناية بالألعاب الرياضية ، فإنها أحسن وسيلة لتقويم خلق الطفل ، وتقوية جسمه ، بها نبث فيه حب العمل والتفكير لا فى نفسه بل فى الفرقة التى يشترك فيها ، وبذلك نميت فيه ذلك المرض النفسى ، مرض حب الذات ، والتفكير فى النفس ليس غير .

(٤) الحاجة إلى معرفة أن الطفل يحتاج أحياناً إلى الهدوء والصمت .

(٥) العمل للإصلاح دائماً . والتفاهم بالمحادثة الودية خير طريقة للعلاج والإصلاح . والمراقبة فى دور البلوغ والمراهقة واجبة ، لأن هذا الدور أشد أدوار الحياة خطراً .

(٦) العناية بالفنون ، والأعمال اليدوية ؛ فهى وسيلة للنمو العقلى والخلقى وكسب المهارة .

(٧) يجب أن يتم التعاون بين المدرسة والمنزل ، للوصول بالطفل إلى الكمال . فإذا لم يكن هناك تعاون بينهما فمن المحال أن نصل إلى الغرض الأسمى من التربية .

وفى الأمم المتمدينة وبخاصة انجلترا والولايات المتحدة بأمريكا تجد الثقة متبادلة بين المدرسة والمنزل ، والرابطة بينهما كبيرة ، يتعاون كل منهما على تثقيف الطفل

وإفادته ، فليست المدرسة فى واد والمنزل فى آخر . وإنى أسف لأن أقول إن المدرسة وحدها فى مصر هى التى تجاهد منفردة فى سبيل تربية الطفل ، فالمنزل منفصل عنها كل الانفصال، وقد يهدم ما تبنيه أحياناً ، ولاسبب لذلك إلا انتشار الجهل والأمية . وحبذا الأمر لو قامت المدرسة بدعوة المتعلمين من الآباء فى وقت معين كل ثلاثة أشهر مثلا للتفاهم والبحث معهم فى الأمور التى تتعلق بشئون الأطفال ، والنظر فى أحوال التعليم ، ومستقبل التلاميذ ، والعمل لرفع مستواهم العلمى والخلقى والصحى والاجتماعى .

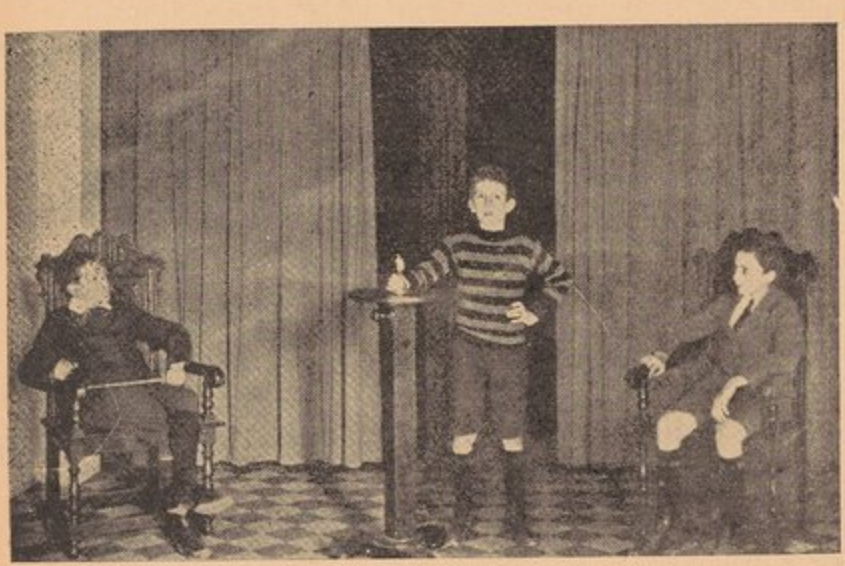

(شكل ٧) التمثيل فى يد المربى الماهر وسيلة من وسائل التربية

وفى (نيويورك) تجد المدرسة تعمل للتقريب بينها وبين المنزل ، فالآباء فى الولايات المتحدة بأمريكا أعضاء عاملون فى الحياة المدرسية ، يذهبون إلى المحاضرات التى تلقى فى المدرسة ، ويشتركون فى مناظراتها ، ويساعدون فى مقاصفها ، ويعاونون فى محافلها الاجتماعية .

وبأمريكا الآن جماعات للآباء والمدرسين فى كل مكان تلقى فيها محاضرات عن : أعمال المدرسة ، والغرض منها ، والطفل ، ونفسيته ، وتربيته ، ومعاملته . والكل يفكر فى الطفل ، ثقة بأن طفل اليوم هو رجل الغد ، وأثر التربية اليوم يظهر فى الغد ، وما تزرعه اليوم تجنى ثماره غداً .

والوسيلة الوحدة لإصلاح الجيل المقبل وترقيته هى العناية بالجيل الحاضر . فإذا عنينا بأطفال اليوم وتربيتهم تربية صالحة فى المدرسة ، والمنزل ، والملعب ، انتظرنا ثمرة طيبة ، وشعباً راقياً فى المستقبل .

التعاون فى مدارس الأطفال فى وِنِتْكا :

وفى مدارس الأطفال فى وِنِتْكا (Winnetka) بأمريكا يشترط لقبول التلاميذ أن يرضى الآباء معاونة المدرسة ، والاشتراك مع موظفيها فى العمل ، وبغير ذلك لا يقبل الأطفال . وفى انجلترا قد بذلت جهود كبيرة فى السنوات الثلاثين الماضية للتوحيد بين هذين العاملين : المدرسة والمنزل ، وتوثيق عرا الرابطة بينهما . ولقد نجحت هـــذه المجهودات ، وصار الآباء يعنون بأمور التعليم ، يسترشدون برأى المدرسة ، ويستعيرون من خزانة كتبها إذا شاءوا ، ويدعون للمجتمعات الموسيقية والتمثيلية والرياضية ؛ ولكى يروا أبناءهم يغنون أو يمثلون ، أو يلعبون ، ويشاهدوهم طلبة يقومون خير القيام بكثير من الأعمال من إدارة مطعم ، وتنظيم حديقة ، وتنظيف فصول ، ومراقبة ألعاب رياضية ، وإدارة مكتبات ، وتوزيع الأدوات وجمعها بعد الانتهاء منها ، وإصلاح كل ما يحتاج إلى الإصلاح فى المدرسة . فالطفل عضو عامل فى المدرسة ، يعوَّد من صغره الاعتماد على نفسه ، والاستعداد للحياة العملية العالمية باشتراكه مع رفقائه فى الفصل ، والمعمل والمصنع ، والمحفل والملعب الرياضى .

وفى المنزل يجد الطفل الإنجليزى مدرسة أخرى صغيرة ؛ فالبيئة علمية ، والجو علمى ؛ أم تعلمه، وأب يرشده، وخادم تقرأ له. فالكل يفكر فيه صباحاً ومساء. فى الصباح يأتى الطفل إلى أمه بالصحيفة اليومية فتقرأ له الجزء الخاص به من الصحيفة عن الفيل والنمر مثلاً ، فيعرف ماتم من أمرهما . ثم تقطع له هذا الجزء فيضعه بين كتبه الخاصة ، فى حجرته الخاصة بكتبه ولعبه . وفى الساعة السابعة مساء يتناول كوباً من اللبن أو فنجاناً من المرق بعد الاستحمام ، ثم تأخذه أمه إلى فراشه وتقرأ له بعض الحكايات السارة ، وتنشده شعر الطفولة ، وتغنى له بعض الأغانى بصوت هادئ جميل حتى ينام ، فتتركه إلى الصباح .

وترحب المدرسة الإنجليزية بالآباء ، وتريهم الأعمال التى يقوم بها أولادهم فيها ، وتعمل لإيجاد روح التعاون بينها وبين المنزل .

والمدرس الحازم يستطيع أن يساعد الآباء فى معرفة أن الحياة لا تقصد طفلاً واحداً ، أو أسرة واحدة ، أو مدرسة واحدة ليس غير ، بل تقصد المجتمع الذى ينسب إليه الفرد ، والذى يجب أن يقوم الكل بواجبه نحوه ؛ حتى تزول الأثرة التى تظهر فى بعض الآباء الذين لا يفكرون إلا فى أبنائهم وبناتهم . فالمدرسة تستطيع بمعاضدة المنزل أن تقوم بجلائل الأعمال نحو الأخلاق والإنسانية وتحسين المستوى الصحى والاجتماعى والعلمى والخلقى . ولسنا فى حاجة إلى تكرار القول بأن التعاون بين المدرسة والمنزل هو الوسيلة الوَحِدة لنجاح التعليم . وبالمنتديات يمكن الجمع بين الآباء والمدرسين لاستماع روايات أو مناظرات يقوم بها الطلبة والمدرسون . وبهذه الطريقة تتم الرابطة ، ويلم الشعث ، ويعمل الجميع لإسعاد الطفل وتربيته تربية حسنة .

ولقد أوحت روح بستالوتزى إلى المدرسين بأن يكسبوا معاونة الآباء؛ فإن هذا التعاون هو العامل الأول لنجاح الإدارة المدرسية . وإن كانت المدرسة فى حاجة

فإنها فى حاجة إلى مساعدة المنزل ؛ فالمدرسة هى التى تتسلم البضاعة التالفة ؛ يأتى الطفل إليها يتكلم لغة غير لغتها ، متخلقاً بأخلاق سيئة . وحينئذ تجد عمل المدرسة مضاعفاً ؛ فتبتدئ تعلمه لغة جديدة أو لغتين ، وبجانب بث الأخلاق الفاضلة فيه تعمل لتقويم المعوج منها .

وإنى أعتقد أن الطفل يتمنى أن يأخذ والده فى إحدى يديه ، وأستاذه فى يده الأخرى ، حتى يعمل الكل وحدة «ثلاثية» متينة الاتصال تعمل لشىء واحد ؛ هو رقى المجتمع ، والوصول إلى الحياة الكاملة .

الفصل الخامس

البحوث العلمية فى التربية

البحث العلمى :

البحث العلمى نوع من الاستذكار والتفكير العميق يحتاج إلى كثير من الفحص والاستقصاء ، والدقة فى العمل ، والمثابرة ، للوصول إلى حقيقة من الحقائق ، أو نتيجة من النتائج . ويعمل البحاثة عادة مستقلا بنفسه ، أو مشتركا مع غيره فى البحث . وفى النهاية يكتب تقريراً يبين فيه النتائج التى وصل إليها بعد بحثه . ويحتاج الباحث إلى كثير من الصبر والأناة ، وحب الاطلاع والعمل ، وإلى مرشد يرشده إن كان مبتدئاً .

والحق أنه لم يكن بانجلترا قبل سنة ١٨٨٠ بحوث علمية فى التربية والتعليم كالبحوث الطبية والصناعية التى كانت بها ، وذلك لأن الجماعات التى كانت متصلة بالتعليم وكانت مسئولة عنه إذ ذاك — كرجال التعليم ، ومديريه ، والجامعات — لم تكن لتكترث للبحث العلمى فى التربية ، وكانت تحتقر كل ما يدعى « نظرية » ، ولم تشعر بأن مسائل التربية والتعليم تستحق العناية التى تعطى الطب أو الصناعة . وإننا لا نقصد بذلك أنه لم يكن هناك أحد مطلقاً يعنى بالتعليم والإدارة ، ويكتب عنهما ، فإننا إذا رجعنا الى ذلك العهد وجدنا كتباً كانت تقرأ فى التربية باللغة الإنجليزية مثل « حياة أرنولد » تأليف ستانلى ، وكتب ثرنج ، وفتش ، وكويك ، ولكنها كانت تعد على الأصابع .

والآن وقد مضى أكثر من خمسين سنة — قد صارت التربية حقلا مثمراً يدور فيه كثير من البحوث والتجارب العلمية الخاصة بالتعليم ، واليوم يستطيع الإنسان أن ينظر إلى كل جهة فيرى علامات التقدم فى البحث العلمى ، ويمكنه أن يجد مؤلفات ثمينة لا عدد لها ، وتجارب كثيرة ، وكلها حول التربية والتعليم ، والمدرِّس والمدرَسة ، كما يجد مؤلفين من المربين والمربيات ، يضحون بكل أوقات فراغهم فى سبيل ترقية التعليم ، ويتعاونون مع أقسام التربية فى الجامعات على بحوثهم وأعمالهم ، كما يتعاون الأطباء والعلماء فى بحوثهم بعد الانتهاء من الدراسة . وترحب المدارس الثانوية فى انجلترا الآن بمن يرسل إليها من طلبة المعلمين فى الجامعة للبحث أو التجربة . وإنى أقول إنها الآن ترحب بهم ؛ لأنها كانت من قبل تقف فى سبيلهم ، ولا تحتمل ذهابهم إليها . أما المدارس الابتدائية فكانت تفتح أبوابها أمامهم دائماً وتشجعهم بكل ما أوتيت من الوسائل . ولهذا الترحيب من جانب المدارس الثانوية فائدة كبيرة للباحثين ؛ فإنه لا يمكن البحث وعمل التجارب إلا إذا بذلت المدارس جهدها فى تسهيل السبل أمامهم ، كما لا يمكن تكليف من لا يحب البحث أن يبحث .

النجاح فى البحث العلمى :

وستكون نسبة النجاح فى هذه البحوث كبيرة إذا تحققت هذه الشروط وهى :

(١) مساعدة المدارس للباحثين .

(٢) أن يكون الباحثون ممن يميلون كثيراً إلى البحث والاطلاع .

(٣) أن يشعر المدرسون فى المدارس بالحاجة إلى هذه البحوث ، ويعملوا لتشجيعها بإخلاص . أما إذا اقتنع المدرسون بأعمالهم وطرقهم فى التدريس

وأبغضوا كل فحص واستقصاء فإن المربين فى معاهد التربية وغيرها لا يمكنهم أن يقوموا بكثير من بحوثهم .

بحوث التربية :

وفى الكليات الكبيرة والجامعات الحديثة الآن كراسى للتربية ، وقسم للبحوث العلمية الخاصة بالتربية ، يلحق به المحبون للبحث من الطلبة ، ويراقبهم أحد المربين أو المربيات . ويسمى هذا المراقب رئيس الطريقة أو رئيستها ، ويختار من الأكفاء المعروفين بالمقدرة . ولقد برهنت هذه البحوث على أن التربية حقل صالح للبحث كالطب وغيره ، وأصبح الكل يعتقد أن التربية — كفنٍ خاص — لا يمكن أن تتقدم وترقى إلا بالبحث العلمى فيها ، وفى فروع أخرى من العلوم ؛ فالتربية ليست مادة يمكن استذكارها مجردة عن غيرها من العلوم . ولا يمكنها أن تجد أساساً متيناً إلا على قاعدة النجاح فى الفلسفة ، والتاريخ ، وعلم النفس ، وعلم وظائف الأعضاء ، والطب والقانون .

ويقوم المفتشون والمديرون وغيرهم من الموظفين بوزارة التربية والتعليم بكثير من البحث التربيبى لترقية التعليم ونظمه . وإن ماتصدره وزارة التربية والتعليم بانجلترا من تقريرات وإرشادات وكتيّبات[1] عن كل مادة من المواد فى أدوار التعليم المختلفة لدليل كاف على ماقامت به من خدمة التعليم بهذه البحوث العلمية المتصلة .

علوم التربية فى مصر

وهنا يجدر بنا أن نذكر كلمة عما لقيته علوم التربية فى مصر فنقول :

« كانت كتب التربية وعلم النفس هنا فى حكم العدم قبل القرن العشرين . أما اليوم فلدينا كتب معدودة قام بتأليفها بعض الأساتيذ الذين كان لهم حظ الدراسة

(١) تقوم الوزارة بطبعها وبيعها بثمن زهيد

والتعلم بالبلاد الأوروبية أو الأمريكية . ولكن هذه الكتب لا تكفينا ، وإننا فى حاجة كبيرة إلى كثير منها ، كما أننا فى حاجة إلى تشجيع البحث العلمى فى التربية والتعليم ، والتنقيب فى ذلك العالمَ الكبير ، عالمَ التربية ، بحيث يشمل البحث دراسة الطرق الحديثة فى التربية ، وكتابة كتيب عن كل منها ، ودراسة النظم ، والقوانين ، والمناهج ، والكتب المستعملة فى المدارس المصرية ، والقيام بتأليف الكتب الضرورية فى تاريخ التربية ، وقواعدها ، وطرق تدريس جميع المواد ، وعلم النفس العام ، وعلم النفس الاجتماعى ؛ وعلم النفس التعليمى ، ونفسية الأطفال العاديين ، ونفسية الشواذ والمعتوهين ، وعلم النفس التجريبى ، وعلم النفس الإجرامى ، والنظر فى طرق إصلاح التعليم فى جميع مراحله ، بذكر العيوب ثم الطريقة التى بها يمكن إصلاح تلك العيوب ، وذلك بتكوين جماعة أو جماعات من الأكفاء المجدين من رجال التربية والتعليم ، يختص بعض أفرادها بالبحث والفحص ، وبعضها بترجمة الكتب التى ترجمت إلى كل اللغات الحية ماعدا اللغة العربية ، مثل « إميل » لجان جاك روسو ، و« تربية الإنسان » ، (لفردريك ولهلم فروبل) وكتاب «عن التربية» لهربرت سبنسر ، و «أصول علم النفس» لوليم جيمس ، وبعض الكتب الحديثة مثل كتاب (السير برسى نن) فى التربية ، وكتاب (وليم مكدوجل) فى علم النفس الاجتماعى ، وغير ذلك من الكتب الكثيرة التى لا تعد .

والسبب فى قلة المؤلفين والمترجمين للكتب العلمية بمصر هو عدم التشجيع ، لقلة القراء من جهة ، وعدم ميل المتعلمين والمعلمين إلى القراءة والاطلاع من جهة أخرى ؛ فقد تجد أفراداً يريدون القيام بتأليف بعض الكتب النافعة ، ولكن يمنعهم عدم التقدير ، والشك فى أن ما ينفقونه فى طبع الكتب قد يكون خسارة مالية عليهم . وهم لا يحبون أن يقوموا بمجهودين : مجهود عقلى ومجهود مالى فى وقت

واحد . وقد نلتمس لهم المعذرة ، لأن الكتب العلمية فى مصر كانت كاسدة ، ولأن الناشرين لا يقدرون جهود العلماء والمؤلفين . أما الروايات ، روايات العشق والغرام ، والانتحار والإجرام فرائجة . ولا عجب إذا قل التأليف العلمى والتربوى.

وقد شعرت وزارة المعارف بالنقص فى البحث العلمى ، ففكرت منذ سنوات فى تكليف أعضاء البعثات العلمية فى الخارج أن يقوم كل منهم بعد عودته إلى مصر بتقديم مؤلف فى المادة التى تخصص بها ، أو ترجمة رسالته إلى العربية ، أو ترجمة أى كتاب مفيد .

ولكن الفكرة وقفت ولا ندرى من أمرها شيئاً حتى الآن ، مع أننا على أبواب نهضة ربما لا تثمر ثمرتها إلا بقيام عمل إجماعى فى حركة الترجمة والتأليف . ولو قام كل عضو كان فى البعثة بتأليف كتاب واحد فى مادته لكنا اليوم أغنياء فى كل مادة من المواد ، ولكن مع الأسف لم تستفد مصر من دراسة كثيرين من أعضاء البعثات .

الاستزادة العلمية بعد الحياة الدراسية

إن ما يعرفه الطالب فى أثناء حياته المدرسية فى جميع مراحل التعليم لا يكفى لتكوينه من الوجهة العلمية . فعليه — إن أراد النجاح فى عمله — أن يستمر فى بحثه واطلاعه بعد الانتهاء من دراسته العالية ، لا فرق فى ذلك بين المدرس والطبيب ، والمحامى والقاضى . . . فالمدرسة أو الكلية أيها الطلبة تفتح لكم الأبواب الموصدة ، فعليكم أن تجتازوها ، وتسيروا فى الطريق إلى النهاية . إنها

تعطى الضروريات ، وعليكم البحث عن الكماليات . إنها تمنحكم جزءاً من العمل فعليكم إتمام البقية ، وبالإضافة إلى مادة التخصص يحتاج الإنسان إلى نوع أدبى من الكتب للتسلية كالروايات الأدبية ، والشعر الخيالى ، فإن الشعر — ولو أنه يحتاج إلى قليل أو كثير من التفكير — غذاء وطرب للنفوس ، يؤثر فيها تأثير الموسيقا . وإنى أقول — والأسف يملأ قلبى — إن معظم المتعلمين فى مصر لا يقرءون شعراً ولا نثراً اللهم إلا الصحف اليومية . ونصيحتى لكل متعلم مثقف أن يخصص ساعة من أوقات فراغه كل يوم ليقرأ فيها شيئاً من القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ، ثم شيئاً من شعر المتنبى ، وأبى العلاء المعرى ، أو مقامات الحريرى ، أو البيان والتبيين للجاحظ ، أو العقد الفريد لابن عبد ربه ، أو الكامل للمبرد ، أو الأمالى لأبى على القالى ، أو زهر الآداب لأبى إسحق الحصرى القيروانى ، أو تاريخ الطبرى ، أو الإحياء للغزالى ، أو نحو ذلك من الكتب العربية الثمينة التى لا عدد لها . وأن يدرس كذلك حياة بعض العظماء ، أمثال الخلفاء الراشدين ، وخالد بن الوليد ، وصلاح الدين الأيوبى ، ومحمد على الكبير ، ونابليون ، ونلسون ، وواشنطون ، وأبراهام لنكولن ، ومصطفى كمال ، وهندنبرج ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول ، وحياة بعض العلماء والأدباء والفلاسفة والمربين ، أمثال الفارابى والكندى وابن سينا وابن رشد والغزالى والسيد جمال الدين الأفغانى ، والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده من الشرقيين ، وجان جاك روسو ، وجيته الألمانى ، وإسحق نيوتن ، وتشارلز دِكِنْز ، والسير وولْتَر سكوت ، واللورد مَاكولِى ، وصمويل جُونْسُون ، وجَن رَسْكِن ، ورُوبَرْت لويس ستيفنْسون ، وبرَوْننج ، وبَيْرون ، ووردْسورث ، وجورج بِرْنارْد شو ، وه . ج . ويلْز ، وڤيكتور هوجو ، وأناتُول فرانس من الغربيين .. الخ .

ولا أريد بالقراءة مجرد القراءة ، بل القراءة مع الإمعان والتفكير . لا أريد أن تقرأ كأنك فى طائرة تطير ولا غرض لك إلا الحركة ، بل تقرأ مع الروية والتدقيق — ولو أن فى ذلك بعض الإجهاد والبطء فى المقدار الذى تقرؤه — ساعة كل يوم زيادة على ما تقرؤه للتخصص ، وستشعر بعد قليل بفائدة كبيرة من بحثك واطلاعك .

وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوماً فإن الحر ليس بنائم
ومن تكن العليـاء همة نفسه فكل الذى يلقاه فيها محبب

فينبغى أن يعرف الطالب بعض الشىء عن كل شىء ، وكل شىء عن بعض الشىء ؛ أى أنه يجب أن يتعلم شيئاً من كل مادة من المواد ، وأن يعرف كل صغيرة وكبيرة عن المادة التى يتخصص بها .

الفصل السادس

المدارس الأولية الراقية والمركزية

متى يبتدئ التعليم فى هذه المدارس ؟

يبتدئ التعليم الأولى الراقى عادة من سن ١١ إلى سن ١٤ ، وقد يستمر إلى سن ١٦ أو ١٨ سنة ؛ وذلك بعد الانتهاء من منهج التعليم الأولى العام ؛ لأن من التلاميذ من ينتهى من منهج هذا التعليم الأولى قبل سن ١٥ — أى قبل السن التى يسمح لهم فيها بمغادرة المدرسة ، ولا تسمح أحوالهم الخاصة باللحاق بالمدارس الثانوية . فمثل هؤلاء التلاميذ يلحقون بالفصول أو المدارس الأولية الراقية حتى يسمح لهم بترك المدرسة . وفيها يتعلمون لغة أجنبية ، والطبيعة والكيمياء ، والعلوم الرياضية ، واللغة الإنجليزية وآدابها ، والجغرافية ، والتاريخ ، وبعض المواد التى لها علاقة بمهن التلاميذ فى المستقبل . ولم تنجح فكرة المدارس الأولية الراقية ، فأنشئت المدارس المركزية لهؤلاء التلاميذ ، ولمن يريد الاستزادة من التعليم المجانى ، وهى مدارس متوسطة أرقى من المدارس الابتدائية ، وأقل من المدارس الثانوية ، أعدت للتعليم العملى الذى يناسب سن التلاميذ ، ومقدرتهم ، وما يحتاجون إليه من الوجهة الصناعية أو التجارية .

منهج المدارس المركزية :

هو منهج صناعى ، أو تجارى ، أو صناعى وتجارى فى آن واحد بحسب ما يتطلبه الإقليم والبيئة . ويجد المنهج التجارى إقبالا أكثر من المنهج الصناعى ؛

لأن الأول يساعد الغلمان والفتيات على اللحاق بالحوانيت التجارية مباشرة ، من غير احتياج إلى أى إعداد آخر .

وفى المدارس المركزية التجارية تدرس : لغة أجنبية (الفرنسية غالباً ، ولو أن الأسبانية قد تكون أكثر فائدة .) والعلوم (وتشمل الاشتغال بالمعمل) ، والرسم ، والأشغال اليدوية (للبنين) ، والتدبير المنزلى (للبنات) ، والاختزال ، وأعمال المكتبات ، والكتابة على الآلة الكاتبة ، واللغة الإنجليزية ، والجغرافية والتاريخ ، والعلوم الرياضية ، والغناء ، والتربية البدنية . والغرض من ذلك كله تعليم الفتيان والفتيات شيئاً عن الأعمال الكتابية والعالَم التجارى . وتختار الموضوعات الدراسية بحيث تناسب الطلبة عملياً ؛ لأن العناية بالتعليم العملى فى هذه المدارس أكثر من العناية بالتعليم النظرى ، وبخاصة اللغة الأجنبية والعلوم الرياضية والرسم .

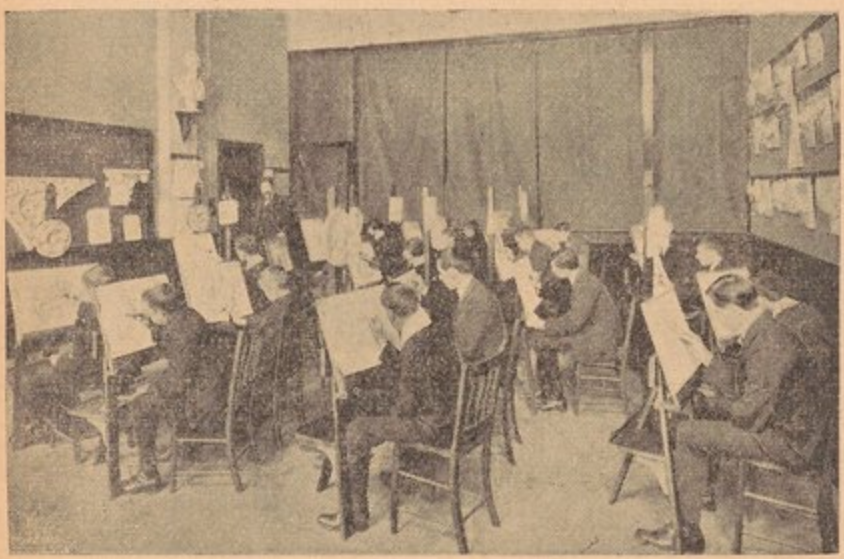

حجرة الرسم والفنون الجميلة فى إحدى المدارس المركزية

المنهج الصناعى فى المدارس المركزية :

أما المنهج الصناعى فلم يحدد التحديد الأخير ؛ لأنه لا يزال فى دور التجربة . وليس الغرض منه إلا العناية بالصناعة وجعلها فى المقدمة . ويختلف المنهج الصناعى باختلاف المناطق ، ويتغير بحسب ما تتطلبه الجهة . وعلى العموم يمكننا أن نقول إن التعليم العملى فى الرسم والعلوم ، وعمل الصلصال ، والنجارة ، والحدادة — هو الأساس فى تعليم البنين . أما البنات فيتعلمن : العلوم ، والتدبير المنزلى ، والرسم ، وأشغال الإبرة . وفى هذا المنهج الصناعى لا تعلم اللغات الأجنبية عادة . أما الجغرافية والتاريخ والمواد العامة الأخرى فتعلم كما فى المنهج التجارى ، ولكن ينظر إليها من الوجهة الصناعية أكثر ؛ ففى منهج التاريخ مثلاً يدرس تاريخ الصناعات ، ونظامها ، وتأثير الاختراعات فى الصناعة وهكذا .

المدرسون فى المدارس المركزية :

هم أرقى من مدرسى المدارس الابتدائية العامة ، وهم من الفنيين ، وكثير منهم حاصل على درجات من الجامعات ، ويؤخذ التلاميذ عادة من المدارس الابتدائية القريبة . ولما كانت المدارس المركزية جديدة كان عددها قليلا لا يكفى ما تحتاج إليه المدن منها . وكل مقاطعة تفكر فى إنشاء ما يكفيها من هذه المدارس ؛ فلندن مثلا تفكر فى إنشاء ٦٠ مدرسة مركزية ، ومنشستر ترى إنشاء ست مدارس ، وبها ١٩ مدرسة مركزية . ولا نستطيع الآن أن نحكم إن كانت هذه المدارس ستقوم بالغرض الذى من أجله أنشئت أو لن تقوم به . والمستقبل خير حكم ، ولكن يؤخذ مما كتب عنها أن التجربة ناجحة موفقة .

فالمدارس المركزية نوع خاص من المدارس للتعليم الراقى الذى يتلو التعليم الابتدائى ، ويلحق بها من لا تسمح حاله باللحاق بالمدارس الثانوية . وفى لندن يختار التلاميذ بالامتحان ، أو بتقرير — من المدارس الابتدائية التى كانوا بها — يؤخذ منه أنهم انتهوا من التعليم الابتدائى . ويمكثون فى هذه المدارس عادة أربع سنوات . وتعد هذه المدة قصيرة . والفصول المدرسية كبيرة . وهذا ما يعاب على المدارس المركزية .

الفصل السابع

المدارس التكميلية

Continuation Schools

أو

التعليم الفنى والصناعى والتجارى

مقدمة فى الاصلاح الاجتماعى والمصلحين :

لقد كان لهؤلاء المصلحين (رُوبَرْت أُوِن[1] ، ومُوريس[2] ، وكِنْجسلى[3] ورَسْكِن[4]) الفضل الكبير فى الإصلاح الاجتماعى بانجلترا ، وفى المطالبة بتعليم الطبقات الفقيرة التعليم الأولى أولاً ، ثم التعليم الفنى أو الصناعى أو التجارى أو الزراعى ثانياً ؛ لتخريج عمال وصناع مهرة فيما يقومون به حتى تظهر الأمة الإنجليزية بالمثل الأعلى بين الأمم فى الفن والصناعة والتجارة والزراعة . وقد عنى الإنجليز بالصناعة منذ مدة ليست بالقصيرة ، وهم بحكم بيئتهم يميلون إليها ، فلا عجب إذا نجحوا فيها . وفى سنة ١٨٥٠ كان بانجلترا نحو ٦٠٠ مصنع . وفى سنة ١٨٨٩ سنَّت الحكومة قانوناً يخول السلطات المحلية أن تفرض ضريبة مقدارها (بِنِى) (نحو نصف قرش) لإعانة المدارس الصناعية والتعليم الصناعى . وهو يعد تعليما أرقى من التعليم الابتدائى على أى حال .

---

(١) Robert Owen. (٢) Maurice (٣) Kingsley. (٤) Ruskin.

المدارس التكميلية والغرض منها :

المدارس التكميلية بالمعنى الخاص هى مدارس ليلية يكمل فيها التلاميذ الذين انتهوا من المدارس الابتدائية دراستهم ، ويجددون فيها معلوماتهم خوفاً من نسيانها . وبالمعنى العام — وهو المقصود هنا — يراد بها المدارس التكميلية الليلية والنهارية ، والمدارس الصناعية والفنية ، والتجارية ، الخاصة بمن يريدون كسب معيشتهم بما يتعلمونه من الحرف والصناعات . والغرض من المدارس الليلية إعطاء الفقراء فرصة فى تكميل تعليمهم ، وترقية مستواهم فى أوقات فراغهم بعد الانتهاء من أعمالهم اليومية . وكان مؤسسو هذه المدارس ينتظرون إقبالا كبيراً من الشبان والفتيات عليها ، ولكن مع الأسف لم يقبل عليها فى الابتداء العدد الكبير الذى كان ينتظر . وحديثاً أصبح أصحاب الأعمال يشعرون بفائدة هذه المدارس .

أسباب قلة الاقبال على المدارس التكميلية :

(١) جفاف المواد التى كانت تدرس بهذه المدارس ، وعدم صلتها بالحرف التى يرغبون فى الاحتراف بها . ولكن قد عولج هذا النقص بتحسين المنهج ، وإضافة بعض المواد الشائقة كالموسيقا والغناء ، والمحاضرات بالفانوس السحرى ، وزخرفة الخشب ، وعمل نماذج من الصلصال ، والطبخ — إلى المواد الصناعية والتجارية العلمية والعملية .

(٢) كون الذهاب إليها اختياريًّا .

(٣) شعور الشبان والفتيات بعد استخدامهم بأنهم صاروا مستقلين ، قادرين على كسب معيشتهم ، وبغضهم الرجوع إلى المدرسة التى فرحوا بالتخلص منها . وليس فى هذا تحية للمدرسة . ولو عملت المدرسة على أن تبث روح حب التعلم فى نفوس التلاميذ لزالت هذه الصعوبة .

(٤) مطالبة أصحاب المعامل مستخدميهم بأوقات إضافية للعمل فيها ، ممايؤدى إلى عدم المواظبة على الذهاب إلى المدارس التكميلية .

(٥) شعور العمال بالتعب بعد العمل اليومى كثيراً ما يحول بينهم وبين مواصلة الدراسة الليلية .

(٦) عجز المدرسين والمدرسات عن استمالة هؤلاء الشبان وتشويقهم إلى إتمام دراستهم فى المدارس التكميلية .

الوسائل التى يعالج بها ذلك النقص :

(١) وصل المدارس التكميلية بالمدارس الأولية أى الابتدائية بحيث إذا انتهى التلميذ مثلاً من دراسة التعليم الأولى أو الابتدائى فى سن ١١ أو ١٢ لحق فى الحال بالمدارس التكميلية المدة الباقية من مدة التعليم الأولى أو أكثر .

(٢) أن يجتهد المدرسون فى استمالة التلاميذ إلى التعلم ، وبث حب الاطلاع فى نفوسهم .

(٣) أن يتصل المنهج كل الاتصال بالحِرَف التى يريد الفتيان والفتيات تعلمها .

(٤) تعاون أصحاب المعامل والآباء مع المدارس على الحصول على المواظبة التامة.

وقد ذكرت اللجنة الوزارية الاستشارية فى تقريرها عن المدارس التكميلية سنة ١٩٠٩ الوسائل الآتية لتحسين العمل والمواظبة بها وهى :

(١) تحسين المدارس الابتدائية النهارية ، بإدخال كثير من التعليم العملى فى مناهجها الدراسية ، وتصغير حجم الفصول فيها ، وزيادة عدد الأكفاء من المدرسين بها ؛ كى يكون الأساس الذى تبنى عليه المدارس التكميلية متيناً قوى الدعائم .

(٢) عدم إعفاء صغار التلاميذ من الذهاب إلى المدارس الابتدائية ، مع التشدد

معهم فى المواظبة حتى يتحسن مستواهم العلمى ، ويستطيعوا إتمام دراستهم بالمدارس التكميلية .

(٣) قيام المدرسين والنظار بإرشاد الآباء إلى ما يناسب أبناءهم من الحرف والصناعات، وإلى المدارس التكميلية وما بها من المناهج ؛ وذلك بإنشاء جماعات لتسهيل الأعمال والخدمة على التلاميذ .

(٤) الاتصال بالآباء الذين قرب أبناؤهم من الانتهاء من المدارس الابتدائية ، والاتصال أيضاً بأصحاب الأعمال ليساعدوا جميعاً فى استمرار الشبان فى التعليم التكميلى .

(٥) الفحص عن الأحوال الصناعية والتجارية والزراعية بالإقليم ، حتى ترتب مناهج التعليم بحيث تناسب ما يحتاج إليه السكان من الوجهتين : الاقتصادية والاجتماعية .

(٦) إنشاء جماعات استشارية تمثل أصحاب الأعمال والعمال فى كل حرفة أو

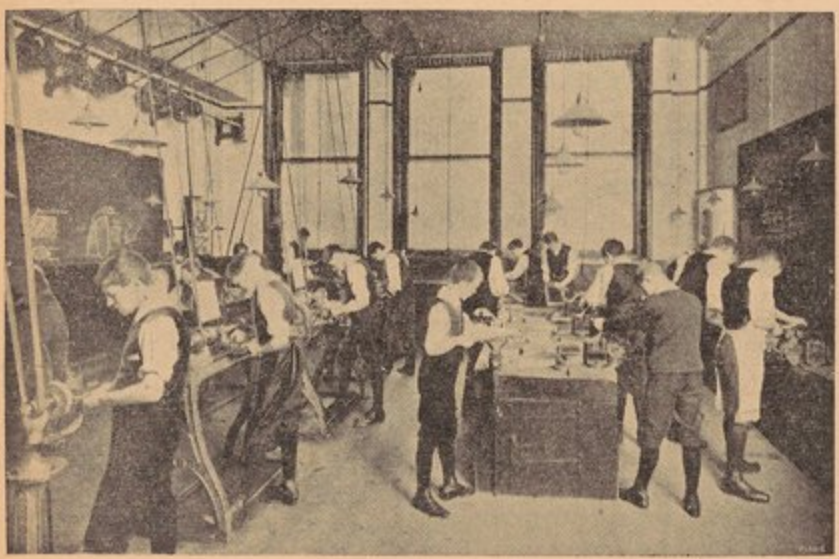

(شكل ١٨) مصنع للمعادن فى مدرسة صناعية

صناعة ؛ للتعاون على وضع المناهج للتعليم الصناعى ، وحث هؤلاء الصغار من العمال على المواظبة .

(٧) القيام بدعاية منظمة لتبيين فوائد المدارس والأقسام التكميلية بالاجتماعات والخطابات وتوزيع النشرات .

(٨) التعاون مع الجماعات الحرة على العمل لتحسين المواظبة .

(٩) إرسال تقريرات لأصحاب الأعمال عن مقدار نجاح خادميهم فى المدارس التكميلية .

(١٠) منح شهادات لمن يواظب من التلاميذ تشجيعاً لهم .

قانون إنشاء الجماعات لتسهيل الخدمة والعمل للشبان :

وقد قامت السلطات المحلية للتعليم بتنفيذ معظم هذه النصائح والإرشادات عمليًّا . وفى سنة ١٩١٠ صدر قانون من قوانين التعليم بإنشاء جماعات لتسهيل الخدمة للشبان ، وهو قانون (اختيار الحرفة أو العمل [١] .) الذى يخول السلطات المحلية أن تعين جماعة خاصة تمثل الصناعة والتعليم يكون من واجبها:

(١) مساعدة التلاميذ الذين انتهوا من التعليم الابتدائى وتركوا المدرسة فى إيجاد عمل يناسب كلاً منهم .

(٢) حث هؤلاء الشبان على أن يتموا دراستهم فى المدارس الليلية .

وفى (ليفربول) تقوم هذه الجماعة بإرسال رسالة إلى كل فتى وفتاة قبل مغادرة المدرسة عند بلوغ السن القانونية هذا نصها :

« إن أعضاء الجماعة يريدون أن تنظر إليهم نظرة أصدقاء لك ، يودون مساعدتك ، ويفكرون فى أمرك . وهناك نقطة يحبون توجيه انتباهك إليها، وهى : يجب ألا تظن أن تعليمك قد انتهى بتركك المدرسة النهارية ، وينبغى أن تلحق

(١) Choice of Employment

بمدرسة تكميلية ليلية تقرب منك . وإن معلمك مستعد دائماً لمعاونتك وإرشادك إلى المدرسة التى تناسبك » .

المجانية فى المدارس التكميلية :

معظم السلطات التعليمية تجعل هذه المدارس بالمجان ؛ تشجيعاً للتلاميذ على اللحاق بها فى أثناء السنة الأولى من خدمتهم بعد ترك المدارس الابتدائية . وأحياناً لاتمنح المجانية إلا إذا ضمن الأب أوصاحب العمل أن يرد قيمة أجور التعليم إذا لم يواظب التلميذ على الذهاب إلى المدرسة . وتقوم بعض السلطات بإعطاء جوائز سنوية لمن يحصل على ٩٠ ٪ فى المواظبة ، وعلى ٦٦ ٪ من درجات الواجبات المنزلية ، بشرط النجاح فى الامتحان النهائى للمدرسة ؛ تشجيعاً للطلبة على الاستمرار فى الدراسة .

والحق أن المخدومين وأصحاب المعامل هم العقبة فى سبيل المدارس التكميلية ، فمعظمهم لا يكترثون لتحسين مستوى هؤلاء الصغار من العمال فى التعليم . وعليهم تقع التبعة فى عدم المواظبة ؛ لأنهم يستطيعون جعل المواظبة شرطاً فى البقاء بالخدمة . وفى استطاعة الحكومة معالجة ذلك النقص بأمرين :

(١) جعل المدارس التكميلية إجبارية من وقت ترك المدرسة الأولية أى الابتدائية لغاية سن ١٨ .

(٢) إلزام كل مخدوم بتسهيل الوسائل لخادميه — الذين لم يبلغوا الثامنة عشرة — فى الذهاب إلى الفصول التكميلية فى الأوقات التى تعينها المدرسة ، والمواظبة على الاستمرار فى الدراسة .

مناهج المدارس التكميلية :

تختلف المناهج باختلاف المقاطعات ؛ فى الجهات الريفية تجد المناهج زراعية غالباً تشمل تربية الدواجن ، وتربية النحل ، وصناعة الألبان من عمل زبدة وجبنة وقشدة ، وزراعة غابات . . . وفى المدن الصناعية تجد الحرف الهندسية والمعدنية والصناعات الكيميائية والكهربية ، وهندسة المبانى . . . والمناهج تدريجية منظمة ، ومعظمها عملى ، وتستغرق سنتين أو أكثر ، وهى مقسمة بحيث تناسب الميول المختلفة هكذا :

تعليم صناعى	تعليم تجارى	تعليم فنى	تدبير منزلى
للمبتدئين وغيرهم من الطلبة فى العلوم والصناعات والأشغال اليدوية .	للفتيان والفتيات الذين يرغبون فى الاشتغال بالأعمال والمحال التجارية . وتدرس بهذا القسم العلوم التجارية واللغات الأجنبية	فى الرسم والفنون الجميلة لمن يرغب فيها ، ويجد ميلا إليها .	للفتيات اللاتى يردن تعلم مواد التدبير المنزلى .

وبالمدارس التكميلية قسم إعدادى للتعليم العام لمن يريدون ترقية مستواهم العلمى .

أنواع المدارس التكميلية :

ومن توضيح أنواع المدارس التكميلية الآتية التى أنشأتها جماعة التعليم التابعة للمجلس المحلى بلندن يتبين أن التعليم عملى فى تلك المدارس وهى :

(١) مدارس تجارية للتعليم التجارى الراقى لكلا الجنسين من الفتيان والفتيات .

(٢) مدارس تجارية للمبتدئين من البنين والبنات .

(٣) مدارس صناعية للمبتدئين .

(٤) مدارس بنات لتعليم التدبير المنزلى وقانون الصحة .

(٥) مدارس صناعية للبنات خاصة .

(٦) مدارس بها أقسام مختلفة للتعليم الفنى والصناعى والتجارى والتدبير المنزلى .

(شكل ١٠) هنا تتعلم البنات كى الملابس

(٧) مدارس عامة لتعليم البنين والبنات تعليماً عامًّا لتحسين مستواهم .

(٨) مدارس للصم من كلا الجنسين ؛ لتعليمهم تعليماً عامًّا .

(٩) فصول خاصة تنشأ لتعليم الطلبة الذين يريدون أن يكونوا من الشرطة ، أو موظفين بمكاتب البريد ، أو سعاة فى الدواوين .

وفى سنة ١٩١٤ كان بتلك المدارس فى لندن وحدها أكثر من ٥٠٠٠٠

طالب وطالبة . وكان الطلبة الذين تقل سنهم عن ١٨ سنة يكلفون الحضور ثلاث ليال فى الأسبوع فى معظم المناهج الدراسية ، والمكث ساعتين كل ليلة ، فى أثناء السنة المدرسية وهى ثلاثون أسبوعاً .

جماعة تعليم العمال [١] :

ينبغى أن نذكر هنا كلمة مختصرة عما تقوم به الجماعات التعليمية للعمال وفروعها من التعليم الراقى لتحسين مستوى الطبقة العاملة . فالصناع والعمال ينتسبون إلى فصول تابعة لتلك الجماعات . ويقوم بالتدريس فيها محاضرون من الكليات والجامعات بطريقة يسهل معها إيجاد علاقة شخصية ، ورابطة حسنة بين الصناع والمحاضرين . وتحتاج المحاضرة إلى ساعتين : الأولى لإلقاء المحاضرة ، والثانية للبحث والمناقشة فيها ، وبهذه الوسيلة يحدث التعارف بين المعلمين والمتعلمين . وفى كل أسبوع أو أسبوعين يطالب الصناع بكتابة موضوع من الموضوعات . أما المواد التى تدرس فى فصول هذه الجماعات فهى : « علم الاقتصاد ، وتاريخ الاقتصاد ، وأدب اللغة الإنجليزية ، وتاريخ انجلترا ، وعلم الاجتماع » .

اقتراح اللجنة الوزارية الاستشارية سنة ١٩٢٦ :

قد اقترحت اللجنة الوزارية الاستشارية فى تقريرها الذى أصدرته سنة ١٩٢٦ فى « تعليم المراهق [٢] » أن تجعل السن التى تترك فيها المدرسة ١٥ بدلا من ١٤ ، وأن ينتقل كل طفل عادى من المدرسة الابتدائية فى سن ١١ إلى نوع آخر من المدارس لدراسة مناهج مختلفة ، بحيث تناسب الميول الكثيرة للأطفال ، وتناسب

---

(١) Workers' Educational Association.

(٢) The Education of the Adolescent

أيضاً ما يتطلبه الإقليم من التعليم ؛ بمعنى أن التعليم الابتدائى يكون مرحلة يجب أن يمر الجميع بها . وينتهى منها فى سن ١١ ؛ ثم ينتقل التلميذ إلى مرحلة ثانوية أخرى يجوز امتدادها إلى سن ١٨ ، أو تركها عند سن ١٥ . ولا ينكر أحد أن تلاميذ المدارس الابتدائية العامة الذين لا يفوزون بمجانية الثانوى يضيعون كثيراً من أوقاتهم من سن ١١ إلى سن ١٤ بمكثهم فى مدارسهم عينها ، وإعادة ما درسوه . وفى ذلك تضييع للوقت والمال الذى ينفق فى تعليمهم .

احصاء عن التعليم الفنى والصناعى :

ولنقتبس هنا هذا الإحصاء الذى نشرته الوزارة الإنجليزية عن التعليم الصناعى والراقى سنة ١٩٢٦ فنقول : —

فى سنة ١٩٢٤ كان مجموع الطلبة والطالبات فى الكليات والمدارس والفصول الصناعية الليلية ٦٣٦٩٢٨ من أعمار مختلفة :

وكان فى المدارس التكميلية النهارية :	٢٣٤١٦	طالب
وفى المدارس الصناعية للمبتدئين :	١١٩٨٨	»
وفى الفصول الصناعية النهارية :	١٢٢٣٣	»
وفى أقسام التعليم الفنى الراقى :	٤١٢٧	»
وفى أقسام أخرى فنية من أنواع مختلفة :	٤٩٩٣٩	»

الأقسام النهارية للمدارس التكميلية :

ويتصل بالمدارس التكميلية الليلية : —

(١) أقسام وفصول صناعية نهارية لتلاميذ المدارس الثانوية الذين يريدون أن يتعلموا بعض الشىء عن الصناعات سنة أو أكثر .

(٢) مدارس صناعية نهارية للمبتدئين ، يتعلم فيها التلاميذ الذين انتهوا من المدارس الابتدائية طول الوقت ؛ ليكونوا صناعاً أو يستعدوا للخدمة فى التدبير المنزلى . ومدة الدراسة فى هذه المدارس سنتان أو ثلاث . وتراعى التربية الخلقية والعقلية والجسمية حتى فى هذا التعليم الفنى أو الصناعى أو التجارى .

جماعات الإرشاد إلى المهنة

رأى المربون أن من الخطأ تعليم الغلمان والفتيات إلى سن ١٤ أو ١٥ ثم الإلقاء بهم فى ميدان الحياة المتلاطمة الأمواج ليغرقوا حيث لا يعرفون أى طريق يسلكون ، وفى أى سبيل يسيرون . فكنت تراهم يلحقون ببعض الصناعات لحاقاً أعمى ، بعيداً عن الرغبة والميل ، فإذا ما بلغوا الثامنة عشرة من العمر وجدوا أنفسهم بين المتعطلين ، أو بين المحكوم عليهم طول الحياة بالاشتغال بمهنة أو حرفة يكرهونها ، أو بعمل لايحتاج إلى مهارة بأجر زهيد. ففى سنة ١٩١٠ صدر قانون يبيح للمجالس المحلية للتعليم أن ترشد التلاميذ والتلميذات إلى ما يناسبهم قبل مغادرتهم المدارس الأولية أو الابتدائية عند بلوغهم السن القانونية . وتساعدهم فى اختيار عملهم ، والمهنة التى يرغبون فيها ، والحرفة التى يريدون الاشتغال بها . ثم أنشئت بوزارة الأشغال ووزارة التربية «جماعات استشارية» مكونة من أشخاص لهم دراية بالصناعات والتعليم ، يمثلون المعامل والمدارس . والغرض من هذه الجماعات إرشاد التلاميذ إلى المهن التى تناسبهم ، وتسجيل أسمائهم بين المتقدمين للعمل ، وحثهم على إتمام دراستهم وتربيتهم فى المدارس الليلية ، ومساعدتهم فى إيجاد عمل دائم لهم ، بحيث يكون الأشخاص فيه قابلين للرقى والتقدم . وتجعل المدرسة مكتباً أو مركزاً للإرشاد والبحث فى شؤون التلاميذ — الذين أوشكوا أن يتركوا المدرسة — وفى مستقبلهم . وكثيراً ما يجتمع الآباء والتلاميذ وأعضاء هذه الجماعات

للاستشارة فى أمور هؤلاء الأولاد . ويقوم النظار بتوزيع نشرات مختلفة عن التعليم والصناعة على التلاميذ المذكورين ؛ ليسترشدوا بها أيضاً فى عملهم وخدمتهم . ولقد أصدرت لندن و بعض السلطات المحلية للتعليم رسائل فى (مهن للشبان)[١] ، (ومهن للفتيات)[٢] فقوبلت قبولاً حسناً من آباء التلاميذ ، وهى خطوة حسنة نحو الطريق المستقيم إلى استخدام الشبان بعد ترك المدرسة .

ولنقتبس هنا كلمة ذكرتها صحيفة « الأهرام » بتاريخ ٢٣ من ربيع الثانى سنة ١٣٥١هـ ، و٢٥ من أغسطس سنة ١٩٣٢ م فى المقالة الافتتاحية مع قليل من التصرف والاختصار : —

« . . . هناك طائفة لم تنل كثيراً ولا قليلا من العناية والاهتمام (بمصر) ، هى طائفة الناجحين فى الامتحانات . فكأن الذين جازوا الامتحان وخرجوا منه بالشهادة المرجوة يكفيهم نجاحهم هذا ، وتكفيهم شهادتهم هذه غنيمة رابحة . فلاحاجة إلى النظر فى أمرهم . . . عشرة آلاف فتى وشاب يؤلفون جيشاً جراراً ينزل إلى ميدان الحياة فى هذا العام .

. . . فما مصير هذه الألوف العشرة من الشبان ؟ وما العمل الذى ينتظرهم كى لا يكونوا عيالا على المجتمع الإنسانى ، بل ليكونوا أعضاء نافعين فيه ؟

هذه مشكلة اجتماعية يجب التفكير فيها تفكيراً جديًّا ، و إلا كان المصير شرًّا مستطيراً ، فإن الاكتفاء بتخريج الألوف فى كل سنة من المدارس دون إعدادهم للعمل أو دون إعداد عمل لهم ، اتكالاً على الشهادة التى بيدهم ، لما يعد سياسة خرقاء فى التعليم . . . لذلك نقول إن مشكلة الناجحين فى الامتحانات لا تقل أهمية عن مشكلة الراسبين . فجدير بالباحثين أن يعالجوها ، وخليق بالحكومة أن تؤلف لديها لجنة بل لجاناً أسوة باللجنة التى ألفتها لبحث مشكلة الراسبين .

---

(١) Trades for Girls. (٢) Trades for Boys.

هذا ما سبقتنا به أوروبة وأمريكة ، فقد ألفت هناك جماعات بمساعدة الحكومة للاهتمام بمصير الناجحين من الطلبة ، وتمهيد سبل العمل أمامهم بما يلائم استعدادهم النظرى ، والعلوم التى تلقوها .

يذهب الطالب إلى تلك الجماعة أو ذلك المكتب بشهادته ، فيحال بادئ ذى بدء إلى طبيب وعالم نفسى فيضع كلاهما تقريره الخاص . ويطلب فى الوقت نفسه من أصدقاء الطالب وعشرائه الرد على أسئلة كثيرة توجه إليهم فيما يتعلق بأخلاقه وميوله ، وأسلوبه فى الحديث ، وعاطفته الدينية ، وعنايته بهندامه ، أهو خجول أم جرىء ، أيميل إلى الحركة أم يركن إلى السكون الخ ؟

وتوجه إلى الطالب نفسه أسئلة لاتقل عن الثلاثين سؤالا ، يجب أن يرد عليها ، عن مشروعاته ، ونوع العمل الذى يميل إليه ، ولماذا ؟

وقد يبدو بعض الأسئلة أحياناً على شىء من التفاهة ، ولكنها فى الواقع ذات أهمية كبيرة فى توجيه الطالب إلى الحرفة التى توافق استعداده الفطرى ، مثال ذلك :

أتفضل المساومة فى الشراء أم السعر المحدد ؟

إذا كنت فى مجتمع يضم بعض كبار الناس فهل تحاول التعرف إليهم أو تؤثر درس أحوالهم عن كثب ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة . ولا يكتفى المكتب بذلك ، بل كثيراً ما يجمع المرشحين للعمل ، ويطوف بهم على المصانع الكبيرة ، والمتاحف ، والمستشفيات ، وإدارات الصحف ، ومكاتب المهندسين والمحامين ، ليروا رأى العين مختلف المهن والحرف .

ومتى اجتمعت الردود وتمت المعلومات لدى المكتب ، يتبين إلى حد كبير الاتجاه الذى يحسن توجيه الفتى أو الفتاة إليه : العلوم أو التجارة أو الصناعة . . . لأن عبقريات كثيرة قد ضاعت لاستخدامها فى غير ما خلقت له .

وهكذا يعرف الطالب بإرشاد رجال الاختصاص والفن نوع العمل الذى يستطيع أن ينجح فيه . ثم يمهد له السبيل للحاق بهذا العمل . فلا يضيع استعداده الغرزى ، ولا يظل تتقاذفه أمواج الحياة حتى تلقى به إلى أى ساحل كان .

هذا بعض ما اضطروا إلى عمله فى أوروبة وأمريكة للاستفادة من الشبان المتعلمين وإفادتهم . أما تعليمهم ثم تركهم وشأنهم يؤلفون جيشاً من المتعطلين الساخطين الناقمين ففيه الخطر كل الخطر . وهذا ما نحن سائرون إليه . . . فينبغى أن نهيئ للشبان سبل العمل لئلا يحل اليأس فى صدورهم محل الأمل ، وأن ننظر فى شأن الناجحين نظرنا فى شأن الراسبين . »

وبانجلترا قد صدر قانون للتعليم سنة ١٩١٠ يبيح للسلطات المحلية إنشاء جماعات خاصة لمساعدة التلاميذ الذين انتهوا من الدراسة الابتدائية فى إيجاد شغل يناسبهم والنظر فى شؤونهم ، والعمل على أن يلحقوا بالمدارس التكميلية الليلية ، ليتموا دراستهم بها . وإن أنس لا أنس نص الرسالة التى ترسلها (جماعة ليفربول) إلى كل تلميذ ينتهى من مدرسته الأولى تبين له فيها استعدادها لمساعدته ، ومعاونته على إيجاد عمل له ، وتشجيعه على الاستمرار فى التعليم ليلاً ، فارجع إليها ثانية إن شئت (فى هذا الفصل ص ١٠٨)

الفصل الثامن

التعليم الثانوى

المدارس الثانوية أمس واليوم :

منذ مائة سنة أو أكثر كان التعليم الثانوى بانجلترا متأخراً . ومما يؤخذ على هذا النوع من التعليم فى ذلك الوقت أربعة أشياء — كما يقول الأستاذ « ثرنج »[1] وهى :

(١) جعل شؤون التعليم فى أيدى الجهلة .

(٢) وضع المدرسين الأكفاء تحت سلطة رئيس جاهل بالتعليم وما يتطلبه من خبرة وكفاية .

(٣) وقوف السلطة التى كانت تتولى إدارة التعليم ضد كل تجربة أو كل إصلاح .

(٤) كانت المدارس الحديثة لا تترك للأشخاص المجددين من المربين ذوى الآراء الجديدة ، بل كانت تترك لنظار لا يعرفون إلا قليلا عن التربية والتعليم . ولو عاش « ثرنج » إلى اليوم لوجد المدارس الثانوية الإنجليزية فى منتهى الرقى ، فقد ابتدأ الإصلاح منذ عين (توماس أرنولد)[2] ناظراً لمدرسة

---

(١) Thring (٢) Thomas Arnold

(رَجْبِي) (Rugby) ، وذلك منذ مائة سنة تقريباً . فلقد كان له الفضل الأكبر فى كثير من الإصلاحات ، فجعل مدرسته نموذجاً تقتدى به المدارس الأخرى وتحذو حذوه . وكان لشخصيته البارزة أثر كبير فى النهوض برَجبِي ، فأحيا التعليم الثانوى من مماته ، وأيقظه من سباته ، وأدخل فى المنهج اللغة الفرنسية ، والعلوم الرياضية ، وعنى بالتعليم الدينى ، والألعاب الرياضية المنظمة ، وبث روح التعاون والحياة الاجتماعية فى المدرسة . فكان (توماس أرْنولْد) فى رَجبِي مربياً عملياً ، وبطلا فى الإصلاح الدينى والتعليمى . ولا عجب ففى الكنيسة والمدرسة كان القادة يطالبون بالإصلاح ، ورفع المستوى العلمى والخلقى ، فأخذت الإصلاحات تنتشر منذ سنة ١٨٢٠ إلى يومنا هذا . وابتدأ المصلحون يفكرون فى البيئة الاجتماعية ، وفى نفسية الشباب ، وعُنوا بالدراسة ، ووضعوا الأساس للحياة الاجتماعية فى المدرسة ، ولكنهم بالغوا فى ترك القيادة والتبعة للعرفاء والكبار من الطلبة فى المدرسة والملعب والفصل . وكثيراً ما كان صغار التلاميذ يقاسون الآلام من قسوة الكبار وتحكمهم فيهم . ولا يزال هذا النظام سائداً فى مدارس الخاصة ، وهو لا يخلو من حسنات وسيئات . وكانت العناية كبيرة بحشو أذهان التلاميذ بالمعلومات ، والمدرسة مبنية على المنافسة الممقوتة بين الأفراد ، تلك المنافسة التى تؤدى إلى الحقد والبغض بين صغار المتعلمين . وكان التلاميذ يجبرون على الفضيلة بالعقاب تارة ، وبالتهديد والوعيد تارة أخرى . تلك حال المدرسة الثانوية بالأمس ، أما اليوم فقد تغير الحال ، وأصبح التعليم الثانوى مثلا عالياً مؤسساً على النظريات الحديثة فى التربية ، فالتلميذ يلعب لا لينتصر على تلميذ آخر ، لكنه يلعب ويدخل المباراة فى اللعب لنصرة الفرقة التى ينتسب إليها ، ويجتهد ليفوز بجائزة يشرف بها مدرسته . فهو يعمل ناسياً نفسه ، مفكراً فى الجماعة التى هو منها ، ويخضع لروح الجماعة ، ويحترم مبادئ

الجماعة . فروح التعاون ، روح الوفاء منتشر الآن بالمدرسة ، والتلاميذ — وإن اختلف كل منهم عن الآخر فى طباعه وميوله — يمثلون فى المدرسة الثانوية الآن أعضاء أسرة كبيرة ، لهم مالها ، وعليهم ما عليها ، يخلصون لها ، ويعملون لرفعتها . وماذا يتعلمون من الدروس الاجتماعية فى المدرسة ؟ الجواب فى جملة واحدة : « يتعلمون واجبهم نحو جيرانهم » ؛ أى واجبهم نحو إخوانهم ، واجبهم نحو مدرستهم ، واجبهم نحو المجتمع . ولا تزال طريقة (أرْنولْد) متبعة فى مدارس الخاصة إلى يومنا هذا .

تلاميذ الكشافة فى المدرسة الثانوية يقيمون خيامهم فى معسكرهم

وفى الوقت الذى بدأ فيه توماس أرْنولْد إصلاح مدرسة (رَجْبِى) كان العالم الأوربى أخذ فى إنشاء السكك الحديدية ، وتسهيل وسائل النقل ، وأخذت الثروة فى الازدياد ، وظهر كثيرون من الأغنياء ، وتطلب الإنجليز فى مستعمراتهم وراء البحار زيادة عدد المدارس ؛ ليتعلم فيها أبناؤهم بانجلترا . فأنشئ عدد كبير من المدارس الثانوية الداخلية ؛ منها مدرسة (مَلْبَرا) لأبناء القسس ، ومدرسة (وِلِنْجتُون) لأبناء الضباط . وتبقى مدارس الخاصة تلاميذها إلى أكثر

من سن ١٨ ، ولها صلة بالجامعات ، وهى مستقلة إلى درجة كبيرة . وقد تخرج فيها عدد كبير من عظماء الرجال الذين كان لهم الفضلُ فى عظمة انجلترا . وسنتكلم عنها بإسهاب عند ما نذكر أنواع المدارس الثانوية .

روح التعليم الثانوى اليوم :

كان التعليم الثانوى بانجلترا فى القرن التاسع عشر متأخراً غير منظم ، وكان بها آلاف من المدارس الحرة — التى تسمى نفسها ثانوية — البعيدة عن رقابة الوزارة . ولم يكن بها نظام معين للتعليم الثانوى قبل سنة ١٩٠٢ . ومنذ ذلك الوقت بدئ بتنظيم هذا النوع من التعليم ، وتحديد الغرض منه ، وأصلحت المدارس الثانوية ، وأدخل فيها روح جديد ، هو روح التربية الحقة والإصلاح . ويختلف التعليم الثانوى بانجلترا كثيراً عن التعليم الابتدائى ؛ فإذا كانت المدارس الابتدائية تعتمد فى نجاحها على طرقها الصالحة التى تتبعها فى التعليم ، فالمدارس الثانوية تعتمد فى نجاحها على شخصية المدرسين بها . ويجدر بنا أن نقول إن المدارس الثانوية الإنجليزية تعنى بالتربية والتهذيب أكثر من عنايتها بالعلم والتعليم ، ولا غرض لها إلا التربية الحقة ، والوصول إلى المثل الأعلى . وفى المدرسة يعمل كل فرد للوقوف موقف العدالة ، وإلا عرض نفسه لأن ينبذه المجتمع المدرسى .

ومن المبادئ المستحسنة فى تلك المدارس الثانوية : الاشتراك فى الألعاب الرياضية والعناية بها ، والاستحمام بالماء البارد صباحاً ، والعناية باللغتين : اللاتينية والإغريقية أكثر من العناية بالطبيعة والكيمياء والحساب والهندسة والجبر . ومن المبادئ المستقبحة فيها : تغيير الحقائق وبعبارة أخرى الكذب ، والغضب ، وعدم ضبط النفس ، والغش فى اللعب ، والتظاهر بالضعف أو الخسارة .

التلاميذ فى المدارس الثانوية الإنجليزية :

إن تلاميذ المدارس الثانوية الإنجليزية من طبقة تختلف عن طبقة الذين يلحقون بالمدارس الأولية[١] ؛ فأبناء الطبقة الخاصة والتى فوق الوسط يندر أو يبعد إرسالهم إلى المدارس الأولية ، ويتعلمون التعليم الابتدائى فى مدارس إعدادية خاصة بهم . أما أبناء الطبقة العاملة والمتوسطة التى إلى الفقر أقرب فلا يجدون فى العادة طريقهم إلى المدارس الثانوية إلا إذا كانوا من الأذكياء الذين نجحوا فى مباراة ، أو حصلوا على جائزة المجانية فى المدارس الثانوية . وهذه هى الفرصة التى بها يختلط أبناء الطبقات الدنيا بأبناء الطبقات العليا ، وبها دخلت الروح العامة (الديمقراطية) فى التعليم بانجلترا . وكثيراً ما تشكو هذه المدارس أن الاختلاط قد أدى إلى إفساد تقاليدها القويمة . ولقد اشترطت الحكومة على مديرى تلك المدارس الثانوية أن يقبلوا نحو ٢٥ فى المائة من عدد تلاميذ المدرسة بالمجان ممن يفوزون بجائزة المجانية من المدارس الأولية ، بدلاً من الإعانة التى يتسلمونها من الوزارة . وبهذه الوسيلة لا يقبر ذكاء الفقراء من الإنجليز . ولقد أظهر هؤلاء الأذكياء من الفقراء مقدرة كبيرة ، وكانوا القادة فى المدرسة — القادة من الوجهة العلمية — وفى مقدمة المجدين فى أعمالهم ، والمثل الأعلى فى أداء واجبهم . وفى كل سنة يقبل فى المدارس الثانوية بالمجان أكثر من ٣٠٠٠٠ تلميذ من الطبقة الفقيرة . وفى سنة ١٩٢٦ كان عدد طلبة المجانية فى تلك المدارس ١٣٤١٧٧ طالب .

الألعاب الرياضية وأثرها :

ومن الخطأ أن نظن — كما يظن الكثيرون — أن الألعاب الرياضية مفضلة

---

(١) فى أمريكا الشمالية تجد الجمع بين الطبقات المختلفة فى مدرسة واحدة سواء أكانت ابتدائية أم ثانوية ، وهذا روح « الديمقراطية » .

كل التفضيل على الدروس فى معظم المدارس الإنجليزية ؛ فهذا غير الحقيقة ؛ ففى انجلترا يقدر النبوغ أينما وجد ، وتشجع العبقرية أينما كانت . وإن انتشار جوائز المجانية للفائقين فى الذكاء والمعرفة ساعد الأذكياء فى العمل للوصول إلى المكان اللائق بهم . والتلميذ الفائق فى المدرسة يعد المثل الأعلى لدى رفقائه . والذى يؤخذ على نظام التعليم هناك حقيقة هو إهمال المتوسطين فى المقدرة والاستعداد فى دور التعليم الثانوى ؛ فهم لا يجدون التعليم الحى الذى يجده التلميذ المتوسط فى ألمانيا . وبذلك تخسر انجلترا خسارة كبيرة بعدم الانتفاع بقوة هذا العدد من التلاميذ . والألعاب الرياضية خير وسيلة لتربية الأخلاق ، وتقوية الأجسام ؛ فهى تعلم التلاميذ كيف يضبطون شعورهم ، ويستسلمون للحق ولو كان مرًّا ، ويعملون لنصرة فريقهم ناسين أنفسهم ؛ حبًّا لخدمة المصلحة العامة . وللإنجليز أن يفخروا بأنهم بالألعاب الرياضية انتصروا فى الحرب العالمية الأولى . وبالألعاب الرياضية فى (إيتُون) انتصروا من قبل فى موقعة (ووَترلُو) كما قال (دوق ولِنجتُون) الذى قضى على عظمة نابليون القضاء الأخير . وبالألعاب الرياضية انتصروا فى الحرب العالمية الثانية .

(شكل ١٢) تلاميذ الكشافة فى تنقلاتهم ورحلاتهم

إصلاح التعليم الثانوى بانجلترا

فى سنة ١٨٩٤ ألفت لجنة ملكية برياسة المستر (برَيس) للنظر فى التعليم الثانوى ، فمكثت سنتين تدرس هذا النوع من التعليم ، وكان لها أثر كبير فى إصلاح المدارس الثانوية ، وإصلاح التعليم بانجلترا على العموم . ولقد نفذت آراؤها بالتدريج . ومنها : ألا تغلق المدارس الرديئة وتحل محلها مدارس حديثة ، بل تصلح ويتدارك ما فيها من الأخطاء . وفى سنة ١٨٩٧ قامت وزارة التربية والتعليم بإحصاء المدارس الثانوية ، فوجدتها ٦٢٠٩ مدرسة . منها ١٩٥٨ مدرسة للبنين ، و٣١٧٣ مدرسة للبنات ، و١٠٧٨ مدرسة مختلطة للبنين مع البنات . أما عدد التلاميذ فكان إذ ذاك ٢٩١٥٤٤ تلميذ : منهم ١٥٨٥٠٢ من البنين ، و١٣٣٠٤٢ من البنات ، أى بنسبة ٤و٥ فى الألف للبنين ، و٥و٤ فى الألف للبنات من مجموع عدد السكان . وكل هذه المدارس لم تكن خاضعة لوزارة التربية والتعليم . وبالإحصاء وجد أن أكثر من ٩٠ ٪ من التلاميذ كان عمرهم أقل من ١٦ سنة . وقد برهن المدرسون على العجز عن القيام بالأعمال التى طولبوا بها ، ولم تقم المدارس بما يجب القيام به ، فوضع التعليم الثانوى تحت مراقبة الوزارة ، وابتدأ الإصلاح منذ أكثر من ثلاثين سنة . ومما أوصت به اللجنة الملكية تحسين الأمور المالية الخاصة بهذا التعليم ، فأصلحت المدارس التى تحتاج إلى إصلاح ، وأحييت بعد موتها ، وأنشئ كثير غيرها من المدارس ، كى تفى بحاجة من يريدون التعليم الثانوى ، ممن ينتهون من التعليم الأولى . وبقانون سنة ١٩٠٢ أصبح للمجالس المحلية للتعليم الحق فى إنشاء المدارس الثانوية وفتحها ومعاونتها . وفى قانون التعليم سنة ١٩٠٤ عرفت المدرسة الثانوية بأنها مدرسة تقوم بتعليم التلاميذ إلى السادسة عشرة فما فوق « تعليما جسمياً وعقلياً وخلقياً . »

مدة التعليم الثانوى :

ومدة التعليم الثانوى فى قانون الوزارة أربع سنوات ، ولكنها مدة نظرية . وفى الغالب يمكث التلميذ ست سنوات فى المدرسة الثانوية ، ويتركها وعمره نحو ١٦ سنة أو أكثر . وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) قدرت انجلترا — بعد انتصارها — أثر التعليم فى الرقى ، وعدته أكبر قوة ثابتة تحفظها من الفناء ، فشجعت كثيرين من الفقراء على أن ينالوا قسطهم من التعليم بالمدارس الثانوية ؛ ففى سنة ١٩٢٥ زاد عدد المدارس الثانوية ، وزاد عدد التلاميذ بها . وبعد أن كان متوسط عدد التلاميذ فى المدرسة ١٩٠ تلميذ فى سنة ١٩١٤ بلغ المتوسط ٢٨٣ فى سنة ١٩٢٥ ، وارتفعت النسبة إلى عشرة فى الألف من السكان ، وتحسن التعليم الثانوى تحسناً محسًّا؛ ففى أقل من عشرين سنة تضاعف عدد الطلبة الذين يتقدمون من المدارس الثانوية للحاق بالجامعات . ويلحظ أن عدد الطالبات زاد إلى ثلاثة أضعاف . ولقد أصبحت الجامعات الآن لا تقبل إلا من نال شهادة الدراسة الثانوية (البكالوريا) وتفضل ألا يكون بها سوى التعليم العالى .

أسباب تقدم التعليم الثانوى :

وفى القرن الحاضر ظهر نجاح كبير ، وتقدم سريع فى التعليم الثانوى . وأسباب هذا التقدم[1] هى :

(١) تشجيع التعليم الثانوى وعناية الشعب به ، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى .

(٢) تخصيص جزء كبير من المال لتحسين المدارس الرديئة ، وفتح غيرها على النظام الحديث .

---

(١) راجع : «Recent Development of Secondary Schools in England and Wales» issued by the Board of Education in 1927.

(٣) إصلاح طريقة الامتحانات وجعلها معقولة معتدلة . ويتقدم كل التلاميذ للاختبار ، ولا يختار الأذكياء وحدهم .

(٤) تحسين مستوى المدرسين ، واختيارهم من الأكفاء المحبين لمهنة التدريس ، الذين أعدوا أنفسهم لها . ودرسوا قسطاً وافراً من علوم التربية .

أنواع المدارس الثانوية

إذا استثنينا المدارس الأهلية أو الحرة التى يقوم بعض الأفراد بإنشائها حبا للتجارة والربح — أمكننا أن نقول : إن الأنواع الرئيسة للمدارس الثانوية أربعة ، يختلف كل منها عن الآخر بعض الاختلاف وهى : —

(١) ما يسمى مدارس العامة[١] والحقيقة أنها مدارس للخاصة أو الأشراف .

(٢) مدارس الأجرومية[٢] للبنين .

(٣) المدارس العالية للبنات ، وهى عالية اسماً ، ثانوية فعلا .

(٤) المدارس الإقليمية الثانوية وهى فى العادة مدارس مختلطة ؛ للبنين والبنات ، ولنتكلم عن كل منها فنقول : —

(١) مدارس الخاصة :

أشهرها تلك المدارس التسع الخاصة بالطبقة العليا ؛ طبقة الأشراف ، وهى موضع فخر انجلترا ، وموضع إعجاب غيرها من الشعوب منذ مئات السنين . وهى : « مدرسة إيتُون ، وهَارُو ، ورَجبى ، ووِنْشِستر ، ووِسْتمنِسْتَر ، وكارتَرْهَوْس ، ومِرْشانْت تيلَرْز ، وشروزْبَرى ، وسانت بول » . ولها شهرة كبيرة فى جميع

(١) Public Schools. (٢) Grammar Schools.

أنحاء العالم . ولقد انتقد أحد الأمريكيين تسميتها فقال : إنها سميت إنجليزية لأنها تعلم كثيراً من اللاتينية ، وسميت عامة لأنها للخاصة ، وقيل إنها مدارس لأنها تقضى ثلثى وقتها فى الألعاب الرياضية . والحق عندى أنها أثمرت ثمراً طيباً ، والمدارس تعرف بثمارها ؛ فعظمة انجلترا قد أسست على أكتاف أفراد تربوا فى هذه المدارس . فيحق لانجلترا أن تفخر بها . ولا غرابة إذا أرسل كثيرون من الملوك أبناءهم ليتعلموا فى (إيتُون وهارُو) ؛ ففى هذه المدارس يتمثل روح الصداقة بين المدرس والتلميذ ، ويبدو روح النظام والإخلاص ، والتعاون ، ويظهر روح الحكم لمصلحة المحكومين ، والعناية بخدمة المصلحة العامة ، وبالتعليم الخلقى والدينى . ومما يؤخذ على مدارس الخاصة شدة العناية باللغتين اللاتينية والإغريقية ، ثم الولع بالألعاب الرياضية . ولكن لا ينكر أحد ما قامت به نحو التعليم ، ونحو انجلترا فى الخارج . وهناك نحو ٦٠ مدرسة من مدارس الطبقة العليا سوى المدارس التسع السالفة الذكر . ولقد ذاع صيتها وكثر الإقبال عليها من منتصف القرن التاسع عشر للأسباب الآتية[١] :

(١) شدة عنايتها بالتربية الخلقية .

(٢) اتساع الإمبراطورية البريطانية ، واحتياج الإنجليز الذين يعيشون خارج انجلترا إلى مثل تلك المدارس ليتعلم فيها أبناؤهم .

(٣) شعور الطبقة الراقية من الأمة بالحاجة إلى نوع أرقى من مدارس الأجرومية التى كانت متأخرة حتى سنة ١٨٧٠ .

(٤) إنشاء السكك الحديدية ، وسهولة السفر والمواصلات .

(٥) ازدياد الثروة وكثرة الأغنياء مما أدّى إلى القدرة على تحمل النفقات فى تلك المدارس .

---

(١) راجع: (Higher Education of Boys in England), Norwood & Hope

(٦) ولع الطبقة الوسطى بمحاكاة الأشراف فى تعليم أبنائهم بهذا النوع من المدارس حبًا للظهور .

(٧) حب التخلص من الأولاد فى المنزل — وهذا سبب غير رئيسى .

وهذه المدارس داخلية عادة . ويسمح للتلاميذ الذين تقرب مساكنهم من المدرسة بأن يقبلوا نصف داخلية . وهم يلحقون بها وعمرهم بين ٩ سنوات و١٣ سنة، وذلك بعد قضاء أربع سنوات فى المدارس العادية الخاصة التى يتعلمون فيها مبادئ اللغات الأجنبية ، والرياضة ، والعلوم . والمصروفات المدرسية كثيرة يشكو منها الأغنياء أنفسهم . وقد كانت قبل سنة ١٩١٨ بين ٨٠ جنيهاً و١٠٠ جنيه فى السنة للداخلية . أما اليوم فنحو ٢٠٠ جنيه فى السنة . أضف إلى ذلك ما يحتاج إليه التلميذ من ثمن كتب وملابس تناسب تقاليد المدرسة ، وثمن أدوات وصور لتزيين حجرته الخاصة ، ومصروفات خاصة به .(١)

ويبلغ راتب ناظر المدرسة فى بعض هذه المدارس المشهورة الآلاف من الجنيهات فى السنة ؛ (فهو يتسلم راتباً أكبر من راتب رئيس جمهورية الولايات المتحدة بأمريكا) . أما راتب المساعد للناظر أو الوكيل فمئات من الجنيهات ليس غير . ولا مبرر لهذا الفرق الكبير بين راتب الناظر وراتب الوكيل . ويختار النظار والأساتذة من الطبقة الخاصة ممن تعلموا فى تلك المدارس ، واعتادوا نظمها وتقاليدها ، ثم أتموا دراستهم فى أكسفورد أو كمبردج .

وكثيراً ما تجد التلميذ (اللورد) يفخر بأن أباه وعمه وجده كانوا فى المدرسة نفسها ، وبمنزل كذا فى المدرسة ، وبالحجرة رقم كذا . وفى مدرسة الخاصة

---

(١) ونظراً لما تتطلبه هذه المدارس من النفقات الكثيرة تجد أن أوساط الناس يرسلون أبناءهم ليتعلموا فى المدارس الإقليمية الثانوية التى سنشرحها فيما بعد .

اليوم تلاميذ من ٤٥٠ إلى ٧٥٠ تلميذ . وفى مدرسة « إيتون » : مدرسة الأمراء « واللوردات» أكثر من هذا العدد. وينقسم الجزء الداخلى من المدرسة منازل ، ولكل منزل أستاذ يرأسه ويديره ويتولى شئونه ، ويسكن جانباً منه مع أسرته ، وصلته كبيرة بكل تلميذ كصلة الأب بالابن . ويشعر التلاميذ شعوراً مملوءاً بالفخر والإخلاص للمدرسة أولاً ، والمنزل الذى ينتمون إليه ثانياً .[١] والنجاح فى امتحان القبول شرط من شروط اللحاق بالمدرسة . ولهذه المدارس أثر ظاهر فى الوسط الإنجليزى ، ولو أن عدد تلاميذها نحو ٢٠٠٠٠ تلميذ . والمنهج هو منهج المدارس الثانوية الذى سنتكلم عنه فيما بعد .

آراء بعض المربين والفلاسفة فى مدارس الخاصة :

(١) يرى الفيلسوف (برتراندرسل)[١] أن من عيوب هذا النوع من المدارس الثانوية أنها للخاصة ، وأن الغرض منها تربية رجال ليحكموا ، وتكون لهم القوة والسيطرة فى انجلترا وخارجها فى بلاد الإمبراطورية الإنجليزية . فهى تعمل على أن يكون الطالب فيها مثلاً للنشاط والشجاعة والصحة وعدم التأثر ، والاستبداد ، والثبات على المبدأ والاستقامة ، بحيث يستطيع القيام بأمر هام فى هذا العالم . وفى سبيل الحصول على هذه الأغراض قد ضُحِّى بالعقل والتفكير ؛ لأنهما يؤديان إلى الشك والتردد ، والإنجليز يريدون من ينفذ بإرادة حديدية

---

(١) اقرأ رواية (The Hill) « تأليف هوريس فاتشيل » وهى تمثل الحياة المدرسية فى مدرسة « هارو » المنافسة لمدرسة إيتون : ثم اقرأ كتاب (The Loom of Youth) لآلك ووغ أحد تلاميذ ساندهرست سابقاً .

(٢) راجع : On Education, by Dr Bertrand Russell

لا من يتردد . ثم ضُحِّى بالعاطفة المعنوية أو مشاركة الناس فى شعورهم ؛ لأنها تتعارض مع من يحكم الشعوب أو الطبقات المتأخرة منها ، وكذلك ضحى بالشفقة فى سبيل القسوة والشدة ، وأهمل الخيال فى سبيل الثبات وعدم التحول عن الرأى . فالمدارس الثانوية للخاصة سائرة على النظام الإسبرطى بما فيه من حسنات ومثالب. ويرى (رَسِل) أن العالم متغير ، وأن ذلك النظام أصبح عتيقاً ، وأن الشعوب المحكومة أصبحت لا تطيع حكم أحد حتى الفضلاء من حكامها . فيضطر الحكام إلى استعمال القسوة ، والقسوة تزيد فى التمرد ، وتشجع على العصيان . ويعتقد الدكتور (رَسل) أن العالم الحديث فى حاجة كبيرة إلى الذكاء ، وفى حاجة إلى نوع خيالى من الشبان الذين يشاركون الناس فى مسراتهم وأحزانهم ، وفى حاجة إلى نوع أكثر مرانة من الناحية العقلية، بحيث يكون على استعداد للأخذ والعطاء، ولا يعتقد (رَسل) كثيراً فى القوة الحيوانية ، ولكنه يعتقد كثيراً فى المهارة فى الفنون والصناعات . ويرى أن الحاكم فى المستقبل يجب أن يكون خادماً للأفراد الأحرار ، لا المحسن للعبيد المستحسنين لكل ما يقوم به .

(٢) ويرى (المستر جراهام جرين)[١] أن نظام الطبقات ظاهر فى تلك المدارس ؛ فأبناء الفقراء الذين يفوزون — بجدهم وذكائهم — بمجانية الحكومة فى مدارس الخاصة بعد الانتهاء من الدراسة الأولية ينظر إليهم نظرة احتقار ، ويهزأ بنطقهم ولغتهم . والحق أن أبناء الأشراف لا يشعرون بأنهم من طبقة ، وأن غيرهم من طبقة أخرى، ولا يدركون أن هناك فرقاً بين الطبقتين . ولكن أساتذتهم المحبين للظهور ، ووسائل التظاهر ، هم الذين بثوا فى نفوسهم هذا الروح ؛ روح التفرقة . فإن كان هناك لوم فالجدير به هؤلاء الأساتذة .

---

(١) راجع : The Old School, Edited by Graham Greene

(٣) ويشكو (المستر هارُولد نيقولسُون)[١] أنه حينما كان فى مدرسة (وِلنجتُون) لم يكن من المستحسن حينئذ أن يتعارف تلاميذ أحد المنازل التابعة للمدرسة بتلاميذ منزل آخر من تلك المدرسة. وفى هذا يتمثل روح التفرقة والمنافسة القبيحة. والخلاصة أن مثالب هذه المدارس ليست شيئاً يذكر بجانب محاسنها.

(٢) مدارس الأجرومية:

هى مدارس قديمة للبنين، لها أوقاف خاصة بها، يتمثل فيها روح التقاليد التى فى مدارس الخاصة أو الأشراف، ولكنها تختلف عنها فى أنها نهارية ليس غير، وأن نفقاتها ليست كثيرة، وفى أنها ليست خاصة بطبقة الأشراف من الأمة. ويقبل تلاميذها فى النهاية بالجامعات القديمة كأكسفورد وكمبردج وبالجامعات الحديثة كذلك. ولما كانت هذه المدارس نهارية تجد صلة تلاميذها بالحياة المنزلية والخارجية أكثر. ولا يعنى إلا قليل منها باللغتين اللاتينية والإغريقية عناية مدارس الخاصة بهما، ولو أن لهما مركزاً هاماً فى المنهج. ولقد حدث تغيير فى بعض هذه المدارس حتى أصبحت تعد فى مصاف المدارس الحديثة التى أدخلت فى منهجها الصناعة والتجارة. ولقبولها إعانات من الحكومة ومن المجالس المحلية تجدها تحت رقابة الوزارة والمجالس معاً.

(٣) المدارس العالية للبنات:

هى — كما تقول (مس بيرستول)[٢] — «مدارس خاصة بالبنات» يتعلمن فيها التعليم الثانوى، وهى تحت رقابة الجمهور، وليست ملكاً لفرد من الأفراد

---

(١) ارجع إلى الكتاب الذى قام بطبعه المستر جراهام جرين.

(٢) راجع: Miss Burstall فى كتابها: Schools for Girls.

لغرض الربح ، ولكنها تنسب إلى إحدى الجماعات ، أو الشركات ، أو إلى السلطة المحلية للتعليم . ويقوم القائمون بها بشراء البناء المدرسى أو استئجاره ، وتعيين المدرسين وعزلهم ، ودفع المرتبات لهم ، وتسلم مصروفات التلاميذ من الكتبة المسئولين عن إدارتها . وهذه المدارس هى نتيجة الحركة التى قام بها النساء والمصلحون فى منتصف القرن التاسع عشر للمطالبة بتحرير المرأة. وكانت فى بادئ أمرها تخطو خطوات مدارس الأجرومية فى المنهج . وبالتدريج أدخل التدبير المنزلى فى المدرسة ، وجعل مادة من مواد الدراسة . وهى مرنة سائرة فى طريق التقدم ، وليست محافظة كمدارس الأجرومية . ولقد كثر عددها منذ طالبت النساء جامعتى أكسفورد وكمبردج بقبولهن بهما . وهى تشبه مدارس الأجرومية فى أنها نهارية ، متصلة بالحياة المنزلية والخارجية ، وتتسلم إعانات من الوزارة ، وتسير على قوانين المدارس الثانوية ومناهجها .

(٤) المدارس الاقليمية الثانوية :

هى مدارس حديثة أنشئت فى الجهات والأقاليم بعد قانون التعليم سنة ١٩٠٢؛ ذلك القانون الذى يكلف السلطات المحلية القيام بنشر التعليم الثانوى والإنفاق عليه بحيث تقوم كل سلطة بما تتطلبه منطقتها . ومنذ تلك السنة (١٩٠٢) تضاعف عدد المدارس الثانوية فى المناطق المختلفة فى جميع أنحاء انجلترا وويلز ، حتى بلغ عشرين ضعفاً . ومعظم هذه المدارس تابع للمجالس المحلية ، ويأخذ إعانة من الوزارة . وهذه المدارس الإقليمية الثانوية تشبه المدارس العالية فى أمريكا فى أنها لجميع طبقات الشعب ؛ فكما أن مدارس الخاصة أنشئت لطبقة الأشراف ، كذلك المدارس الإقليمية الثانوية جعلت لطبقة الجمهور من الأمة . وتقوم المجالس المحلية بإدارتها والإنفاق عليها ، وتعد الآن النوع الرئيسى من المدارس الثانوية ، وينتظر

منها أن تقوم بدور هام فى التعليم بانجلترا . وهى مدارس مختلطة يتعلم فيها البنون والبنات فى فصول واحدة غالباً ، وفى فصول متفرقة أحياناً . ويؤخذ تلاميذها من المدارس الأولية أى الابتدائية ، وأساتذتها من الجامعات الجديدة . وهى من الوجهة الاجتماعية لا تعد فى صف الأنواع التى ذكرناها سابقاً . ولكن طلبتها وأساتذتها مملوءون بكثير من الآمال ؛ فتراهم مجدين فى العمل للنهوض بمدارسهم التى ينتسبون إليها . وفى هذا الروح تجد آمال انجلترا فى المستقبل .

بقى نوعان من المدارس يجب أن نذكرهما وهما : —

(٥) المدارس الاعدادية :

(٦) والمدارس الثانوية الحرة :

أما المدرسة الإعدادية فكثيراً ما تتبناها المدرسة الثانوية إذا كانت داخلية بحيث تجد قسماً للإعدادى (الابتدائى) فى بناء المدرسة الثانوية . والتعليم فى المدارس الإعدادية حسن جداً إذا استثنينا بعض المدارس الحرة الرديئة لسوء نظامها وعدم استيفاء الأدوات ، وضعف مدرسيها . وبالمثل نقول عن المدارس الثانوية الحرة ، وهى آلاف مؤلفة . وليس من الحق ولا من العدل أن نحكم بأن المدارس الحرة كلها غير صالحة . ولكن من الحق والعدل أن نصرح بأن بعضها ردىء ، وبأن انجلترا فى حاجة إلى سن قانون صارم يستعمل الشدة مع هذه المدارس لا ليحمى المدرسين البائسين فيها وحدهم ، بل ليحمى الشعب منها كذلك .

وإنى أنصح للقارئ إذا كان لديه شىء من وقت الفراغ أن يقرأ رواية (نيقولاس نيقلبى[١]) للمصلح الاجتماعى الكبير (تشارلز دكنز[٢]) ؛ ففيها يرى صورة

---

(١) اقرأ : Nicholas Nickleby, by Charles Dickens

(٢) ارجع إلى ما كتبناه عنه فى كتابنا «أروع القصص» الجزء الثانى بدار المعارف بمصر تحت الطبع

غريبة عن المدارس الحرة بانجلترا فى القرن التاسع عشر ، ولقد كانت مثل كثير من المدارس الحرة بمصر الآن ؛ تلك المدارس التى يتمثل فيها الروح التجارى ، ويهمل فيها روح التعليم ، وتنسى مصالح التلاميذ والآباء والمجتمع ، ويبخس فيها المدرسون البائسون حقوقهم ، فتجدهم منكوبى الجد ، عاثرى الحظ . وإننا مع نقدنا لمعظم المدارس الحرة بمصر لا نقول بإغلاقها ، ولكننا نقول بإصلاحها ، وعدم إعطائها أىّ إعانة إلا إذا برهنت على أنها تقوم بعملها خير قيام ، وأنها غيورة على إفادة تلاميذها ، وراحة المدرسين لديها ، وترقية مستوى التعليم بها ، كى لا تكون نتائجها مخزية كما حدث فى نتيجة (الامتحانات العامة سنة ١٩٣٢ بمصر) ؛ فكثيراً ما تألم الإنسان حينما قرأ وقرأ كثيراً عن تلك المدارس ، تلك الجملة المأثورة : (لم ينجح فيها أحد) . وما أكثر المدارس الحرة التى لم ينجح فيها أحد فى ذلك العام . ولا تنتظر من المدرس أن يكون المثل الأعلى فى أداء الواجب إلا إذا شعر بالراحة ، وبأنه غير مهضوم الحقوق . ومما يؤسف له كل الأسف أننا نجد كثيرين من مدرسى هذه المدارس يشكون دائماً مر الشكوى ، يشكون سوء المعاملة ، والمساومة فى المرتبات ، وكثرة عدد التلاميذ فى الفصول ، وكثرة الحصص ، وقلة الأدوات ، ورداءة الغذاء ، وعدم التشجيع ، مما يؤدى إلى الإهمال ، وسوء النتائج . ولأهمية هذا النوع من التعليم أكتب كلمة أرجو أن أعالج بها نظام التعليم الحر بمصر — ولو أن فيها بعض الخروج عن الموضوع — فأقول :

التعليم الحر فى مصر وكيف نصلحه

لقد اطلعنا على نتيجة الامتحانات العامة فى سنة ١٩٣٢ ، وكان لرؤيتها أثر سيئ فى نفس كل من يفكر فى شئون التعليم . ورأينا فى النتيجة عدداً كبيراً من المدارس التى كانت يقترن اسمها دائماً بعبارة (لم ينجح فيها أحد) ، تلك العبارة التى يجب أن تكتب بخط واضح على أبواب هذه المدارس ؛ كى لايقع فى شركها أحد . وهى بعض المدارس الحرة التى يجدر أن تسمى المدارس التجارية ، لأنها لا تفكر فى التلميذ ومستقبله ، ولا فى الأب وما يقاسيه من التقتير على نفسه وأسرته فى سبيل تعليم أبنائه . ولا تفكر فى الشعب الذى ينتسب إليه كل هؤلاء التلاميذ . هى لاتفكر فى كل هذا ، ولكنها تفكر فى عمل مساومات بين المبتدئين من المدرسين ، مساومات فى المرتبات ، وفى عدد أشهر هذه المرتبات ، وفى الإعانات التى تتسلمها من الوزارة ، وفى مقدار ما توفره من نفقات التلاميذ ، وما تربحه من ثمن الكتب والأدوات ، ومن غذاء هؤلاء الأطفال المساكين . هى لاتفكر فى الحصول على الأكفاء من المدرسين ، ولكنها تبحث عمن يقبل أقل راتب منهم . أما الكفاية والمقدرة ، والخبرة والتجربة ، فلا عبرة بها ولا ثمن لها فى نظر كثير من تلك المدارس . ويعلم الله أننى أكتب هذه الكلمة ولا يمليها علىّ إلا الإخلاص للعلم ، وطائفة التعليم ، والغيرة على مستقبل التلاميذ ، والتفكير فى المصلحة العامة . إننى لا أقول بإغلاق المدارس التى تجد نتيجتها صفراً كل عام ؛ لأنها قامت على الأقل ببعض الواجب فى سبيل إزالة الأمية ، ولكن هذا لا يكفينا منها — لأن المدارس الإلزامية أعدت لإزالة الأمية — ولا يقنع التلاميذ والآباء ، فنحن نتطلب ، والآباء يتطلبون تعليما مثمراً ، تعليما منتجاً ، تعليما حقاً . ولا نريد بالتعليم المثمر إرهاق الأطفال ، والاستذكار للامتحان ،

والعمل للامتحان ، للحصول على نتيجة ١٠٠ ٪ ، والنسيان بعد الامتحان كما شوهد فى نظام انجلترا حينما كانت متبعة طريقة « التقدير بحسب النتائج » ، فهى طريقة محكوم عليها بالخطأ . ولكننا نريد التعليم الذى يستفيد منه التلميذ فى مدرسته ، وفى حياته التى تنتظره . لا نريد أن نرهق التلميذ للحصول على نتيجة ١٠٠ ٪ ، ولا نريد أن نهمله فنحصل على صفر فى المائة كما فى المدارس التى لم ينجح فيها أحد .

وقد تعجب إذا سمعت بعض هذه المدارس وهى تعلن عن نفسها فى الصحف بأن نتيجتها ١٠٠ ٪ ، ولو بحثت وراء الحقيقة لوجدت أحياناً أن المتقدم للامتحان من المدرسة كان تلميذاً واحداً فنجح ، ولو رسب لكانت النتيجة صفراً فى المائة . وقد تجد إعلانات عنها فى الطرق ، فإذا ما قرأتها وجدتها مملوءة بالأخطاء العلمية . وليت أصحابها يتحاشون الخطأ فى إعلانهم عن أنفسهم . ومما يملأ النفس حسرة وألماً أنك تجد بجانب المدارس الحرة التى (لم ينجح فيها أحد) عدداً كبيراً من المدارس التى لا تزيد نتيجتها على ٢٠ ٪ ، ومعنى ذلك أنها أضاعت سنة من حياة ٨٠ ٪ من تلاميذها . وسنة من الحياة ؛ أو الحياة كلها ربما لا تكون لها قيمة فى نظر بعض أصحاب هذه المدارس . وماذا يهمهم ما داموا مهرة فى الإعلان عن أنفسهم بكل وسيلة من الوسائل ، وما دام الآباء مساكين يخدعون بهذه الإعلانات تارة[1] ، ويضطرون إلى تعليم أبنائهم بها تارة أخرى ؟

لماذا يجب اصلاح المدارس الحرة ؟

لست بهذا النقد أنادى بإغلاق هذه المدارس ، ولكنى أقول بإصلاحها للأسباب الآتية : —

(١) حماية المدرسين الذين يقومون بالتدريس فى هذه المدارس .

(١) وبخاصة الإعلان بأنها تحت إشراف وزارة المعارف .

(٢) حمايةُ الآباء من أن ينفقوا على أبنائهم سدى من غير نتيجة .

(٣) المحافظة على أوقات الأطفال والتلاميذ من الضياع . فالوقت هو الحياة كما يقول الأمريكيون ، وليس من ذهب فحسب كما يقول الإنجليز .

وبالتفكير فى هؤلاء جميعاً نحمى الشعب ، ونصون ثروته العلمية والعقلية المنتظرة من أطفال اليوم ورجال الغد .

أما طريقة الاصلاح فيمكن أن تكون بالوسائل الآتية :

(١) تنفيذ قانون التعليم الحر الذى يحرم على غير الفنيين أن يكونوا نظاراً للمدارس الحرة .

(٢) ألا تعطى المدرسة مكافأة إلا عن الأكفاء من المدرسين . ولا أقصد بالأكفاء حملة الشهادات وحدهم ، بل كل من تثبت مقدرتهم وكفايتهم وإخلاصهم فى التدريس .

(٣) أن تحدد مرتبات المدرسين ، كى تقفل أبواب المساومة والمناقصة معهم ، وألا تقطع المرتبات مدة العطلة الصيفية .

(٤) أن يحدد عدد الدروس، فلا يكلف المدرس ما فوق طاقاته مما يؤدى إلى التقصير والإهمال فى العمل .

(٥) ألا تعطى المدرسة الإعانة إلا بعد ظهور النتيجة فى الامتحانات العامة ، بحيث لاتقل عن ٥٠ ٪ من مجموع التلاميذ المقيدين فى السنة الدراسية ، لا من مجموع المختارين — للامتحان — ليس غير . وإن سوء النتيجة هو الذى دفعنى إلى كتابة هذا الشرط ، ولو أنى ضد القول بالتعليم للامتحان ، وعدم التفكير إلا فى الامتحان .

(٦) أن يكتب المفتشون إرشادات للمدرسين ، توزع على المدارس بعد الانتهاء من التفتيش العام ، للاستعانة بها على تدريس كل مادة من المواد .

وأن يعمل كل مفتش لإصلاح عيوب كل مدرس تابع له على انفراد ؛ بالنصح أولاً ، ثم الإنذار ثانياً ، والعقاب أخيراً إذا استمر المعلم فى إهماله . ولا نريد بالإهمال عدم العناية بتنظيم كراسات التلاميذ ونظافتها ؛ فنظام الكراسة ونظافتها من الأمور الشكلية (وإن كنت ممن يحب النظافة والنظام والدقة فى كل شىء) . والمهم أن يرى أثر المدرس فى تلاميذه ؛ بحيث يكون عملهم فى الأسبوع الثانى خيراً منه فى الأسبوع الأول ، ويكون فى الشهر الثانى أحسن منه فى الشهر الأول ، وهكذا . وبذلك يظهر أثره فى كتابتهم وإجابتهم ولغتهم ودقتهم . ولا نقصد بعناية المدرس ملء الكراسات ؛ فقد تكون كراسات التلميذ مملوءة ، فإذا أخذتها منه ، وأعطيته تمريناً مما فيها من التمرينات التى حصل فيها على الدرجة النهائية أظهر عجزه عن الإجابة والحل . ولا سبب لذلك إلا أن المدرس هو الذى كتب الحل على السبورة ، وقام التلميذ بنقله ، وكانت كل عنايته موجهة إلى حسن النقل بحيث يكون (طبق الأصل) .

(٧) العناية بأن تكون المبانى المدرسية صحية .

(٨) إنشاء مراقبة خاصة بالتعليم الحر — وهذا ماقامت به وزارة المعارف — للنظر فى شئون ذلك التعليم ، والعمل لإصلاحه ، وترقية مستواه ، وإزالة ما فيه من عيوب ، والنظر فيما يحدث من الشكاوى المالية ، وما تستحقه كل مدرسة من إعانة ، وما يستحقه كل مدرس من راتب . ويستحسن أن تقوم وزارة المعارف بتعيين المدرسين بعد اختبارهم ، وتمنحهم مرتباتهم من الإعانة المالية ، وتوزعهم على المدارس المختلفة بحسب ما تستحقه كل مدرسة . وبهذه الوسيلة تضمن الوزارة وجود مدرسين أكفاء فى المدارس ، واستعمال الإعانة فيما وضعت له ، وهو العمل على نشر التعليم وترقيته ، وتقضى على الجيش المتعطل

من المعلمين[١] ، فتخدم المدرسين من جهة ، والتعليم من جهة أخرى ، وأولياء الأمور من جهة ثالثة . ولو أصغيت إلى كل مايقال من معلمى المدارس الحرة ، وما يحدث لبعضهم من الغبن وسوء المعاملة ، لسمعت العجب العجاب ، ووثقت بأن الوزارة أحسنت صنعاً فى سن تشريع خاص بالتعليم الحر ، وإنشاء مراقبة خاصة تعمل لإصلاحه بيد حديدية ، كلها نزاهة وطهارة وإخلاص للتعليم والمتعلمين ، وتدافع عن هؤلاء المساكين من صغار المعلمين ، وتعطى كل ذى حق حقه .

(٩) أن يفصل بناء القسم الابتدائى عن القسم الثانوى ، كى لا يكون هناك تفاوت كبير فى السن فى مكان واحد ، فإن لم يتيسر فصل القسم الأول عن الثانى فلتفصل دورة المياه ، وتجعل دورة لصغار التلاميذ ، وأخرى للكبار .

(١٠) أن يفصل قسم البنين عن قسم البنات .

(١١) أن تنشأ المعامل الكافية للطبيعة والكيمياء ؛ كى لا يحرم الطلبة التجارب والاختبارات العملية بأنفسهم مع إرشاد أساتذتهم ؛ لأن التعليم النظرى لا يكفى ، وخاصة فى المواد التى تحتاج فى فهمها إلى التجربة .

(١٢) أن تكثر المدارس المصورات التاريخية والجغرافية والعلمية .

(١٣) أن تفتش المدرسة مرات كافية فى السنة ، بحيث يكون التفتيش النهائى فى أواخر السنة الدراسية ؛ كى لا يحدث تقصير فى الدراسة ، ولا يستغنى عن أحد من المدرسين قبل انتهاء السنة .

---

(١) كان هناك كثير من المتعطلين من المدرسين في سنة ١٩٣٥ ، أما اليوم فمصر فى حاجة إلى عدد كبير من المدرسين من كل نوع ، للنهوض بالتعليم ونشره . حتى اضطرت وزارة المعارف إلى إنشاء دراسات صيفية لإعداد مدرسين من غير ذوى المؤهلات الفنية . وقد سوى مدرسو التعليم الحر بمدرسى المدارس الأميرية فى الراتب ، وغيره سنة ١٩٤٤ .

وأما أسباب كثرة الرسوب فى معظم المدارس الحرة فهى :

(١) إهمال الدراسة ، وعدم انتظام الجداول المدرسية ، وترك التلاميذ أحياناً بغير مدرسين .

(٢) تفكير أصحابها فيمن يقبل أقل راتب من المعلمين ، لا فيمن يستطيع القيام بعمله بكل مقدرة من المدرسين .

(٣) نقل التلاميذ من سنة إلى أخرى بغير استحقاق فى المدارس الابتدائية.

(٤) قبول التلاميذ الجدد فى المدرسة فى السنة التى يرغبون فيها ، لا فى السنة التى يستحقونها .

(٥) كثرة عدد التلاميذ فى الفصول ، مع اختلافهم فى المقدرة العقلية وفى المعلومات ؛ مما يؤدى إلى وجود قوى غير متجانسة ولا متقاربة فى فصل واحد ، قوى يصعب التوفيق بينها .

(٦) عناية المعلمين فى أثناء التعليم بالمظاهر أكثر من العناية بالحقائق التى هى فهم التلاميذ المواد ، وقيامهم بالعمل بأنفسهم مع إرشادهم عند الحاجة .

(٧) تقصير الطلبة فى أداء أعمالهم ، وتمردهم على المدرسين وبخاصة غير الأكفاء منهم ، وإهمال بعض النظار إصلاحهم ، مخافة أن يتركوا المدرسة . وبذلك يكثر الإهمال ، وتعم الفوضى ، ويقل احترام المعلمين ، ويسوء النظام . وهذا السبب عام فى المدارس الحرة .

(٨) كثرة المواد التى يمتحن فيها الطلبة ، ويحسن أن يكتفى بالامتحان فى ست مواد رئيسية ، يُعين للتلميذ ثلاث منها ، ويختار ثلاثا من المواد التى لها علاقة بالمادة التى يريد الاختصاص بها فى المستقبل . أما المواد الأخرى فيكتفى فيها بالامتحان المدرسى ونتيجة الأعمال المدرسية .

(٩) سوء التغذية حتى فى القسم الداخلى من معظم المدارس الحرة . ولا ينكر

أحد أثر التغذية فى الصحة ، وأثر الجسم فى العقل ، وأن العقل السليم فى الجسم السليم .

(١٠) عدم وجود الأدوات المدرسية الكافية ، والنقص الكبير فى معامل الطبيعة والكيمياء ؛ مما يجعل التدريس النافع عسيراً .

و إذا نظرنا إلى مدارسنا الحرة وجدناها تشبه المدارس الحرة الإنجليزية فى عصر دكنز (كما ذكرنا) ؛ تلك المدارس التى كان أصحابها يعلنون عنها حيثما ذهبوا ، وأينما كانوا ؛ فى الطريق ، وفى السيارة ، وفى القطار بتوزيع بطاقات لهم يقولون فيها كما يقول الكثيرون من أصحاب هذه المدارس لدينا : (مدرسة كذا — للبنين والبنات — ابتدائى وثانوى وروضة أطفال — داخلية ونصف داخلية وخارجية ، مدرسون أكفاء ، بناء صحى ، موقع جميل ، غذاء جيد ، للفقراء بالمجان) وما إلى ذلك من أوصاف تبعد أحياناً عن الحقيقة . فهذه المدرسة التى قد يحكم عليها من هذا الوصف بأنها المثل الأعلى للمدارس لم يكن بها من المدرسين إلا (نيقولاس نيقلبى) ، وهو شاب لا يعرف عن التدريس قليلا ولا كثيراً ، اضطرته الحاجة بعد أن أوصد كل باب فى وجهه ؛ إلى الالتجاء إلى مهنة التعليم ؛ تلك المهنة التى تعد لسوء الحظ ملجأ لمن يشاء . وكانت هذه المدارس لا تصلح فى الواقع إلا لتكون سجوناً أو قبوراً للأحياء ؛ فلا نور ولا هواء ، أما الأدوات فكانت معدومة ، وأما الغذاء فلا تحدث عنه ؛ لأنه لم يكن غذاء . وأما الأطفال فكانوا يتضورون جوعاً بعيدين عن آبائهم وأمهاتهم الذين لا يعرفون شيئاً مما يقاسيه أبناؤهم ، لا فى هذه المدارس ، بل فى هذه السجون . ولسوء التغذية وعدم استكمال الشروط الصحية كانت الأمراض تفتك بهم فتكاً ذريعاً . هكذا كانت الحال فى بعض المدارس الحرة بانجلترا منذ أكثر من مائة سنة . أما اليوم فقد تغير الحال ، وأصبحت هذه المدارس فى خبر كان ، لا يسمع عنها إلا فى تاريخ

التربية ، وأصبح التعليم الإنجليزى مثلاً حسناً للقارتين : الأوربية والأمريكية يقتدى به فى النظام مع الحرية ، وفى أداء الواجب مع تربية الشخصية .

وليس من العدالة أن نعمم الحكم بأن مدارسنا الحرة كلها غير صالحة ؛ فهناك مدارس حرة لا تقل عن مدارس الوزارة ، ولكنها قليلة . والحق أن معظم المدارس الحرة تحتاج إلى كثير من الإصلاح وكثير من الغيورين على العلم والتعليم ؛ لأن معظمها من المدارس التجارية التى لا تفكر إلا فى المال كما قلنا ؛ فتتاجر فى الأدوات ، وكانت تتقاضى من تلاميذها المصروفات كالمدارس الأميرية تقريباً ، ولا تصرف كتباً لتلاميذها كما تفعل وزارة المعارف ، بل تبيع لهم الكتب والكراسات . أما المجانية التي تتغنى بها هذه المدارس فليست حقيقية فى الغالب ؛ فإنها لا تقبل أحداً بالمجان إلا إذا كان لولى أمره صلة بها . ولقد ذكر فى مجانية المدارس الثانوية بانجلترا أن الحكومة لا تعطى المدرسة الثانوية الإعانة إلا إذا قبلت ٢٥ ٪ من تلاميذها بالمجان من أبناء الفقراء الذين انتهوا من التعليم الابتدائى المجانى ، وحصلوا على جائزة المجانية . وحبذا الحال لو قبل أصحاب المدارس الحرة لدينا ولو ١٠ ٪ بالمجان من الأذكياء من الفقراء[1] تشجيعاً لهم من جهة ، وفى مقابل إعانة الوزارة من جهة أخرى قدوة بالمدارس الإنجليزية .

ولنعد إلى تكملة التعليم الثانوى بانجلترا فنقول :

---

(١) فى سنة ١٩٤٥ أصبح التعليم الابتدائى فى مصر بالمجان ، فى المدارس الأميرية والحرة على السواء ، وتقوم وزارة المعارف بدفع إعانة سنوية للمدارس الحرة تتفق مع ما تقبله من التلاميذ بالمجان فى مدارسها . كما أن نسبة المجانية بالمدارس الثانوية قد زادت زيادة كبيرة عما كانت عليه من قبل .

إحصاء المدارس الثانوية بانجلترا

من المحال أن نذكر بالضبط عدد التلاميذ الذين يتعلمون فى المدارس الثانوية بانجلترا . ولقد قام الأستاذان : (نُورْوُود وهُوب) بإحصاء هذه المدارس وتلاميذها سنة ١٩٠٩ بقدر ما فى استطاعتهما . وعليهما نعتمد فى الإحصاء التالى :

	بنون
(ا) فى المدارس الداخلية للأشراف أو الخاصة :	١٨٠٠٠
(ب) فى المدارس النهارية للخاصة :	١٣٥٠٠
(ج) فى مدارس الأوقاف :	٥٠٠٠٠
(ء) فى المدارس الإقليمية والمحلية :	٢٥٠٠٠
(هـ) فى مدارس تقوم بمراقبتها الشركات أو تعضدها الجماعات الدينية :	٩٥٠٠
(و) فى مدارس إعدادية حرة ـ بها فصول لمبادئ التعليم الثانوى :	٦٠٠٠
(ز) فى مدارس أخرى متنوعة :	٥٢٠٠٠
	١٧٤٠٠٠

أما إحصاء وزارة التربية والتعليم فأكثر دقة ؛ ولكن إحصاءها خاص بالمدارس الثانوية التى تأخذ إعانات منها أو بالمدارس التى تعترف بجودتها . وفى سنة ١٩١٤ كانت هذه المدارس فى (انجلترا وويلز) كالآتى :

المدارس الثانوية التى كانت خاضعة للوزارة سنة ١٩١٤

(١) عددها :

(ا) مدارس للبنين :	٣٩٧
(ب) « للبنات :	٣٤٩
(ح) « مختلطة للبنين والبنات :	٢٨١
	١٠٢٧ مدرسة

(٢) نوعها:

(ا)	مدارس إقليمية :	٤٣٣
(ب)	« للروم الكاثوليك :	٤٥
(ح)	« أساسية للأوقاف وغيرها :	٤٥٠
(ء)	« ويلزية متوسطة :	٩٩
		١٠٢٧ مدرسة

(٣) عدد المعلمين فى المدارس الثانوية :

(ا)	معلمون :	٥٤٤٧
(ب)	معلمات :	٥٣٧٧
	المجموع :	١٠٨٢٤
(ح)	معلمون بعض الوقت :	٣٤١٨

(٤) عدد التلاميذ :

(ا)	بنون :	٩٩١٧١
(ب)	بنات :	٨٨٠٣٦
	المجموع :	١٨٧٢٠٧

(٥) سن التلاميذ :

(ا)	أقل من ١٢ :	٣٥٦٦٦	تلميذ
(ب)	من ١٢ وأقل من ١٦ :	١٢٧٧٤٠	«
(ح)	من ١٦ وأقل من ١٨ :	٢١٤٣٧	«
(ء)	من ١٨ فما فوق :	٢٤٦٤	«
	المجموع :	١٨٧٢٠٧	

(٦) عدد التلاميذ الذين يتعلمون ويعلمون جزءا من الوقت :

(ا) طلبة يعلّمون	:	٢٧٢٧
(ب) تلاميذ يعلّمون	:	٢٥٤٥
(حـ) تلاميذ آخرون يتعلمون جزءاً من الوقت :		٥٣٠
المجموع	:	٥٨٠٢

(٧) مدارس جيدة لا تتسلم اعانة

عدد المدارس	:	١٢١	مدرسة
عدد التلاميذ	:		
(ا) بنون	:		٨١٦٣١
(ب) بنات	:		٨٩٢٨
			٢٢٥٤٦

المدرسون فى المدارس الثانوية

ذكرنا فيما مضى أن الأنواع الرئيسية للمدارس الثانوية أربعة : مدارس الخاصة أو الأشراف ، ومدارس الأجرومية للبنين ، والمدارس العالية للبنات ، والمدارس الإقليمية .

أما المدرسون فى مدارس الخاصة فهم ممن أسعدهم الحظ بالتعلم أولاً فى هذه المدارس ، والتعلم ثانياً فى جامعتى أكسفورد وكمبردج . وعلى ذلك تجدهم يعرفون تقاليد هذا النوع من المدارس عن تجربة ، وينقلونها من جيل إلى آخر وإن الدرجات العلمية التى يحصلون عليها من الجامعة تجيز لهم التدريس بالمدارس

الثانوية ، ولكنهم أخذوا يشعرون بحاجتهم إلى دراسة علوم التربية أيضاً — فإنها كانت تنقصهم — ليسترشدوا بها فى مهنتهم ، ويستعينوا بها على تذليل الصعوبات التى تعترض المدرس عادة فى تدريسه ، ومعرفة أحسن الطرق فى التعليم . ولقلة مرتبات المدرسين المساعدين يسمح لهم عادة بإعطاء دروس خاصة لضعاف الطلبة ؛ لتقويتهم وإعدادهم للامتحانات العامة ، ويقومون برياسة المنازل فى الأقسام الداخلية وإدارتها ، وأخذ أرباح القسم الداخلى لأنفسهم مساعدة لهم .

وأما المدرسون فى مدارس الأجرومية : فمعظمهم من خريجى أكسفورد وكمبردج ، وبعضهم من خريجى الجامعات الحديثة الذين أثبتوا بمقدرتهم وجدهم أنهم أكفاء فى عملهم ، وأوجدوا لأنفسهم مكاناً علياً بين زملتهم . وبذلك زالت التفرقة ، وأصبح التعليم فى هذا النوع من المدارس غير مقصور على خريجى الجامعات القديمة .

وأما المدارس العالية للبنات : فأصبحت مملوءة بكثيرات من خريجات الجامعات الحديثة بعد أن كان التدريس فيها مقصوراً على من تخرجن فى كلية جِرْتون أو كلية نيُونْهام ؛ أو كلية سَمَرفِيل . ولقد أدركت المعلمات من الابتداء أثر دراسة علوم التربية فى النجاح فى مهنة التدريس ، فعنين بدراستها ، وأقبلن عليها أكثر من الرجال .

ولكن المدرسين فى المدارس الإقليمية معظمهم ممن حصلوا على درجات علمية من الجامعات الحديثة بعد أن تعلموا فى الكليات الجامعة للمعلمين ، وقاموا بالتدريس فى المدارس الابتدائية . وإنهم — وإن كانوا أقل مهارة فى الألعاب

الرياضية من المدرسين بمدارس الخاصة ومدارس الأجرومية — أكثر حذقاً ومهارة فى تدريس المواد .

ناظر المدرسة الثانوية :

يختار ناظر المدرسة الثانوية من الأكفاء القديرين، ذوى الشخصيات البارزة ، المعروفين بالخبرة والمقدرة من المربين . وله سلطة كبيرة ، وفى يده على العموم تعيين المدرسين فى مدرسته ، وعزلهم ، ووضع المنهج ، وترتيب جدول أوقات الدروس . وأحياناً يسىء بعض النظار استعمال السلطة التى فى أيديهم . ولكن المدرسين قد أمنوا على أنفسهم ، واطمأنوا على مراكزهم منذ صدور قانون[1] سنة ١٩٠٨ الذى لا يجيز عزل المدرس لأسباب تافهة ، أو غير كافية، أو لأسباب وهمية ، أو لمجرد تألم الناظر أو مجلس الإدارة من المدرس . وينص القانون على أنه يجب أن يعلن المدرس قبل أن يعزل مع ذكر الأسباب .

ويقوم الناظر بإدارة مدرسته بمساعدة المدرسين والطلبة . وصلته بالتلاميذ وأولياء أمورهم وبالأساتذة كبيرة ؛ فروح التعاون يتمثل فى المدرسة الإنجليزية ، أما الناظر فى المدرسة الفرنسية فبمعزل عن الطلبة ، وعن أولياء أمورهم ، وعن المدرسين ؛ لأنه يعتقد — وخطأ يعتقد — أن الاتصال بهم يقلل من شأنه ، ويضع من مركزه . ولهذه العزلة تجده يملأ وقته بالرد على المكاتبات الرسمية ، والواجبات الإدارية ، ولا يعرف طلبته إلا معرفة سطحية ، ولا يفكر إلا فى التظاهر بالعظمة والأبهة ، وخاصة حينما يرغب أحد الآباء فى مقابلته . ولكن

(١) ونحن نرى أنه بالرغم من الاحتياطات التى ذكرها القانون يجب أن يكون عزل المدرس بيد سلطة أعلى من الناظر ومن مجلس إدارة المدرسة .

الرئيس الإنجليزى لا يفكر إلا فى العمل ، ولا يهتم بالظهور الكاذب ، ولا يبغى غير الإصلاح ؛ إصلاح كل تلميذ فى مدرسته .

كلمة إجمالية عن مرتبات النظار والمدرسين فى المدارس الثانوية :

إننا لا نستطيع أن نذكر بالضبط حداً معيناً للراتب الذى يبتدئ به النظار والناظرات ، والمدرسون والمدرسات فى المدارس الثانوية . وكل ما نستطيع أن نقوله هو أن هناك فرقاً فى الراتب بين الناظرة والناظر ، وبين المدرسة والمدرس . وتعلل هذه التفرقة بأن نظام الحياة فى المجتمع يتطلب من الرجل أكثر مما يتطلبه من المرأة ؛ فالرجل مسئول عن أسرته ، وعن تربية أبنائه ، أما المرأة فمسئولة عن أن تعول نفسها ليس غير . وفى هذا عدالة . ولسنا بذلك نريد أن تهضم المرأة حقوقها ؛ فنحن ممن يقولون بأن تعطى المرأة كل ما تستحق من الحقوق ، وممن ينادون بالعدالة فى المعاملة بين الأفراد .

ويُنتقد نظام المرتبات للمدارس الثانوية فى أمرين : —

(١) الفرق الكبير بين مرتبات النظار ومرتبات المدرسين ؛ ففى حين تجد راتب الناظر حسناً جداً ، تجد راتب المدرس المساعد ضئيلا جداً لا يتفق مع مركزه الاجتماعى ، ولا يناسب تربيته الأولى . لذلك يصعب على المدرس فى تلك المدارس أن يتزوج ، ولو فعل فإنه لا يمكنه القيام بتربية أبنائه التربية الحقة التى تربا‌ها من قبل ، والتى يتمناها لأولاده . وهذا النقص فى راتب المدرسين لا يشجع كثيرين ممن يميلون بطبيعتهم إلى مهنة التعليم على أن يخاطروا بأنفسهم ، ويتخذوا هذه المهنة وسيلة لحياة الرفاهية والسعادة . هذا ونسبة المدرسين الذين يرقون إلى نظار مدارس قليلة جداً لا تشجع الأكفاء على الإقدام على مهنة التعليم .

(٢) بلوغ النهاية القصوى للراتب المعين للمدرسين قبل مضى وقت طويل

من ابتداء الحياة . ومعنى ذلك أن العلاوات تقف حينما يصلون إلى نهاية الراتب الموضوع لهم ، تقف فى الوقت الذى يجب أن تكثر فيه العلاوات ، فى الوقت الذى تكثر فيه تبعة المدرس ، و يطالب فيه بكثير من النفقات لتربية أبنائه . وتزداد المطالب حينما يكون عمر الرجل ٥٠ سنة . وفى الوقت الحاضر تجد العلاوات سائرة بطريقة آليـة ؛ أى أن المدرس يحصل على علاوة كذا متى مضى عليه من الزمن سنوات معينة ، من غير نظر إلى اعتبار آخر . وتنتهى العلاوات بعد التوظف بعشر سنوات أو خمس عشرة سنة .

ولقد نادى « فِيشَر » بتحسين المرتبات ونظامها ، وكان ذلك فى سنة ١٩١٧ . ومما ذكره : « أن مهنة التعليم محال أن تغنى . وقال : إن من الواجب أن يستريح المدرسون من المتاعب المالية ؛ فإن راحتهم ضرورية لإصلاح التعليم ، والمتزوج منهم يجب أن يكون فى حالة تمكنه من تربية أسرته تربية صالحة . و إن المدرس الحزين ، الكاسف البال لا يستطيع أن يحسن عمله . أما المدرس البائس فخطر اجتماعى له أثره السيئ فى المجتمع » .

هذا وقد نال المدرسون كثيراً من حقوقهم بعد أن شعرت الأمة الإنجليزية بما يقوم به المدرس من خدمة الشعب ، و بما يستحقه من التشجيع والترقية ، وحقاً لقد قيل : إن وظيفة التعليم مهنة بلا مجد . وقد رأت لجنة (بيرْهام) أنه لا يمكن الوصول إلى المثل الأعلى فى التربية والتعليم إلا إذا أعطى المدرس حقوقه من الوجهة المادية ؛ لأن المدرس كغيره لا يمكنه القيام بما عليه من واجبات ، و بما تتطلبه الحياة من الأمور المالية ، إلا إذا كان لديه ما يكفى من المال لنفقة أسرته وتربية أبنائه . وقد اتخذت لجنة (بيرْهام) طريقتين لتشجيع المدرسين وهما :

(١) يزاد راتب المدرس متى حصل على درجة علميـة أرقى من درجته أو على شهادة أخرى .

(٢) يكافأ المدرس ماديًّا على ما يظهره من المقدرة والتجارب الجديدة .

نظام المدارس الثانوية ومناهجها

تنشأ المدرسة الثانوية الإنجليزية لتقوم بتعليم التلاميذ الذين بين سن ١٢ و١٨ غالباً . ولا يشجع لحاق التلاميذ بالمدرسة الثانوية وعمرهم صغير ، كأن يكون تسع سنوات أو عشراً ، وخاصة إذا كانت المدرسة كبيرة داخلية . وتستحسن تربية صغار الأطفال فى القسم الأخير بالمدارس الإعدادية . وينص قانون التعليم الثانوى على أنه :

« يجب أن يكون فى المدرسة الثانوية منهج دراسى مرتبط بعضه ببعض ، يتدرج من السهولة إلى الصعوبة بحيث يكون مناسباً فى نوعه ومقداره لجميع تلاميذها ، الذين تكون سنهم بين ١٢ و١٧ على الأقل . كما يجب أن يكون بالمدرسة منهج آخر متصل بالمنهج الرئيسى السابق لمن تقل سنه عن ١٢ سنة .

ومن نظام التعليم الثانوى أنك تجد فى المدرسة الثانوية الواحدة عدة مناهج مختلفة : فمن منهج للغات الحديثة ، إلى آخر للغات القديمة (الكلاسيكية) ، وثالث للعلوم الرياضية ، ورابع للعلوم ، وخامس للجغرافية والتاريخ . فى حين أنك تجد فى ألمانيا مدرسة خاصة بكل منهج من هذه المناهج . وهذا هو الفرق الكبير بين المدرسة الثانوية فى انجلترا والمدرسة الثانوية فى ألمانيا .

والطريقة السائدة فى انجلترا هى أن يوضع منهج عام للقسم الأول من التعليم الثانوى بالمدرسة ، ومدته أربع سنوات ، يلحق به كل التلاميذ إلى سن ١٤ . ثم ينتقلون إلى القسم الثانى منه ، وفيه نوع من التخصص . وترتب المناهج بحيث تناسب الإقليم والرغبات المختلفة لمعظم التلاميذ . هذا فى المدارس الكبيرة ، أما المدارس الصغيرة فلا يمكنها أن تقوم بتعليم كل المناهج ، ولكن أصغر مدرسة تحاول أن يكون بها منهجان مختلفان أو ثلاثة يختار منها التلاميذ ما يشاءون .

ويشمل القسم الأول السنوات الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، ويشمل القسم الثانى السنوات الخامسة والسادسة والسابعة .

مناهج التعليم الثانوى :

ولكل مدرسة ثانوية منهج خاص بها يجب أن توافق عليه وزارة التربية والتعليم . ففى المدارس الثانوية — كما فى غيرها من المدارس الإنجليزية — تجد حرية كبيرة فى اختيار المنهج الذى يناسبها ، بحيث تستطيع الانتفاع بمواهب أساتذتها ، والقيام بتنفيذ ما يحتاج إليه تلاميذها ، وما يصلح للبيئة الإقليمية المتصلة بالمدرسة . وعلى أى حال يجب أن تدرس المواد الآتية فى كل مدرسة ثانوية بحيث تكون الدراسة باللغة الإنجليزية :

(١) اللغة الإنجليزية وآدابها .

(٢) لغة أجنبية على الأقل . (وإذا كان بالمدرسة لغتان أجنبيتان وجب أن تكون اللاتينية إحداهما) .

(٣) الجغرافية والتاريخ .

(٤) العلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر .

(٥) العلوم : الطبيعة والكيمياء .

(٦) الرسم .

وزيادة على المواد السابقة يجب أن تقوم مدارس البنات بتعليم التدبير المنزلى من أشغال إبرة ، وطهى ، وغسل ملابس وكيها ، وإدارة منزلية ، وقانون صحة . ولا يعترف بالمدرسة إلا إذا كان لديها الاستعداد التام لتعليم الألعاب المنظمة ، والتربية البدنية ، والغناء ، والأعمال اليدوية . وفى بعض المدارس الكبيرة للبنات

تجد مناهج لتعليم الفتيات الأمور الخاصة بالأعمال الكتابية كالكتابة على الآلة الكاتبة وما إليها . و بالمثل تجد فى المدارس الثانوية للبنين بعض مواد التعليم التجارى . كإمساك الدفاتر والحساب التجارى .

والوزارة تشجع من يقوم بالتجارب فى النظم أو الطرق الحديثة فى التربية والتعليم . ومنذ عدة سنوات قد سنت قوانين لإعطاء إعانات للمدارس التى تقوم بتجارب جديدة . ومن هذه المدارس :

(١) مدرسة (بيرْس)[١] للبنين بكمبردج ، وتقوم بتجربة الطرق الشفوية فى تعليم اللغات القديمة .

(٢) مدرسة (نيرْسْبَرُو)[٢] الثانوية ، وتقوم بتجربة منهج خاص بتعليم الزراعة للبنين والبنات المضطرين إلى الاشتغال بالزراعة فى الريف .

(٣) المدرسة العالية للبنات بمنشستر ، وهى تجرب منهجاً فى تعليم الأعمال الكتابية للبنات اللاتى يردن الاشتغال بالوظائف الكتابية عند ما يتركن المدرسة .

(٤) مدرسة (جيمس ألِين) للبنات فى (دَلْوِيتْش)[٣] ، للتجربة فى تعليم علم النبات .

(٥) مدرسة سكْسِى فى بلاكْفورْد (سَمَرْسِت)[٤] ، لتجربة منهج فى الزراعة العلمية والعملية بمزرعة صغيرة .

---

(١) Perse School

(٢) Knaresborough School.

(٣) James Allen's School, Dulwich.

(٤) Sexey's School, Blackford (Somerset.

ولوجود اختلاف كبير بين المدارس الثانوية بعضها و بعض ، تجد من المحال ذكر منهج معين ينفذ فى جميع أنحاء انجلترا ؛ لأن مناهج المدارس الثانوية قد وضعت لتناسب رغبات كل جهة من الجهات وحاجاتها ؛ فما يصلح للبيئة الزراعية لا يصلح للبيئة الصناعية ، وما يصلح لهذه لا يناسب الجهة التجارية وهكذا . ولكى نعطى القارئ فكرة عامة عما يقصد من التعليم الثانوى نذكر هنا عدة مناهج ، بعضها للمدارس الثانوية للبنين ، و بعضها الآخر للمدارس الثانوية للبنات .

(١) منهج مدرسة ثانوية تعد تلاميذها للجامعات

	دراسة إعدادية ثانوية	للقسم الاول من التعليم الثانوى	قسم التخصص الكلاسيكى فى الاغريقية واللاتينية والادب القديم						أقسام أخرى للتخصص		
متوسط عمر التلاميذ	سنوات								سنوات		
	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٦	١٧	١٨
المواد الدراسية	عدد الحصص											
ديانة	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١
لغة إنجليزية	٦	٦	٣	٣	٢	٢	٣	٢	٢	٣	٢	٢
لغة لاتينية	—	—	٦	٦	٦	٥	٩	٢٠	٢٢	٣	٣	٣
لغة إغريقية	—	—	—	—	٦ب	٥	٨	—	—	٤ب	٤	٤
لغة فرنسية	٦	٦	٥	٥	٥	٣	٣	٣د	٢	٣	٣	٢
لغة ألمانية	-	—	—	—	٦ب	٥	—	—	—	٤ب	٤	٤
تاريخ	٣	٣	٢	٢	٢	٢	٣د	٣	٣	٣د	٣	٣
جغرافية	٢	٢	٢	٢	٢	٢	—	—	—	—	—	—
رياضة : حساب وهندسة وجبر	٦	٦	٦	٦	٦	٥	٥	٣	٢	١٤	١٦	١٧
علوم : طبيعة وكيمياء	—	—	٣	—	—	—	—	—	—	—	—	—
مشاهدة الطبيعة	٣	٣	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
خط	١	١	-	—	—	—	—	—	—	—	—	—
رسم	٢	٢	٢	٢	٢	٢	—	—	—	١	—	—
أعمال يدوية	٢	٢	٢	٢	—	—	—	—	—	—	—	—
مجموع الحصص فى الأسبوع	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢
			٦+							٤+	٤+	٤

ملحوظة : (مدة الحصة ٤٥ دقيقة)

توضيحات خاصة بالمنهج السابق :

(ا) فى المدارس الداخلية يخصص الدين بمدة أخرى فى أيام الأحد .

هذه العلامة } تدل على أن الحصص يمكن توزيعها بين المادتين بحسب الحاجة .

(ب) يترك للطالب اختيار إحدى اللغتين : الإغريقية أو الألمانية . وإذا حذفت حصص إحداهما كان المجموع ٣٢ حصة فى الأسبوع .

(حـ) يجوز للطالب أن يتعلم الألمانية بدلاً من الفرنسية فى السنتين الأخيرتين من قسم التخصص (الكلاسيكى) .

(ء) فى السنوات الثلاث الأخيرة يخصص تلاميذ القسم (الكلاسيكى) ثلثى الوقت باللغتين الإغريقية واللاتينية ، والأدب القديم ، والثلث الباقى بالتاريخ واللغات الحديثة . أما تلاميذ الأقسام الأخرى للتخصص فعلى العكس ، بمعنى أنهم يخصصون ثلثى وقتهم بالتاريخ واللغات الحديثة ، والثلث الباقى بالمواد القديمة .

وللمتخصصين بالتاريخ واللغات الحديثة أن يأخذوا من زمن الرياضة والعلوم ما يشاءون من الوقت ؛ كأن تؤخذ من اللغة الإنجليزية حصة ، وتجعل للتربية الوطنية ، وتؤخذ من العلوم والرياضة حصة لتدبير الصحة .

(٢) منهج مدرسة ثانوية إقليمية تعد تلاميذها للتجارة والصناعة

	دراسة إعدادية ثانوية		القسم الأول				القسم الثانى		
متوسط عمر التلميذ	سنين ١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
المواد الدراسية	عدد الحصص		عدد الحصص				عدد الحصص		
ديانة	١	١	١	١	١	١	١	١	١
لغة إنجليزية	٦	٦	٣	٣	٣	٣	٤ ح	٤	٤ +ب٢
« فرنسية	٦	٦	٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥
« ألمانية	—	—	٦ ب	٦ ب	٥ ب	٥ ب	٥ ب	٥ ب	٥ ب
« لاتينية	—	—	٦ ب	٦ ب	٥ ب	٥ ب	٥ ب	٥ ب	٥ ب
تاريخ	٣	٣	٢	٢	٢	٢	٤	٤	٤
جغرافية	٢	٢	٢	٢	٢	٢	—	—	—
رياضة: حساب وهندسة وجبر	٦	٦	٦	٦	٦	٦	٥	٥	٥
علوم: طبيعة وكيمياء	—	—	٣	٣	٤	٤	٥	٥	٥ +م٥
مشاهدة الطبيعة	١	٣	—	—	—	—	—	—	—
خط	١	١	—	—	—	—	—	—	—
رسم	٢	٢	٢	٢	٢	٢	١	١	١ +ب٢
أعمال يدوية	٢	٢	٢	٢	٢	٢	—	—	—
مجموع الحصص فى الأسبوع	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢	٣٢

+٦ +٦ +٥ +٥

تنبيه : مدة الحصة ٤٥ دقيقة .

(ا) هذه العلامة « } » التى بين المادتين تدل على أن الحصص يمكن أن توزع بينهما بحسب الحاجة .

(ب) للطالب أن يختار اللغة اللاتينية ، أو اللغة الألمانية ، وبحذف حصص إحداهما يكون المجموع ٣٢ حصة .

(ح) تخصص حصة من اللغة الإنجليزية فى السنوات الثلاث الأخيرة بدراسة التاريخ القديم ، وتراجم من الأدب القديم .

(ء) تزاد حصتان فى اللغة الإنجليزية أو الرسم ، بحسب اختيار الطالب فى القسم الثانى .

(هـ) تجوز زيادة خمس حصص فى العلوم بدلاً من دراسة لغة أجنبية ثانية فى القسم الثانى .

(و) تعلم التربية الوطنية فى حصة تؤخذ من اللغة الإنجليزية .

(ز) يعلم قانون الصحة فى حصة تؤخذ من العلوم أو الرياضة .

(٣) منهج مدرسة ثانوية للبنات

وهو منهج خمس سنوات ، من ١٠ إلى ١٥ للقسم الأول من التعليم الثانوى ، وذلك قبل الابتداء فى التخصص . ودروس الصباح من ٢٦ إلى ٣٠ درساً فى الأسبوع ، وتختلف فى الطول أو القصر بحسب الحاجة . وتستغرق من الزمن من ١٨ إلى ١٩ ساعة أسبوعيًا فى كل فصل .

فصـــول (١)

السنوات الدراسية	أولى (١)	ثانية (١)	ثالثة (١)	رابعة (١)	خامسة (١)
سن التلميذات	١٠ — ١١	١١ — ١٢	١٢ — ١٣	١٣ — ١٤	١٤ — ١٥
المواد الدراسية	عدد الحصص	عدد الحصص	عدد الحصص	عدد الحصص	عدد الحصص
ديانة	٣	٣	٢	٢	٢
مجموعة واحدة: لغة إنجليزية	٥	٥	٤	٣	٣
مجموعة واحدة: جغرافية	٢	١	١	٢	١
مجموعة واحدة: تاريخ	١	٢	٢	٢	٢
مجموعة واحدة: حساب	٥	٤	٢	٢	١
مجموعة واحدة: هندسة	—	١	٢	٢	٢
مجموعة واحدة: جبر	—	—	٢	٢	٢
لغة فرنسية	٥	٥	٣	٤	٣
لغة لاتينية أو ألمانية	—	—	٥	٤	٤
مشاهدة الطبيعة وعلم الحياة	١	٢	٢	—	٢
مبادئ العلوم	—	٢	—	٢	٢
خياطة	٢	١ + ١	دراستها بعد الظهر إجبارية لمدة سنة		
رسم	١	٢	٢		١
غناء	٢	١	بعد الظهر : اختيارى		
تربية بدنية	٣	٢	١	٢	١
ألعاب	—	—	اختيارية بعد الظهر		
مجموع الحصص فى الأسبوع	٣٠	٣٠	٢٨	٢٧	٢٦

(١) الخياطة إجبارية فى السنة الأولى واختيارية فى السنة الثانية

منهج مدرسة ثانوية للبنات

فصول ب

السنوات الدراسية	أولى (ب)	ثانية (ب)	ثالثة (ب)	رابعة (ب)	خامسة (ب)
سن التلميذات	١٠ — ١١	١١ — ١٢	١٢ — ١٣	١٣ — ١٤	١٤ — ١٥
المواد الدراسية	عدد الحصص	عدد الحصص	عدد الحصص	عدد الحصص	عدد الحصص
ديانة	٣	٣	٢	٢	٢
مجموعة واحدة: لغة إنجليزية	٥	٥	٥	٥	٤
مجموعة واحدة: جغرافية	٢	٢	٢	٢	٢
مجموعة واحدة: تاريخ	١	٢	٢	٢	٢
حساب	٥	٤	٥	٣	٢
هندسة	—	—	—	٢	٢
جبر	—	—	—	—	٢
لغة فرنسية	٥	٥	٥	٥	٤
لغة ألمانية[١]	—	—	—	(٥)	(٤)
مشاهدة الطبيعة	١	٢	٢	٢	—
علم التدبير المنزلى	—	—	—	٢	٢
رسم	١	٢	٢	—	٢
خياطة	٢	١	اختيارية بعد الظهر		
غناء	٢	١	١	اختيارى بعد الظهر	
تربية بدنية	٣	٣	٢	٢	٢
ألعاب	—		اختيارية بعد الظهر		
مجموع الحصص فى الأسبوع	٣٠	٣٠	٢٨	٢٧	٢٦

٤ + ٥ +

(١) اللغة الألمانية اختيارية فى السنتين الرابعة والخامسة ، وبحذف حصصها يكون مجموع الحصص فى الأسبوع ٢٧ فى السنة الرابعة و٢٦ فى السنة الخامسة .

(٤) مناهج اختيارية حيث يبتدئ التخصص

لشهادة الدراسة الثانوية (البكالوريا)

يدرس الطلبة فى القسم الثانى سنتين أو ثلاث سنوات ، وعمرهم من ١٥ إلى ١٧ أو ١٨ سنة ، وفق مقدرة التلميذ العقلية والعلمية

	مواد إجبارية		مواد اختيارية يترك الاختيار فيها للطالب			ملاحظات
عدد الدروس فى الأسبوع	٤ دروس	من ٥ إلى ٦ دروس	٤ دروس	من ٤ إلى ٥ دروس	٤ دروس	
(١) (أ) للقسم الأدبى استعداداً لدرجة B.A (بكالوريوس فى الآداب)	أدب لغة إنجليزية وتاريخ	رياضة : حساب وهندسة وجبر	لغة فرنسية	لغة لاتينية	جغرافية مع الجزء العلمى منها	للثقافة العامة
(ب) للقسم الأدبى استعداداً لدرجة B.A	أدب لغة إنجليزية وتاريخ	رياضة : حساب وهندسة وجبر	لغة فرنسية	لغة لاتينية	لغة ألمانية	لطلبة اللغات الحديثة والموسيقا
(ح) للقسم الأدبى استعداداً لدرجة B.A	أدب لغة إنجليزية وتاريخ	رياضة : حساب وهندسة وجبر	لغة فرنسية	لغة لاتينية	لغة إغريقية	لطلبة التخصص فى اللغات والمواد القديمة
(٢) للقسم العلمى استعداداً لدرجة B.Sc (بكالوريوس فى العلوم)	أدب لغة إنجليزية وتاريخ	رياضة : حساب وهندسة وجبر	لغة أجنبية وتفضل الألمانية	كيمياء	علم الحياة أو طبيعة	تترك الفرنسية فى سن ١٥. تفضل معظم البنات علم الحياة
(٣) لمن يرغب أن يكون مدرساً فى المدارس الابتدائية والإعدادية	أدب لغة إنجليزية وتاريخ	رياضة : حساب وهندسة وجبر	لغة لاتينية أو فرنسية	كيمياء أو علم الحياة	جغرافية	الذكيات من البنات يخترن اللاتينية . الفرنسية أسهل ولكن اللاتينية أفضل
(٤) لمن يريد التخصص فى التجارة وللطلبة الضعاف فى الآداب أو العلوم	أدب لغة إنجليزية وتاريخ	رياضة : حساب وهندسة وجبر	لغة فرنسية	لغة ألمانية	جغرافية	اختيار سهل ومفيد

(٥) منهج للبنات فى التعليم الثانوى

يبتدئ من سن ١٢

يتكون هذا المنهج من ٢٨ درساً في الأسبوع على الأقل ، ما عدا التعليم الدينى والتربية البدنية . وإن دروس بعد الظهر قصيرة ، والواجبات المنزلية قليلة .

السنة الأولى من سن ١٢ إلى ١٣	السنة الثانية من سن ١٣ إلى ١٤	السنة الثالثة من سن ١٤ إلى ١٥	السنة الرابعة (حيث يبتدئ التخصص) من سن ١٥ إلى ١٦
حصة	حصة	حصة	حصة
تاريخ ٢	تاريخ ٢	تاريخ ٢	تاريخ ٢
جغرافية ٢	جغرافية ٣	جغرافية ٢	جغرافية ٢
أدب لغة إنجليزية ٢	أدب لغة إنجليزية ٢	أدب لغة إنجليزية وإنشاء ٣	أدب لغة وإنشاء ٣
إنشاء وقواعد ومطالعة الخ ٤	إنشاء وقواعد ومطالعة الخ ٤	دروس إضافية فى الإنجليزية ٤	دروس إضافية فى الإنجليزية ٣
لغة فرنسية ٥	لغة فرنسية ٥	لغة فرنسية ٤	لغة فرنسية ٣ أو ٤
حساب ومبادئ الجبر ٤	حساب ٤	لغة ألمانية أو توسع فى الإنجليزية ٤	لغة ألمانية أو دروس إضافية فى الإنجليزية والفرنسية ٤
مبادئ الطبيعة ٢	هندسة ٢	حساب وهندسة وجبر ٥	
مشاهدة الطبيعة ٢	مشاهدة الطبيعة ٢	علوم ٤	
خياطة ٢	خياطة ٢	خياطة وطبخ أو علوم تجارية ٣	
رسم ٢	رسم ٢	فنون ٢	
غناء ١	غناء ١		
المجموع ٢٨ حصة	المجموع ٢٨ حصة	المجموع ٣٣ حصة	

لمن تريد التدبير المنزلى	لمن ترغب فى الأعمال الحرة	لمن تريد التدريس من الفتيات
حصة	حصة	حصة
علم التدبير المنزلى ٢	حساب ٣	حساب وهندسة وجبر ٧
حساب ٢	دراسة البضائع والسلع ٢	علوم ٣
قانون صحة ٢	مراسلات وأعمال مكاتب الخ ٧	جغرافية ١
طبخ وإدارة منزلية ٧	فنون ٢	خياطة ٢
فنون ٢		رسم ٢
المجموع ٣٢ أو ٣٣ حصة	المجموع ٣١ أو ٣٢ حصة	المجموع ٣٢ أو ٣٣ حصة

يلاحظ فى منهج السنة الرابعة اتحاد فى بعض المواد ، واختلاف فى بعضها الآخر ، وتترك للفتاة الحرية فى اختيار المنهج بحسب ما تحتاج إليه وما ترغبه فى المستقبل ، وما يتفق مع ميولها . وكأن منهج السنة الرابعة فى الواقع ثلاثة مناهج وهى :

(١) منهج لمن تريد التدبير المنزلى .

(٢) منهج لمن ترغب فى الأعمال الحرة .

(٣) منهج لمن تريد أن تكون معلمة .

المجانية والجوائز فى المدارس الثانوية

ليس التعليم الثانوى بانجلترا بالمجان كما فى الولايات المتحدة بأمريكا ، فبينما تجد المجانية عامة فى المدرسة الأمريكية الثانوية ، تجدها مقصورة فى المدرسة الثانوية بانجلترا على من يفوز بجائزة المجانية بالامتحان . أما المصروفات التى يتطلبها التعليم الثانوى بانجلترا ففوق مقدرة الآباء الذين هم من الطبقة العاملة . ومع ذلك تجد فى وسع الكثيرين من أبناء الفقراء الذين لا تساعدهم أحوالهم المالية على دفع النفقات المدرسية أن يتعلموا بالمجان فى المدارس الثانوية والجامعات إذا كانوا من الأذكياء المجدين . وإن وزارة التربية والتعليم لا تعترف بالمدرسة الثانوية ولا تمنحها الإعانة إلا إذا قبلت بالمجان نحو ٢٥ ٪ من تلاميذها ممن انتهوا من التعليم الابتدائى ، وحصلوا على المجانية . والتلميذ الذى ينال الجائزة أو المجانية يعفى مدة حياته المدرسية من المصروفات ، ويقبل بالمجان بالقسم الداخلى ، ويعطى ثمن الكتب ونفقات السفر .

ولقد شكا كثير من المدارس الثانوية هذا القانون ، وادعى أن هذه النسبة المئوية للمجانية أدت إلى كثير من المتاعب ، وأضرت بالنظام المتبع ، والتقاليد

المدرسية الخاصة ، وأن هذا القانون وضع على عاتق المدارس الثانوية حملاً ثقيلاً . فقللت الوزارة النسبة فى بعض المدارس . وفى سنة ١٩١٤ سمحت الوزارة لخمس مدارس ومائة من ٩١٠ مدرسة بأن تقبل أقل من ٢٥ ٪ بالمجان . ومما يؤسف عليه أن الحياة المدرسية للتلميذ المجانى قصيرة جداً مع وجود أمكنة خالية بالمدارس . ويستدل على ذلك من الإحصاء التالى : —

جنس التلاميذ	من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩١٠		من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١١		من سنة ١٩٠٩ إلى سنة ١٩١٢		من سنة ١٩١٠ إلى سنة ١٩١٣	
	الحياة المدرسية	السن عند ترك المدرسة	الحياة المدرسية	السن عند ترك المدرسة	الحياة المدرسية	السن عند ترك المدرسة	الحياة المدرسية	السن عند ترك المدرسة
	شهر سنة	شهر سنة	شهر سنة	شهر سنة	شهر سنة	شهر سنة	شهر سنة	شهر سنة
بنون	٧ ٢	١٥ ٦	٨ ٢	١٥ ٧	٨ ٢	١٥ ٧	٩ ٢	١٥ ٧
بنات	٧ ٢	١٦ ٠	٩ ٢	١٦ ٠	١٠ ٢	١٦ ٠	١١ ٢	١٦ ٠

امتحانات المدارس الثانوية

يكفى هنا أن نذكر باختصار الطريقة الأخيرة التى تتبعها وزارة التربية والتعليم فى امتحانات المدارس الثانوية فنقول : لقد وافقت الوزارة بعد تجربة طويلة ، ومجهود كبير على أن يمتحن الطلبة مرتين .

أولاً : عند ما يكون عمرهم نحو ١٦ سنة . أما المواد فتنقسم أربعة أقسام :

(١) اللغة الإنجليزية .

(٢) اللغات الأجنبية غير الإنجليزية .

(٣) الرياضة والعلوم .

(٤) مواد خارجة عن المنهج الرئيسى كالموسيقا ، والفنون ، والنجارة ، والتدبير المنزلى .

وكل طالب يجب أن ينجح فى كل قسم من الأقسام الثلاثة الأولى .

ثانياً : يمتحن بعد النجاح فى الامتحان الأول بسنتين فى المواد التى يتخصص بها .

أما الشهادة التى يحصل عليها الطالب بعد الامتحان الأول فتعفيه من شهادة (المتركيليشن[1]) وتفيده فى العالم التجارى . وأما الشهادة الثانية فتعفيه بشروط خاصة من امتحانات الجامعة فى الشهادة المتوسطة .

ويقوم بامتحانات المدارس الثانوية جماعات خاصة — عددها ثمان — تابعة للمراقبة العامة لهذه الامتحانات ، وهذه المراقبة أنشئت سنة ١٩١٧ . وفى تلك السنة تقدم للامتحان الأول ١٤٢٣٢ طالب ، وللامتحان الثانى ٥٥٠ طالب . وفى سنة ١٩٢٥ بلغ عدد المتقدمين إلى الأول ٤٣٠٩٢ طالب ، وإلى الثانى ٦٣٨٠ طالب . ولا يزال العدد فى ازدياد مستمر .

مالية التعليم الثانوى

إن الموارد الرئيسية لمالية التعليم الثانوى أربعة وهى :

(١) بقايا ضريبة المشروبات الروحية .

(٢) الإعانة الحكومية .

(٣) الضرائب المحلية .

(٤) الأجور المدرسية .

ولنتكلم عن كل منها فنقول : —

أما بقايا ضريبة المشروبات الروحية فهى ما يتبقى من ضريبة الخمور بعد أخذ ٣٠٠٠٠٠ جنيه منها مساعدة للمتقاعدين للعجز أو كبر السن ، من الشرطة . وقد كان الغرض الأساسى من هذه الضريبة أن يتجنب الناس الخمور ، ولكنهم

(١) Matriculation : التوجيهية أو البكالوريا لدينا .

لم يعبئوا ، واستمروا فى طغيانهم يعمهون . فوجدت الحكومة لديها مبلغاً كبيرا من المال قد جمع من هذه الضريبة ، فأعطت جزءاً منها للمذكورين من الشرطة وخصصت الباقى منها بالتعليم الثانوى والراقى . واستمر الأمر هكذا إلى يومنا هذا .

وأما الإعانة الحكومية فتؤخذ من ضريبة الدخل . وتدفع الوزارة جنيهين عن كل تلميذ فى المدرسة الثانوية الخاضعة للتفتيش إذا كان بين العاشرة والثانية عشرة من العمر ، وخمسة جنيهات عن كل تلميذ بين الثانية عشرة والثامنة عشرة . ومنذ سنة ١٩١٣ تدفع الحكومة إعانة إضافية مقدارها جنيه عن كل تلميذ بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة للمدارس الثانوية التى تقبل ٢٥ ٪ بالمجان ، ممن انتهوا من المدارس الأولية . ومن هذا ترى أن المبدأ فى الإعانة هو زيادة نسبتها للتلاميذ الكبار ، وتقليلها للصغار ، حتى يستمر التلاميذ فى المدرسة أكثر من السن المعينة لتركها ، وهى ١٦ سنة . وفى سنة ١٩١٧ زادت إعانة التعليم الثانوى إلى الضعف تقريباً ؛ لتحسين مرتبات المدرسين المساعدين ، وترقية مستوى التعليم .

وأما الضرائب المحلية فهى تلك الضرائب التى تفرضها المجالس المحلية على الأهلين للتعليم الثانوى والراقى من فنى وصناعى وليلى . وهى اثنان من (البنسات[1]) فى الجنيه . وقد طلبت السلطات المحلية للتعليم من الحكومة عدم تحديد هذه الضريبة ، وترك الحرية لها فى أن تضع الضريبة التى تناسبها ، فأجابت الحكومة رغبتها فى ذلك . ففى (لانكشير) مثلاً تجدها ٣ ¾ (بنسات) ، وفى (دورستشير) وهى مقاطعة ريفية تجدها (فارْذِنْج) أى رُبْع (بنى) : ولم تكن (دورستشير) فى حاجة إلى هذه الضريبة قبل سنة ١٩١٤ .

وتختلف الأجور المدرسية للتعليم الثانوى اختلافاً كبيراً . ولقد كانت من

(١) البنى : نحو قرش تعريفة .

جنيه إلى عشرين (قبل الحرب العالمية الأولى) ، وكانت فى المدارس الإقليمية ٥ ٣/٤ جنيهات فى مدارس البنين ، و ٥ ٢/٥ جنيهات فى مدارس البنات ، و ٣ ٤/٥ جنيهات فى المدارس المختلطة ، للبنين والبنات : أما اليوم فقد زادت الأجور كثيراً .

الفصل التاسع

كليات المعلمين وإعداد المدرسين للمدارس الابتدائية

الحاجة الى كليات المعلمين :

لم يكن المعلمون فى القرن التاسع عشر بالأكفاء ؛ فقد كان معظمهم من العرفاء الذين لا يعرفون قليلاً ولا كثيراً عن التربية والتعليم . وكانت معلوماتهم ناقصة ، وكان تعليمهم بالمحاكاة ، يحاكى فيه الصغير الكبير ، فيتعلم مهنة التعليم بملاحظة التدريس بالمدرسة التى هو بها . وكان ناظر المدرسة الأولية هو المعلم الناصح ، والمرشد الأكبر ، يقوم بإعطاء الإرشادات العلمية لهؤلاء المدرسين المبتدئين . وكانت المرتبات ضئيلة لا تذكر . فكانت الحاجة كبيرة إلى إنشاء كليات للمعلمين تقوم بإعداد المدرسين للمدارس الأولية ، وتعليمهم التربية علميًا وعمليًا ؛ حتى يستطيعوا القيام بمهنة التعليم بعد أخذ شهاداتهم منها . ففى سنة ١٨٤٠ أنشئت كليات دينية للمعلمين ، وكانت داخلية فى الغالب ، تقوم بإدارتها جماعات دينية . وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أنشئ عدد كبير من الكليات والجامعات فى الجهات المختلفة بانجلترا [1] فسهل السبيل أمام طلبة المعلمين فى أن يلحقوا بإحداها ؛ ليعدوا أنفسهم للتدريس ، وينالوا نصيبهم من التعليم الجامعى . وفى سنة ١٨٨٨ اقترح إيجاد كليات نهارية للمعلمين تكون تابعة لإحدى الجامعات . وقد نفذ هذا الاقتراح فى سنة ١٨٩٠ . ومنذ ذلك الوقت كثر عدد هذه الكليات الخارجية ؛ وزادها كثرة تشجيع الحكومة سنة (١٩٠٦) أى سلطة محلية ترغب

(١) سنفصل ذلك حينما نتكلم عن الجامعات الإنجليزية فى الفصل التالى

فى إنشاء كلية معلمين ؛ بإعطائها مقداراً كبيراً من الإعانة المالية . فتضاعفت الكليات ، وانفصلت تدريجيًا عن الجماعات الدينية ، وأصبح معظم طلبة المعلمين يعلمون فى كليات عادية غير دينية . وفى القرن العشرين شجعت الوزارة إقامة مساكن للطلبة ، وأخرى للطالبات تكون تابعة للكليات .

أنواع الكليات :

وهذه الكليات على أنواع مختلفة ؛ فمنها :

(١) كليات لإعداد المعلمين .

(٢) وكليات لإعداد المعلمات .

(٣) وكليات مختلطة لإعداد المعلمين والمعلمات .

ومنها ما هو تابع للجامعة ، ومنها ما هو تابع للسلطات المحلية .

وفى سنة ١٩١٤ كانت كليات المعلمين والمعلمات بانجلترا وويلز كما يأتي :

نوع الكلية	عدد الكليات	طلبة داخليون بالكليات	طلبة بمساكن الكلية	طلبة خارجيون
لإعداد المعلمين ليس غير	٢١	١٦١٧	—	٧٢٧
« المعلمات « «	٤٣	٤١٥٧	٤٢٩	١٥٢٨
مختلطة لإعداد المعلمين والمعلمات .	٢٣	—	١٩٣١	٢٧٠٤
المجموع	٨٧	٥٧٧٤	٢٣٦٠	٤٩٥٩

وهذه الكليات موزعة توزيعاً حسناً فى جميع أنحاء البلاد . وتختار مواقعها غالباً فى الخلاء بين الأشجار فى الأجمات . ولكل كلية مجلس إدارة مسئول عن :

(١) وضع منهج الدراسة وتنفيذه .

(٢) ملاحظة المساكن التى يختارها الطلبة الخارجيون لسكناهم .

(٣) مراقبة هؤلاء الطلبة فى خارج الكلية من الوجهة الخلقية .

(٤) النظام العام فى الكلية .

فمجلس الإدارة يعد السلطة التنفيذية فى الكليات الداخلية والخارجية التابعة لإحدى الجامعات . أما الكليات الدينية فتتولى رياستها عادة مجالس دينية . وقد يقوم بإدارة الكلية فى المجالس المحلية جماعة غير فنية وفى هذه الحال تترك الأمور لناظر الكلية ، ويكون للجماعة الحق فى المراجعة وإعادة النظر .

أساتذة الكلية وناظرها :

فى كل كلية عميد ، وأساتذة ، ومحاضرون ، ومحاضرون مساعدون ؛ فالعميد يجب أن يكون حاصلاً على درجة أستاذ من إحدى الجامعات البريطانية . ويختار الأساتذة والمحاضرون ومساعدوهم عادة من الأكفاء . ويجب أن يكون الثلثان منهم على الأقل من الحاصلين على درجات جامعية . ويرأس كل قسم من أقسام الكلية أستاذ مختص . وتوزع المواد وهى علوم التربية واللغة الإنجليزية وآدابها ، والتاريخ ، والجغرافيـة ، والعلوم ، والمواد الرياضية على المختصين بتدريسها . ويشترط موافقة الوزارة على تعيين الأساتذة ، وعددهم ، ومؤهلاتهم ، ومرتباتهم ، وساعات عملهم قبل الانتهاء فى التعيين .

الطلبة بكليات المعلمين :

معظم هؤلاء الطلبة من الطبقة المتوسطة أو العاملة (ممن وصلوا بجدهم ومثابرتهم ومقدرتهم إلى هذه الكليات) . ولقد تحسن مستواهم تحسناً كبيراً منذ الوقت الذى أزيلت فيه تلك القيود التى كانت تقيدهم بالتدريس فى المدارس الأوليـة مدى حياتهم . وأصبح لهم الحق الآن فى التدريس بالمدارس الثانوية ، والمعاهد الحكومية الأخرى ، متى تحققت فيهم الشروط المطلوبة . ويظهر التقدم حقيقة

فى طلبة القسم الخاص الذين يدرسون ثلاث سنوات أو أكثر بالجامعة أو إحدى الكليات . ويشترط فيمن يرغب فى اللحاق بكليات المعلمين أربعة شروط وهى:

(١) النجاح فى الامتحان المبدئى لشهادة المعلمين أو فيما يعادله .

(٢) الحصول على شهادة بحسن الصحة .

(٣) إمضاء تعهد خاص بالقيام بالتدريس مدة معينة من السنين ؛ وهى سبع سنوات للمدرسين ، وخمس للمدرسات . ومن خالف هذا الشرط كلف أن يدفع للوزارة جزءاً من نفقات تعلمه يناسب المدة التى انقطع فيها عن التدريس .

(٤) أن تكون سنه ١٨ سنة على الأقل . وقد يقبل من فى سن ١٧ بطريقة استثنائية .

منهج الدراسة بكلية المعلمين

يختلف المنهج باختلاف المدة التى يختارها الطالب ؛ فهناك منهج يحتاج إلى دراسة سنتين ؛ استعداداً لمهنة التعليم بالمدارس الابتدائية . وثمانون فى المائة من الطلبة يكتفون بهذا المنهج ، وليس بالكليات الداخلية غيره . وهناك منهج آخر تستغرق دراسته ثلاث سنوات ، وأحياناً يحتاج إلى أربع سنوات ، ويكون بالكليات التى تعد جزءاً من الجامعة[1] . ولنتكلم عن كل من المنهجين فنقول : —

منهج السنتين : —

تنقسم مواد الدراسة ثلاثة أقسام :

(١) مواد عامة وهى :

اللغة الإنجليزية والتاريخ والجغرافية والعلوم الرياضية ومبادئ العلوم .

(١) وكثيراً ما يكون بها منهج لسنتين .

(٢) مواد فنية خاصة وهى :

(ا) علوم التربية وقواعدها بما فيها التربية العلمية والعملية .

(ب) قانون الصحة والتربية البدنية .

(خ) الموسيقا والغناء .

(ء) الرسم .

(ه) أشغال الإبرة (للطالبات ليس غير) .

(٣) مواد اضافية وهى :

اللغات الفرنسية والألمانية واللاتينية ، والطبيعة والكيمياء ، وعلم النبات ، والتدبير المنزلى .

والغرض من دراسة المواد العامة الثقافة من جهة ، والاستعداد للقيام بتدريس هذه المواد فى المستقبل من جهة أخرى . أما المواد الفنية فالغرض منها الاستعداد الفنى للتدريس من الوجهتين العلمية والعملية . وأما المواد الإضافية فقد أدخلتها الوزارة مواد كمالية اختيارية فى الكليات التى لديها استعداد وأساتذة لتدريس هذه المواد .

وإن نظرة واحدة إلى هذا المنهج تكفى للحكم بأن مواد الدراسة كثيرة جدًّا ، يصعب على أى طالب استذكارها مع إجادتها وإتقانها . ولذلك يسمح للطلبة أو للطالبات بترك الرسم وأشغال الإبرة إذا كانوا يجيدونهما قبل لحاقهم بالكلية ، وترك الموسيقا إذا كانوا لا يستطيعون الاستفادة منها بالتعليم العملى . وعلى أى حال يجب أن يشتمل المنهج على ما بقى من المواد الفنية وهى التربية النظرية والعملية ، وقانون الصحة ، والتربية البدنية ، وعلى ثلاث مواد على الأقل من المواد العامة ، بشرط أن تكون اللغة الإنجليزية إحداها .

وبهذه الوسيلة يمكن تعدد منهج الدراسة بحيث يجعل مناسباً لميول الطلبة ومقدرتهم ، فيستفيد كل منهم بحسب مواهبه واستعداده . وإذا أجاد الطالب مادة من المواد أمكن إعفاؤه منها إلا إذا أراد التخصص بها . وفى كل مادة يجد الطلبة حرية كبيرة وفرصة فى اختيار المنهج ؛ ففى التاريخ مثلا قد وضعت الوزارة أربعة مناهج عادية ، وأربعة مناهج راقية ؛ أى ثمانية مناهج يختار منها الطالب ما يشاء . ووضعت لكل من الجغرافية والعلوم الرياضية منهجين عاديين ، ومنهجين راقيين ، للطالب أن يختار منها ما يريد . وفى بعض المواد الأخرى كمبادئ العلوم لم يوضع منهج خاص . وفى اللغات الفرنسية والألمانية واللاتينية لا يحتاج إلى كتب معينة . ومع هذا فللكليات حرية كبيرة فى تعيين المناهج واختيارها ، وليس من الضرورى أن تتقيد بالمناهج التى تضعها الوزارة . ولها الحق فى أن تقدم للوزارة المنهج الذى تستحسنه . والوزارة تشجع أى عمل تراه أحسن من عملها . أما الكليات فى ألمانيا وكندا فتضطر إلى تنفيذ مناهج معينة موضوعة لها .

وبالبحث فى منهج السنتين بكليات المعلمين والمعلمات نجد أن العناية كبيرة بالأدبيات والعلوم الرياضية ، وأن العناية بتاريخ التربية وبعلم النفس التعليمى قليلة . واليوم تكتفى الكليات بدراسة تاريخ التربية فى القرن التاسع عشر ، وتظهر عناية بعلم النفس التعليمى ومنهجه ، ووضعه بحيث يستطيع المدرس الانتفاع به فى التعليم ، ويجد فيه المعلمون ما يحتاجون إليه .

طريقة التدريس فى الكليات :

إن الطريقة المتبعة فى التدريس بالكليات هى طريقة المحاضرات : بأن يعد الأستاذ المحاضرة ثم يلقيها على الطلبة . وفى أثناء ذلك يأخذون من المذكرات ما يشاءون من النقط الرئيسية . وبالتعود يسهل أخذها فى أثناء الإلقاء ، ثم

الكتابة على هذه النقط بالتفصيل فيما بعد . وبعد الانتهاء من المحاضرة يذهب الطالب إلى المكتبة للبحث والاطلاع . وبالقراءة عن الموضوع فى عدة كتب قد يجمع بنفسه ما يكفى أكثر من محاضرة . ولقلة الحصص يجد الطلبة لديهم جزءاً كبيراً من الوقت للاستذكار فى المكتبة . وفى الكلية الملكية بلندن تفتح المكتبة[1] من تمام الساعة التاسعة صباحاً إلى تمام الثامنة مساء . ولكثرة التردد على المكتبة ، وكثرة الاطلاع ، قد يعرف الطالب المجد معظم الكتب التى فى المكتبة ، ومؤلفيها ، وأحسن الموضوعات التى كتبت فى كتاب كذا ، وأحسن كتاب وفَّى هذا الموضوع حقه ، وهكذا . وبهذه الطريقة فى البحث يكثر العلماء والمؤلفون ، ويُعَد المدرسون إعداداً حسناً . ولست بذلك أقصد أن أقول إن كل طالب مجد أو مجيد : ففى كل مجموعة نجد المجتهد والكسلان . ولكن المكتبة مفتوحة ، وفرصة البحث سانحة أمام من يرغب فى الانتفاع بها . والحق أن الطالبات أكثر اجتهاداً من الطلبة ، والمكتبات مملوءة بهن .

ولا يقوم المحاضر بكتابة مذكرات للطلبة يطبعونها ، ويتوارثونها سنة بعد أخرى ، وجيلا بعد جيل ، كما يحدث هنا ؛ فالطلبة بانجلترا يعتمدون على أنفسهم فى مذكراتهم . أما تلك المذكرات العتيقة التى أكل الدهر عليها وشرب فلا وجود لها هناك . وقد يكون للطلبة لدينا المعذرة فى طلب المذكرات لكثرة الدروس والمواد ، وقلة الكتب العربية فى علوم التربية مثلا ، وعدم إجادة لغة أجنبية . أما إذا كانوا يجيدون لغة أجنبية ، وكانت كتب المراجعة كثيرة ، والحصص قليلة ، فلا عذر لهم فى طلب المذكرات . وأمثال هؤلاء يجب ألا يشجعوا على الاتكال على المدرس ، وأن يعودوا الاستقلال فى عملهم ، والاعتماد على أنفسهم ، والاسترشاد بأساتذتهم عند الحاجة ليس غير .

(١) راجع موضوع المكتبات فى الفصل الثانى من هذا الكتاب .

التربية العملية :

تقوم كل كلية من كليات المعلمين بعمل التسهيلات للطلبة ؛ كى يقوموا بواجبهم فى التربية العملية ، والتمرن على التدريس ؛ فقواعد التدريس ونظريات التربية شىء وتنفيذها شىء آخر . ولا فائدة من أى نظرية من النظريات إذا لم تمكن الاستفادة منها عمليًا . والتمرين قد يكون فى مدرسة خاصة ملحقة بالكلية ، وقد يكون فى مدرسة من المدارس القريبة منها .

وفى الحالة الأولى تعد الملحقة كابنة للكلية متصلة بها كل الاتصال . وفى الحالة الثانية يجب أن تقدم المدرسة كل وسيلة ممكنة للطلبة ، وأن تخضع للكلية فى النظام كى يسهل التمرين . وكل مدرسة يحتاج إليها فى التربية العملية يجب أن تفتح أبوابها للتمرن على التعليم فيها . ولا تعترف الوزارة بالمدرسة إلا إذا قبلت هذا الشرط .

أنواع التربية العملية :

والتربية العملية نوعان : —

(١) دروس النقد :

وهى دروس يعدها طلبة معينون لتدريسها أمام أستاذ التربية و بقية إخوانهم لنقدها فيما بعد ، وتعطى عادة فى أثناء السنة الدراسية ، ثم دروس نماذج يقوم بها الأساتذة أو بعض مدرسى المدرسة أمام الطلبة .

(٢) التمرين العام :

ويستغرق أكثر من أربعة أسابيع ، يقوم الطلبة فى أثنائها بالتمرن على

تدريس المواد المختلفة فى مدارس خاصة . ويكون هذا التمرين عادة فى الصيف بعد انقطاع الدراسة فى الكلية أو قبل ابتداء الدراسة بها . ويختلف ترتيب هذا التمرين باختلاف الكليات . وعلى أى حال يقوم أساتذة التربية فى الكلية ، ومندوب الوزارة ومدرسو المدارس[١] ونظارها بملاحظة الطلبة ، والتفتيش عنهم ، ومراقبتهم فى أثناء هذا التمرين العام .

منهج السنوات الثلاث

لقد انتهينا من منهج السنتين ، ولنتكلم الآن عن المنهج الذى يحتاج فى دراسته إلى ثلاث سنوات أو أربع فنقول : إن طلبة هـذا القسم يلحقون بقسم التربية بإحدى كليات المعلمين التى تعد جزءاً من الجامعة ، ويحضرون فى الوقت نفسه لنيل درجة فى العلوم أو الآداب ، ولا يقلون فى مستواهم وثقافتهم عن طلبة الطب أو القانون فى الجامعة . ويتمتعون بالمزايا التى يتمتع بها طلبة الجامعة فى الجامعات ، والأقسام الرياضية ، والحياة الاجتماعيـة . ويمثلون القسم العـالى أو الراقى من معلمى المستقبل.

وينقسم منهج الدراسة قسمين : أحدهما خاص وهو دراسة مواد معينة للحصول على درجة شرف ، أو درجة عادية فى الآداب أو العلوم أو الهندسة . والآخر فنى لدراسة علوم التربية وطرقها ، والموسيقا والغناء ، والرسم ، ثم دراسة شغل الإبرة (للطالبات) . وبهذه الطريقة يصيد الطالب عصفورين بحجر واحد[٢] . ولا ينكر أحد أن منهج السنوات الثلاث شاق ومتعب جداً ؛ لأنه يتطلب أن يدرس الإنسان فى ثلاث سنوات — وهى المدة العادية للدراسة لدرجة من الدرجات —

---

(١) التى بها التمرين .

(٢) أى يدرس للحصول على درجة فى مادة من المواد ، وعلى شهادة فى التربية فى وقت واحد .

جميع المواد الخاصة بالدرجة كما يدرس المواد الفنية التى ذكرناها من قبل . كل ذلك فى وقت واحد . ويعنى الطالب عادة بالمواد المتعلقة بالدرجة أكثر من عنايته بعلوم التربية ؛ لأنه يأمل بحصوله على الدرجة أن يرفع مستواه إلى مستوى المدرسين بالمدارس الثانوية ، ويهمل دروس التربية مااستطاع إلى ذلك سبيلا . ولعلاج هذا النقص قد أطالت الوزارة مدة الدراسة ، وجعلتها أربع سنوات لمن يشاء من الطلبة الانتفاع بهـذه الفرصة . وإذا فضل الطالب أن يمكث أربع سنوات خصص السنوات الثلاثة الأولى منهـا بدراسة المواد التى تتطلبها الدرجة ودراسة ما يمكن من التربية ، وجعل السنة الرابعة (بعد حصوله على الدرجة) خاصة بدراسة التربية ، والمواد الفنية السابقة . وهذه أحسن طريقة تتبعها انجلترا ، وتفخر بها على العالم أجمع فى إعداد مدرسين أكفاء لمدارسها الثانوية .

وبعد الانتهاء من دراسة المنهج يمتحن الطلبة . أما الامتحان التحريرى فى منهج السنتين فتقوم الوزارة عادة بوضعه ؛ وأما الامتحان الشفوى فى التربيـة العملية فيقوم به أساتذة الكلية . ويقوم مفتشو الوزارة بتقدير العمل للحكم على مستوى التعليم بالـكلية . وللكليات أن تشترك مع الممتحنين من الوزارة فى وضع الأسئلة ، ولها الحق فى أن تدعو بعض الأعضاء من أساتذة الجامعات الأخرى لتقدير درجة نجاحها . وفى هذه الحال يكون للوزارة الحق فى ملاحظة ترتيبات الامتحان .

وأما طلبة الثلاث السنوات أو الأربع فيمتحنون بالجامعة امتحان الدرجة ، ويمتحنون فى الـكلية فى المواد الفنية للتربية والتعليم . ويقوم أساتذة الـكلية ومفتشو الوزارة بامتحانهم فى التربية العملية . ويعطى الناجحون من الطلبة شهادة يعترف بها مدى حياتهم فى أى معهد من المعاهد الخاضعة للوزارة . وفى الشهادة يذكر : —

(١) اسم الـكلية التى تعلم فيها الطالب .

(٢) نوع تعليمه ، ودرجة نجاحه فى الامتحان .

(٣) المواد التى درسها .

وبهذه الطريقة تستطيع الجماعة التى تقوم بتعيين المدرسين أن تعرف بمجرد النظر مؤهلات طالب الوظيفة ،فتعينه أو لا تعينه .

نفقات اعداد المدرسين :

وتقوم وزارة التربية والتعليم بجميع النفقات التى يتطلبها إعداد المدرسين بالكليات والجامعات ، وتدفع إعانة كبيرة للمبانى ، وتعليم الطلبة . وتتسلم الكلية من الحكومة ٥٣ جنيهاً عن كل طالب بالمعلمين بالقسم الداخلى . وتدفع الوزارة أجور الطلبة فى الكليات الجامعة . ويأخذ الطلبة أنفسهم إعانة سنوية تبلغ ٢٥ جنيهاً للطالب ، و٢٠ جنيهاً للطالبة .

الفصل العاشر

الجامعات بانجلترا

أقدم الجامعات الانجليزية :

إن جامعات إنجلترا من أرقى الجامعات فى العالم ، وهى مستقلة فى عملها ، ولو أن الحكومة تقوم بمساعدتها ماليًا . وفى القرن الماضى حدث كثير من الإصلاحات فى جامعتى «أكسفورد وكمبردج» وهما أقدم الجامعات الإنجليزية ، ومصروفاتهما كثيرة لا يتحملها إلا أبناء الأشراف . ولكثرة ما فيهما من الجوائز المختلفة ، والمنح المتعددة ، تجدهما مفتوحتين للأذكياء من أبناء الطبقتين العاملة والمتوسطة من الأمة الإنجليزية . ولكل كلية منهما مجلس إدارة يتولى شئونها . وفى السنوات الأخيرة قد قامت كلتاهما بكثير من المباحث فى كل فروع العلوم الإنسانية . ولهما صلة كبيرة وأثر عظيم فى رقى الحياة وترقية المستوى بانجلترا . وقد قبلت أكسفورد أخيراً أن تحصل الطالبات على درجاتها ، وجعلت اللغة الإغريقية اختيارية بعد أن كانت إجبارية . ويقوم الأساتذة حقيقة برقابة سياسة الجامعة ، والمباحث العلمية . أما المحاضرون فصلتهم بالطلبة صلة كلها إخلاص ، وهى من أحسن المظاهر بهاتين الجامعتين القديمتين .

الجامعات الجديدة :

أما الجامعات الجديدة فقد وضعت بذورها فى القرن التاسع عشر ، ثم ظهرت

ونمت ، وأثمرت فى القرن العشرين ؛ ففى سنة ١٨٢٧ أنشئت الكلية الجامعة بلندن[١] نواة لجامعة لندن . ولم يكن بتلك الكلية قسم للدين واللاهوت ؛ فأنشئت الكلية الملكية[٢] بلندن فى السنة التالية ، وهى سنة ١٨٢٨ ، على أن يكون بها قسم خاص بعلوم الدين . وبعد ثمانى سنوات منح امتياز لتأسيس جامعة جديدة بلندن بحيث تتكون من الكليتين المذكورتين ، ومن الكليات الأخرى التى تنشأ فى درجتهما . ومن الكليات التابعة لجامعة لندن الآن — سوى الكليتين السابقتين — : (كلية بِدْفوردْ)[٣] ، وكلية (هُولُووى)[٤] وهما خاصتان بالنساء ، والمدارس الطبية للمستشفيات ، والكلية الملكية للعلوم[٥] ، والكلية الإمبراطورية للعلوم والصناعات[٦] ، ومدرسة الاقتصاد بلندن[٧] ، وما إليها من المدارس والكليات الدينية والزراعية والصناعية والتعليمية المتعددة. وتعد جامعة لندن اليوم من أعظم الجامعات الإنجليزية ، ويلحق بها عدد كبير من الطلبة المنتظمين والمنتسبين .

وفى سنة ١٨٣١ افتتحت جامعة (ديرهام)[٨] بشمال انجلترا . وكان الغرض منها تكوين مجموعة من الكليات الداخلية على النظام القديم . وفى سنة ١٨٨٢ ضمت إليها (المدرسة الطبية فى نيوكاسل)[٩] ثم لحقت بها (كلية آرْمسترُونج للعلوم)[١٠] . فهذه الجامعة تمثل مرحلتين من مراحل المدنية الإنسانية : المدنية القديمة والمدنية الحديثة ؛ أى أنها تجمع بين القديم والجديد .

---

(١) King's College, London. (٢) University College, London.
(٣) Holloway College. (٤) Bedford College.
(٥) The Royal College of Science.
(٦) The Imperial College of Science & Technology.
(٧) The London School of Economics.
(٨) The Newcastle Medical School. (٩) Durham University.
(١٠) Armstrong College of Science.

وفى سنة ١٨٥١ أنشئت (كلية أُوِينز) بمنشستر [١] . وفى سنة ١٨٧٤ أنشئت (كلية يُورْكشَير) [٢] . ثم جمع بين هاتين الكليتين ، وتكونت منهما (جامعة فكتوريا) [٣] سنة ١٨٨٠ .

وفى سنة ١٨٧٠ أسست (كلية ما يسُون) [٤] ببر منجهام . وفى سنة ١٩٠٠ أصبحت كلية ما يسون جامعة ، وسميت (جامعة برمنجهام) [٥] .

وفى سنة ١٩٠٣ تحولت الكليات الجامعة بمنشستر ، وليدْز ، وليفر بول إلى جامعات ؛ فكان منها جامعة منشستر ، وجامعة ليدز ، وجامعة ليفر بول [٦] .

وفى سنة ١٩٠٥ فتحت جامعة شفيلد . وفى سنة ١٩٠٩ فتحت جامعة برستول. و بإنشاء هذه الكليات والجامعات الجديدة فى جميع أنحاء انجلترا فتحت أبواب التعليم العالى لكثيرين ممن كانوا يحرمونه من الطبقات الفقيرة والمتوسطة . وقد كان الغرض من هذه الجامعات الحديثة ر بط العالم الحديث بالعالم القديم ، ونشر العلوم الإنسانية ، والانتفاع بالعلوم فى الصناعات والاختراعات . وقد نجحت هذه الجامعات نجاحا كبيراً ، وجمعت بين المواد التثقيفية القديمة ، والمواد الصناعية والتجارية الحديثة التى تناسب التعليم العالى . ففى الوقت الذى نرى فيه جامعتى أكسفورد و كمبردج بمعزل عن الصناعة والتجارة نرى الجامعات الجديدة تعنى بهما مع علوم الثقافة . ولا تنقص عن الجامعتين القديمتين إلا فى المركز الاجتماعى والحياة الاجتماعية .

والجامعات مستقلة فى عملها ، ولها من النواب من يدافع عنها . وتؤخذ ماليتها من إعانة الحكومة ، وتبرعات المحسنين ، ومصروفات الطلبة . ويقدر أساتذتها بما أظهروه من الثمار والكتب العلمية ، والنظريات الحديثة .

---

(١) Owens College, Manchester. (٢) Yorkshire College.
(٣) Victoria University. (٤) Mason College.
(٥) University of Birmingham.
(٦) فى سنة ١٨٨١ أنشئت الكلية الجامعة بليفربول وضمت إلى جامعة فكتوريا .

الحياة الاجتماعية فى الكليات والجامعات

النظام هو الحياة :

يتمثل النظام وتتمثل الحياة الاجتماعية فى الكليات والجامعات الإنجليزية . وتظهر الروح التعاونية فى جميع المعاهد العلمية . كثيراً ما يتذكر الإنسان ذلك النظام وتلك الحياة ، وذلك الروح ، وستظل هذه الذكرى فى النفس مادام الإنسان حيا . يخرج الطالب المصرى من كليته هنا بعد انتهائه من المحاضرات اليومية وهو لا يدرى ماذا يفعل من الساعة الأولى بعد الظهر إلى الساعة الحادية عشرة مساء أو أكثر ؛ كأنه غير مكلف إعداد دروسه ، ومراجعة أعماله ، وكأنه غير مطالب بأى عمل . يصل إلى المنزل فى الساعة الثانية بعد الظهر ، فيتناول غداءه وينام . ثم يستيقظ ويخرج وربما لا يعود إلا فى الصباح . وقد تجد يتيم الأب من الطلبة تتوسل إليه والدته ، وتتضرع إليه بكل وسيلة من الوسائل للعناية بدروسه ، وعدم التأخر فى الخارج ، ولكن ماذا تجدى هذه التوسلات والطالب فى شغل شاغل عن الجد والانتفاع بالوقت . ففيم يقضى الطالب كل هذا الوقت ، إنه يقتله كما يقولون ؛ يقتله فى عماد الدين وغير عماد الدين ؛ لأن الوقت عدو لدود فى نظر هؤلاء الشبان . أما قولك إن الوقت هو الحياة ، أو النظام هو الحياة فسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء . إنى لا أطالب بالعمل دائما ؛ فكثرة العمل تدعو إلى السآمة والملل ، ولكنى أقول اعمل حيث يجب العمل ، والعب حيث يجب اللعب . هكذا يفعل الطالب الإنجليزى فى المدارس والكليات والجامعات . يقسم وقته تقسيماً دقيقاً بين العمل واللعب ، وترويح النفس . وحياته منظمة تسير بحساب دقيق ، وتجرى مع حساب الزمن جرياً لا توانى فيه ولا إهمال .

يعتقد — وصواباً يعتقد — أن المحافظة على الوقت وتنظيمه من أكبر العوامل للنجاح فى الحياة . يعتقد أن العمل هو الحياة ، والحياة هى العمل ، والرجل الذى لا يعمل هو الحى الميت . ويقال عن (المستر جلادستون) إن زوجته رأته حزيناً تبدو عليه الكآبة فى يوم من الأيام ، فسألته : « مالى أراك حزيناً وقد انتصرت اليوم على معارضيك فى مجلس العموم » ؟

فقال : « لأنى نمت اليوم أكثر من الوقت المعتاد » .

ومن المعروف عن المرحوم « السيد أمير على » الذى كان من أكبر قضاة الهند وصاحب كتاب « روح الإسلام[1] » أنه كان المثل الأعلى فى النظام ؛ فكان يعرف عنه أنه يخرج للرياضة فى وقت كذا ، ويبدأ عمله فى مكتبه فى الساعة كذا ، ويغادر منزله أو يعود إليه فى الدقيقة كذا . وهكذا تكون الحياة ، فالحياة قصيرة ، ويجب أن تملأ بالأعمال الجليلة .

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

يستيقظ الطالب الإنجليزى فى وقت معين ، ويتضرع إلى الله فى ساعة معينة ، ويتناول طعام إفطاره وغدائه وعشائه فى أوقات معينة . ويذهب إلى فراشه فى وقت محدد . يلحق بقسم كرة القدم ، أو كرة المضرب ، أو كرة السلة ، أو أى قسم من أقسام الألعاب الرياضية الأخرى بالكلية ، ويشترك فى جماعة المناظرات ، أو جماعة التمثيل ، أو جماعة الموسيقا ، أو الاتحاد المسيحى ، أو جماعة التاريخ الطبيعى ، أو الجماعة الجغرافية ، أو الجماعة التاريخية ، أو الجماعة الأدبية ، أو المنتدى العلمى ، أو . . . بحسب رغبة الطالب وميوله .

---

(١) The Spirit of Islam.

اتصال عمداء الكليات وأساتذتها بالطلبة :

تبتدئ السنة الدراسية فيتقابل كل طالب مع عميد القسم أو أستاذه فى مواعيد خاصة ؛ ليتحادث معه فيما يدرسه ، وفى المواد التى يريد التخصص بها ، وفى الشهادات أو الدرجات التى يرغب فى الحصول عليها . فيزوده بالنصائح ثم يذهب الطالب لترتيب دروسه مع المحاضرين المختصين . وفى نهاية السنة يجتمع عميد الكلية أحياناً مع الأساتذة والمحاضرين والمحاضرات ، والمساعدين والمساعدات بشكل مؤتمر لمقابلة عدد معين من الطلبة يومياً فى ساعات معينة ؛ لتشجيع من يستحق التشجيع من الطلبة ، وحث بعضهم على الجد والاجتهاد . وهذه وسيلة للتعارف واستنهاض الهمم . وفى الكليات الكبيرة عادة : قسم للاهوت ، وآخر للفلسفة ، وثالث للتربية ، ورابع للقانون ، وخامس للطب ، وسادس للهندسة ، وسابع للعلوم ، وثامن للآداب ، وتاسع للموسيقا ، وهكذا .

محافل الطلبة :

وفى ابتداء السنة يقوم الطلبة الحاليون بعمل محفل يدعون إليه الطلبة الجدد ، ويحيونهم ، ويتبادلون بالخطابة عبارات التحية ، ويأكلون مالذ وطاب ، فيحدث التعارف ، ثم يذهبون إلى قاعة الاستقبال أو الألعاب المختلفة ، ويقضون جزءاً كبيراً من وقتهم بين فرح ومرح . وبعد أسبوعين يقوم الطلبة الجدد بعمل محفل آخر للطلبة الحاليين ، رداً لتحية إخوانهم . وهنا يتم التعارف ، ويكون التعاون . فيشعر الجميع بأنهم أبناء معهد واحد ، ينسبون إليه ، ويفخرون به ، ويعملون لرفعته ، ويدافعون عنه ، ويخلصون له . يتمثل فيهم روح الوفاء والإخلاص ؛ فلا يشعر أحد بالوحدة أو الغربة ، بل الكل يشعر بالسعادة ، ويعمل على أن

يكون سعيداً فى أى بيئة يكون بها . وفى كل يوم من أيام السبت تجد فى المساء محفلا للرقص[١] — ولست بذلك أنادى بالرقص — أو مناظرة . أو مجتمعاً موسيقيًا ، أو محاضرة عامة ، أو يشترك الطلبة فى الذهاب لرؤية رواية فى الخيالة أو دار التمثيل . و يشاركهم فى كل هذه المجتمعات الأساتذة وزوجاتهم ، والمحاضرون والمدرسات . . . وقد تجد فى اليوم الواحد أحياناً : دراسة فى الصباح ، ولعباً بعد الظهر ، ومحفلا اجتماعيًا فى المساء ؛ فيتغذى العقل ، والجسم ، والروح معاً . ولا ينكر أحد أثر هذا فى التربية العقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية . فالإنجليز فى كلياتهم وجامعاتهم لا يعنون بدراسة الكتب وحدها ، بل بدراسة الحياة أيضاً ؛ دراسة الحياة كما هى . إنهم يعنون بتربية الجسم والخلق كما يعنون بتربية العقل .

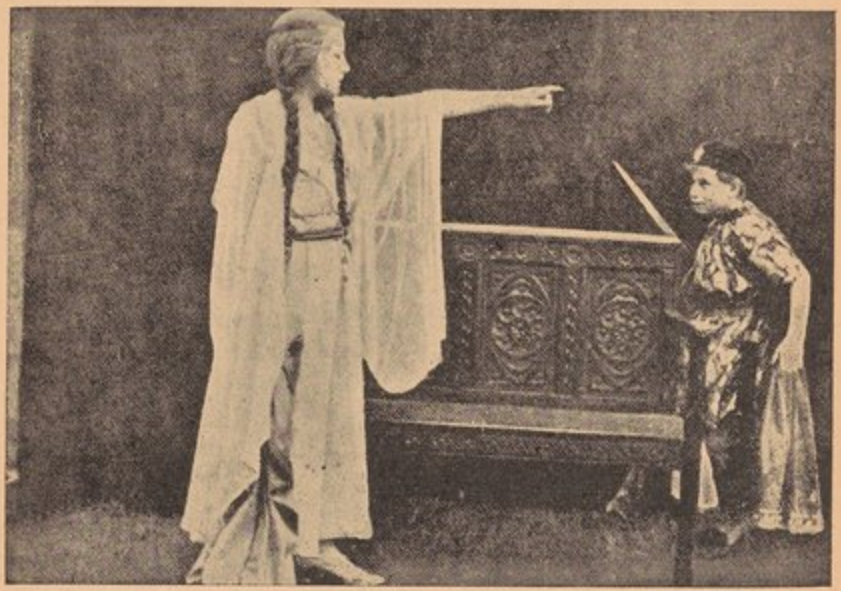

(١) الرقص عند الأوربيين نوع من الألعاب الرياضية .

وليست الكليات فى واد والعالم فى واد آخر ؛ بل متصلة بالعالم كل الاتصال ، وهى جزء من الحياة ، لا ، بل هى الحياة نفسها . ولا أقصد بذلك أن انجلترا وصلت فى تعليمها وحياتها إلى المثل الأعلى ، ولكنها تعمل للوصول إليه ، أو إلى ما يقرب منه .

وأول ما يدور بخلد الطالب حينما يدخل الكلية صباحاً أن ينظر نظرة عامة إلى ما هو مكتوب على اللوحات السوداء ؛ ليرى ما يخصه من تنبيهات أو إعلانات عن محاضرة عامة ، أو محفل خاص ، أو مسابقة ، أو اشتراك فى أى عمل من الأعمال . وبالكلية الكبيرة عادة حجرة خاصة بالطلبة ؛ يترك فيها الطالب معطفه وقبعته وممطرته لخادم الحجرة ، ويأخذ منه قطعة من النحاس عليها رقم المشجب ، ويدفع للخادم (شلناً) فى كل ثلاثة أشهر . وبها كذلك حجرة خاصة بالطالبات تخلع فيها هـذه الأشياء ، وتترك مع الخادم ، وحجرة كبيرة لقراءة الصحف والمجلات التى تشترى من مالية الاتحاد . والاتحاد جماعة يختار أعضاؤها من الطلبة بالانتخاب ؛ للنظر فى شئون الكلية أو الجامعة ؛ تلك الشئون التى تتعلق بهم ، وتقوم بتنظيم المحاضرات وإعداد المحافل الأسبوعية وغيرها .

مجلة الكلية وتقويمها :

وتصدر الكلية عادة مجلة شهرية يذكر فيها كل ما يتعلق بالكلية من حوادث وأخبار ونقد ، ويقوم الطلبة بالكتابة فيها . ولها جماعة خاصة بالتحرير . وتصدر أيضاً فى ابتداء كل سنة تقويماً تبين فيه تاريخ الكلية ، والأجور المدرسية ، ومواعيد ابتداء الدراسة وانتهائها فى كل فصل من فصول السنة ، ومواعيد الامتحانات على اختلاف أنواعها ، والمناهج الدراسية فى كل مادة من المواد ، والجوائز العلمية ، ونوع الملابس التى تلبس فى قاعات المحاضرات والمحافل الرسمية

(وهى : رداء أسود ، وكمة سوداء تلبس على الرأس . ولا فرق فى ذلك بين الطلبة والطالبات ، ويجب أن تكون ملابس البنات عادية وبأكمام)، ويذكر فى التقويم كذلك كل ما يخص الأساتذة والمحاضرين فى كل قسم من أقسام الكلية .

مطعم الكلية :

يفتح المطعم للأساتذة والطلبة فى أثناء الدراسة فقط ، فى مواعيد معينة ، وهى مثلاً من الساعة ١٥ — ١٠ إلى الظهر . ومن الساعة ٣٠ — ١٢ إلى ١٥ — ٢ بعد الظهر . ثم من ٤٥ — ٣ إلى ٣٠ — ٥ مساء . وفى المطعم كل المواد الضرورية للغذاء بأثمان معتدلة . وهناك تتمثل (الديمقراطية) ؛ يذهب الطالب فيأتى أولاً بما يحتاج إليه من ملاقط (شوك) وسكاكين وملاعق ، ويضعها على الخوان ، ثم يستحضر ما يريده من طعام أو شراب . أما الخدم من النساء فيبعن الطعام ، أو يجمعن الآنية بعد نهاية الأكل ؛ لغسلها وتجفيفها . ويخدم الطالب نفسه بنفسه .

القوانين الاجتماعية التى يجب على الطلبة مراعاتها :

(وهى بعض القوانين المتبعة فى جامعة إكستر) . نذكرها مثلا من الأمثلة :

(١) يجب أن يسكن الطلبة فى مساكن الكلية إلا إذا كانوا يقيمون مع أسرتهم أو أحد أقاربهم بالمدينة التى فيها الكلية .

(٢) يجب على الطلبة والطالبات ألا يتغيبوا ليلا عن حجرهم من غير أن يأذن لهم أستاذ القسم ، ورئيس المسكن أو رئيسته .

(٣) لا يجوز للطلبة أن يدخلوا المواخير أو بيوت الريبة التى فى المدينة .

(٤) لا يسمح للطلبة بإقامة محفل أو اجتماع فى فندق إلا بتصريح من عميد الكلية .

(٥) التدخين ممنوع فى حجر الدراسة والممرات وعلى السلم .

(٦) لا يجوز الاجتماع فى الممرات فى أثناء الفترات التى بين المحاضرات .

(٧) لا يجوز تناول الطعام إلا فى المطعم أو حجرة الجلوس .

(٨) يقوم ضباط الجماعات فى الكلية بتعليق الإعلانات على اللوحات ، وأخذها بعد انتهاء مدتها .

(٩) يلاحظ فى الملابس ما ذكرناه سابقاً

(١٠) تغلق ملاعب الكلية فى أيام الأحد احتراماً للشعائر الدينية .

(١١) يعاقب كل من يخالف هذه النظم ، وكل من يسوء سلوكه فى الكلية أو خارجها .

الطلبة والإنسانية :

يقوم الطلبة فى كثير من الأحيان بمساعدة المشروعات الخيرية التى تتطلبها الإنسانية : كتخصيص يوم يجمعون فيه التبرعات لمستشفى من المستشفيات ، أو ملجأ من الملاجئ ، وكإقامة محفل فى المساء ، لليتامى واللقطاء من أطفال الملاجئ ؛ تعمل فيه كل الوسائل لإدخال السرور على نفوسهم باللعب والضحك معهم ، والتمثيل الهزلى أمامهم ، ثم يحييهم الطلبة فى أثناء إطعامهم ، ويهدون إلى كل منهم هدية قبيل الانتهاء من المحفل ، ثم يؤخذون إلى الملجأ .

ويشترك الأساتذة والطلبة فى دعوة الخدم من الرجال والنساء فى الكلية إلى العشاء والرقص مرة فى العام فيأتون بملابس المساء ، ويقوم الطلبة والطالبات بخدمتهم . وقد تعجب إذا قلت إنك تجد على المائدة بعض الخدم ومعهم أحد

الأساتذة أو إحدى المدرسات ؛ للتحادث معهم فى الشئون المختلفة ، وتحيتهم . و بعد تناول الطعام تقوم المحاضرات والطالبات بغسل الآنية وتجفيفها . و يذهب الخدم إلى حجرة الرقص والموسيقا ، أو حجرة الألعاب ، حيث يقضون ليلتهم فى سعادة وهناءة . وهكذا تكون الحياة الإنسانية . و إن حسن المعاملة لا يقلل من احترام الخدم للطلبة والأساتذة، فكل فرد يعرف نفسه ومنزلته وحقوقه ، يشعر بأنه إنسان له حقوق الإنسانية ، وعليه واجباتها . أما روح العبودية فلا وجود لها ؛ لأن الإنجليز أكثر الأمم حبًا للحرية ، يعبدونها ، و يستميتون فى سبيلها .

الفصل الحادى عشر

إدارة التعليم

تتكون إدارة التعليم من :

(١) مجلس التعليم .

(٢) السلطات المحلية للتعليم .

(٣) التفتيش ، وسنتكلم على كل فى فصل خاص فنقول :

(١) مجلس التعليم أو وزارة التربية والتعليم بانجلترا

مقدمة :

قدمنا أن ليست المدارس كلها بانجلترا تابعة لوزارة التربية والتعليم ؛ فمعظم المدارس الحرة خارج سلطتها ، والمدارس الصناعية لإصلاحيات الأحداث تابعة لوزارة الداخلية ، مع أن وزارة التعليم هى التى تقوم بالتفتيش عن أعمالها المدرسية . والمدارس الحربية خاضعة لوزارة الحربية ، والمدارس والكليات الزراعية تديرها وزارة الزراعة بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم . بعد هذه الاستثناءات يمكننا أن نقول إن وزارة التربية والتعليم هى السلطة المسئولة عن التعليم (بانجلترا وويلز) .

ولقد أنشئت وزارة التربية والتعليم سنة ١٨٩٩ . وقبل إنشاء هذه الوزارة كان القائم بشئون التعليم فى البلاد هاتين الجماعتين :

(١) « جماعة المجلس الخاص » ، وأنشئت سنة ١٨٣٩ ، ثم غير اسمها إلى « مجلس التعليم » سنة ١٨٥٦ م

(٢) « جماعة العلوم والفنون » ، وأنشئت رسميًا سنة ١٨٥٣ م . ولكن تاريخ وجودها يرجع إلى سنة ١٨٣٥ م . ومع وجود رئيس لهذه الجماعة قد وضعت تحت رياسة أخرى هى رياسة « مجلس التعليم » السابق فأصبح لها رئيسان . ومن النادر أن ينجح العمل الذى يرأسه اثنان ؛ فالسفينة إذا كان لها رئيسان – كثيراً ما تغرق ، وهذا ما حدث هنا .

وقد انتقدت « لجنة بريس » (The Bryce Commission) هذه الطريقة ؛ وذكرت فى تقريرها الذى كتبته عن التعليم الثانوى سنة ١٨٩٥ أن من الواجب توحيد السلطة المركزية لإصلاح التعليم بانجلترا . وطلبت من الحكومة إنشاء وزارة يرأسها وزير مسئول أمام مجلس الندوة (البرلمان) عن التعليم الأولى والثانوى وما إليهما من الأنواع الأخرى للتعليم ، ولقد نفذت كل هذه الآراء حرفيًا ؛ فأنشئت وزارة التربية والتعليم أو مجلس التعليم سنة ١٨٩٩ كما ذكرنا من قبل ، وكونت من الجماعتين السابقتين .

مجلس التعليم أو وزارة التربية والتعليم : —

يتكون هذا المجلس من رئيس هو وزير المعارف ، وخمسة أعضاء من وكلاء الوزارات ، ومن وزير المالية ، والرئيس الأول للمالية . ولم يحدث أن اجتمع كل هؤلاء الأعضاء مرة فى جلسة من الجلسات [١] . والعمل متروك للوزير ولمن يساعده من اللجنتين الفنيتين بالديوان العام . وقد أظهر مجلسا العموم والأعيان غيرة كبيرة نحو التعليم . ولهما رقابة عليه من جهتين :

(١) من جهة نظر ميزانية التعليم .

(٢) من جهة رئيس مجلس التربية والتعليم ، وهو الوزير المسئول أمام الشعب عن سير التعليم وعن وزارته . وتملأ الوظائف الكبيرة بالوزارة من الأكفاء من خريجى أكسفورد وكمبردج بطريقة التعيين . وقدنقدت طريقة الاحتكار والتعيين ، وقيل إن الأولى عقد مسابقة عامة ، ثم اختيار الأحسن لا من هاتين الجامعتين وحدهما ، بل من غيرهما أيضاً ومن رجال التعليم الأولى كذلك . فاضطرت الوزارة إلى ترك طريقة الاحتكار ، وعينت من تعتقد فيهم الكفاية والمقدرة فى وظائف التفتيش . ويسترشد الوزير عادة بآراء الخبيرين من المربين ونصائحهم .

أما اللجنتان الفنيتان بالديوان العام فلهما نفوذ كبير جدًّا ، وتدعى إحداهما اللجنة الاستشارية ، والأخرى لجنة الاستعلامات والتقريرات .

وتتألف اللجنة الاستشارية من ٢١ عضواً يمثل كل منهم نوعاً خاصًّا من أنواع التعليم المختلفة بانجلترا ، والعمل الرئيسى لهذه اللجنة كتابة ما يطلب منها من التقريرات عن أى مادة أو أمر تعرضه الوزارة عليها . وتقريراتها جيدة تدل على المقدرة العلمية ، وعلى مبلغ ما وصل إليه التعليم الإنجليزى من الرقى .

وتقوم لجنة الاستعلامات والتقريرات بأكثر مما تقوم به اللجنة الاستشارية لأن لها صلة بجميع الأعمال المتعلقة بالتعليم . ولقد كان أول مدير لهذه اللجنة هو (الدكتور سادلر) الذى كتب أحد عشر مجلداً من التقريرات الخاصة بالتعليم ، وهى تدل على سداد الرأى ، والمجهود العلمى . وأتم خلفه سبعة عشر مجلداً من التقريرات ، ولكنها ليست فى مستوى الأولى من الوجهة العلمية .

وبعد أن كان مجلس التربية والتعليم فيما مضى[1] يكوّن من جماعة خاصة

(١) منذ مائة عام تقريباً .

ليس لها رقابة على شيء من المدارس ، وليس فى استطاعتها أن تعينها فى السنة بأكثر من ٣٠٠٠٠ جنيه ، قد أصبح المجلس الآن (وزارة التربية والتعليم) يراقب آلافاً من المدارس والمعاهد ودور التعليم ، ويساعدها بإعانات قدرت سنة ١٩١٤ بأكثر من ١٤٠٠٠٠٠٠ جنيه .

والوظائف الصغيرة بالوزارة يعمل لها امتحان مسابقة للمتقدمين ، ثم يختار الأكفاء من الوجهة الفنية ، من غير نظر إلى أى مؤثر آخر كالجاه ونفوذ الأسرة . ومن الوظائف الكبيرة وظائف الممتحنين والمفتشين . أما الممتحنون فمركزهم الرئيسى فى الوزارة أو الديوان العام . ويقومون بعمل الإحصاءات ، وتسلم تقريرات المفتشين ، وطبعها قبل إرسالها إلى السلطات المحلية للتعليم فى مختلف الجهات ، وتقدير الإعانة لكل مدرسة خاضعة لتفتيش الوزارة ، ومعاونة المفتشين فى إعداد التقريرات العامة ، والنظم ، والمشروعات الخاصة بالتعليم ، وكتابة إرشادات ومذكرات للمعلمين عن طرق التدريس لكل مادة من المواد ، ونقد الطرق المتبعة فى التعليم . وأما المفتشون فيعملون فى جهات مختلفة للتفتيش . وسنتكلم على التفتيش بالتفصيل فيما بعد لما له من الأهمية .

الوزارة والتعليم : —

بالاطلاع على تاريخ التعليم بانجلترا فى القرن التاسع عشر نجد أن رقابة الوزارة للتعليم فى ازدياد مستمر . وكلما زادت الإعانة الحكومية اتسع نطاق الرقابة المركزية (الوزارية) . ولقد كانت الإعانة فيما مضى توزع على المدارس التى تتحقق فيها الشروط الصحية . أما الآن فلا تعطى المدرسة الإعانة إلا إذا توافرت فيها هذه الشروط : —

(١) كفاية المدرسين ومقدرتهم العلمية .

(٢) مواظبة التلاميذ على الحضور إلى المدرسة .
(٣) استفادة الطلبة علمياً ؛ بأن يظهروا نجاحاً فى أعمالهم المدرسية .
(٤) جودة الطرق المتبعة فى التعليم بالمدرسة .

فالإعانة لا تعطى إلا من يستحقها . ولما كان الشعب الإنجليزى يقدر الحرية حق قدرها ، ويستميت فى سبيلها ، تجد المدارس متمتعة بقسط وافر من الحرية فى التعليم ، واختيار الطرق الصالحة ، والمناهج المناسبة بحسب ما تقتضيه بيئة المدرسة ، وما يحتاج إليه التلاميذ فى العالم الذى ينتظرهم .

وفى الوقت الذى أنشئت فيه الوزارة خيف من أن وضع جميع شئون التعليم تحت سلطة الوزارة يؤدى إلى إماتة التعليم حتى يصير آليًا خاضعاً لنفوذ الأحزاب السياسية . وقد حدث خلاف كبير ، ومناقشة حادة فى مجلس العموم ، وفى النهاية رفضت هذه الاعتراضات . واستمرت وزارة التربية والتعليم إلى يومنا هذا ، وأظهرت نجاحاً كبيراً فى كل عمل من الأعمال . والحق أن الوزارة لم تحاول مطلقاً أن تقبض على كل السلطة وتجعلها فى يدها ، بل تركت حرية كبيرة للمدارس على اختلاف أنواعها . وقام كل فرد بعمله خير قيام فى التعليم والإدارة .

أقسام الوزارة :

و بعد أن أنشئت وزارة التربية والتعليم نظمت وقسمت إلى ثلاثة أقسام : —
(١) قسم للتعليم الأولى ، (ويشمل كليات المعلمين والمعلمات) .
(٢) قسم للتعليم الثانوى .
(٣) « « الصناعى .

وجعلت كلها فى (هوَيْت هول) بلندن ، ومنذ الوقت الذى صدر فيه قانون التعليم سنة ١٩١٨ أصبحت الوزارة مشتركة متعاونة مع السلطات المحلية (وهى

كمجالس المديريات بمصر) . على ترقية التعليم ، والعمل للوصول به إلى ما يمكن من الكمال ، وتجتهد الوزارة فى أن تضع النظم أو القوانين واضحة ، ولا تتدخل كثيراً فى التفصيلات ، بل تترك للسلطات المحلية جزءاً كبيراً من الحرية ؛ لأنها أكثر خبرة بما تحتاج إليه الجهات ، ومملوءة بحب التعاون والإخلاص فى خدمة التعليم . فليست الوزارة بانجلترا حاكماً مستبداً ، ولكنها حاكم معقول ، يتمثل فيه الروح التعاونى لا الاستبدادى . وليس لها علاقة مباشرة بدفع المرتبات ؛ أو بتعيين المدرسين والنظار ، أو عزلهم ، أو اختيار الكتب المدرسية ، أو التفصيلات الخاصة بالمناهج . ولكن الوزارة صديق مخلص ، ينقد من يستحق النقد ، وينصح من يحتاج إلى النصح ، ويرشد من يحتاج إلى الإرشاد ، ويساعد من يحتاج إلى المساعدة . وهى قوة منظمة تحرك السلطات المحلية إذا بدا منها أى تقصير ، وتبعث فيها النشاط للنهوض بالتعليم والسير به إلى الأمام . وتقف أحياناً فى سبيل من يريد الطفرة من السلطات ؛ فهى كالأب المفكر يقدر النتائج ، ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم ، ويعمل على أن يسير بالجميع إلى المثل الأعلى بكل حكمة واعتدال .

وتقوم الوزارة بتقدير ما يتطلبه التعليم من النفقات ، وتساعد كثيراً فى النفقات التى لا غنى عنها ، وتنظر دائماً نظرة الحكيم الذى يفكر فى النتيجة . فمن السهل على المصلحين أن يقولوا إنه يجب أن يتعلم فى المدارس الثانوية على الأقل ٢٠ فى الألف من السكان بدلاً من ١٠ فى الألف ، ولكن الوزارة ترى أن معنى ذلك أنه يجب مضاعفة عدد المدارس ، ومضاعفة عدد المدرسين ، وذلك يتطلب كذا من المصروفات التى لا يمكن تحملها مثلاً .

وقصارى القول أن الوزارة مسئولة عن التعليم وترقيته ، والمدارس وإصلاحها . ويترك لها العمل والبرهنة على أن الشعب يجد ثمرة ما يدفعه من الضرائب فى

سبيل التعليم . وتجتهد الوزارة فى ألا تضع مقاييس صلبة لا تتحرك ؛ بل تعمل على أن تجعل كل شىء مرناً قابلاً للتجربة والتغيير ، وبذلك لا تستمر فى خطأ ، لأن الخطأ يمكن إصلاحه متى ظهر ، وليس معنى هذا أن وزارة التربية والتعليم بانجلترا وصلت إلى الكمال ؛ فالكمال لله وحده ، ولكنها تفكر دائماً فى تحسين نوع التعليم بكل وسيلة من الوسائل . وتصرح الوزارة بأن كل مدرسة يجب أن تحافظ على حسن مستواها . وتشجع كل نوع من المدارس فى العمل على الرقى والتقدم المستمر . وفى يد الوزارة القوانين ، تستخدمها متى شاءت . ولديها مفتشون يزورون المدارس لمعرفة ما فيها من عيوب ، والعمل لإصلاح تلك العيوب . وفى يدها أيضاً إعداد عدد كبير من المدرسين . وبالنشرات العلمية ، والرسائل التربيبية التى تصدرها عن نظام التعليم ومناهجه وطرقه من حين لآخر قامت بكثير من الإصلاحات فى التربية والتعليم .

وبمراجعة الإحصاء الآتى تمكن معرفة ما تقوم به الوزارة من المراقبة المباشرة للمدارس : —

عدد المدارس والمعاهد التى تحت رقابة وزارة التربية والتعليم بانجلترا وويلز سنة ١٩١٤

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد التلاميذ
(ا) مدارس ابتدائية (أولية) : —		
(١) مدارس أولية عامة .	٢١٠١٦	٦٠٣٦١٢٢
(٢) مدارس أولية راقية .	٤٧	١١٣٨١
(٣) مدارس خاصة .	٣٧٥	٢٧٤٥١
(٤) مدارس جيدة معروفة .	٥٩	٣٩٤١
(ب) مدارس ثانوية : —	٢١٤٩٧ مدرسة	٦٠٧٨٨٩٥ تلميذ
(١) للبنين فقط .	٣٩٧	
(٢) للبنات فقط .	٣٤٩	٩٩١٧١ تلميذ
(٣) مختلطة للبنين والبنات معاً .	٢٨١	٨٨٠٣٦ تلميذة
(ح) مدارس وفصول صناعية :	١٠٢٧ مدرسة	١٨٧٢٠٧ من التلاميذ والتلميذات
(١) مدارس ليلية :	٦٧٨٦	٧٩٨٨٨١
(٢) فصول للكبار .	٥١٩	—
(٣) معاهد صناعية .	٢٧	١٤٩٥
(٤) مدارس صناعية نهارية .	١١٣	١٣٢٠١
(٥) مدارس الفنون .	٢٠٨	—
(د) مدارس المعلمين : —	٧٦٥٣ مدرسة	—
(١) فصول تحضيرية للمعلمين .	٢٦	٨٥٢
(٢) مدارس إعدادية للمعلمين .	٤٣٥	٣٣٨٩
(٣) مدارس ثانوية لتعليم الأعمال الكتابية .	٦٤١	٣٢٣٠
(٤) كليات معلمين للمدارس الابتدائية .	٨٧	١١٧٢٨
(٥) كليات معلمين للمدارس الثانوية .	٢١	١٨٠
(٦) كليات معلمات للتدبير المنزلى .	١٤	١٢١٤
	١٢٢٤ مدرسة	٢٠٥٩٣ تلميذ

مصروفات وزارة التربية والتعليم التى أقرها مجلس الندوة (البرلمان)

سنة ١٩١٢ — ١٩١٣

أوجه الإنفاق	مقدار ما أنفق بالجنيهات
(ا) الادارة والتفتيش والامتحانات . . .	٤٢٨٤٥٧ جنيه
(ب) المدارس الأولية العامة .	
(١) إعانات مساعدة للسلطات المحلية للتعليم .	٢٤٥٤٤٩٢ جنيه
(٢) « خاصة لمساعدة الجهات الفقيرة .	٣٥٠٠٠٠ «
(٣) « للمدارس الأولية العامة .	٨٦١٤٩٥١ «
(٤) « للمدارس الأولية الراقية .	٢٣٣٠١ «
(٥) « لمدارس العمى والصم والبكم .	٩٨٣٢١ «
(٦) « للعناية الطبية والعلاج الطبى .	٥٠٣٧٤ «
(٧) « مكافآت ومعاشات لحاملى الشهادات من المدرسين .	١٥٦٨٨٨ «
	١١٧٤٨٣٢٧ «
(حـ) المدارس الثانوية والاعدادية للمعلمين وغيرهم :	
(١) إعانات للمدارس الثانوية .	٦٦٨٤٣٧ جنيه
(٢) « للمدارس التحضيرية والإعدادية للمعلمين .	٤١٢٩٥ «
(٣) « لمدارس الأعمال الكتابية .	٣٩٦٢٦ «
	٧٤٩٣٥٨ جنيه
(د) مدارس الفنون والصناعات النهارية والليلية:	
(١) إعانات للفصول الصناعية .	١٠٤٢٩ جنيه
(٢) « للمدارس الصناعية النهارية .	٢٧١٢٧ «
(٣) « « الفنية النهارية .	٦٧٦٦٢ «
(٤) « « الفنية والصناعية الليلية .	٤٨٠٦٥٠ «
	٥٨٥٨٦٨ جنيه
(هـ) إعانات لتعليم المدرسين :	٥٨٣١٢٧ جنيه
(و) إعانات للمتاحف ودور الآثار والمعاهد الراقية	٢٤٤١٨١ جنيه
مجموع ما أنفقته الوزارة وحدها سنة ١٩١٣	١٤٣٣٩٣١٨ جنيه

وإن وزارة المالية بانجلترا كانت تدفع إعانة للتعليم سنة ١٩٣٥ أكثر من ثلاثة أضعاف ما كانت تدفعه سنة ١٩١٣ ؛ فقد دفعت سنة ١٩٣٥ نحو ٤٣ ألف ألف من الجنيهات ، مساعدة للسلطات المحلية فى نشر التعليم . وتقوم السلطات المحلية — وهى بمثابة مجالس المديريات لدينا — بدفع المثل . فالحكومة تدفع نحو النصف ، والسلطات المحلية تدفع الباقى .

الفصل الثانى عشر

(ب) السلطات المحلية للتعليم

التعاون بين السلطات المحلية والسلطات الرئيسية :

يجد المشرعون عادة صعوبة فى حفظ التوازن والتوفيق بين السلطات المحلية والسلطات الرئيسية للتعليم (وهى الوزارة) لأن السلطة لو تركت كلها فى يد الوزارة لقل اهتمام الجهات المحلية بالتعليم ، ولو وضعت كلها فى يد السلطات المحلية لظهر النقص أو التقصير فى التعليم . ولكن بالتعاون يكون الكمال ؛ بأن تقوم الوزارة بالتشريع والإعانة ، وتقوم السلطات المحلية بالتنفيذ ، على أن يترك لها كثير من الحرية فى اختيار ما يناسبها من الوجهة الإقليمية .

وتتألف السلطات المحلية للتعليم من مجالس محلية ، ينتخب أعضاؤها كل ثلاث سنوات . وبذلك يكون للمنتخبين من الأمة بعض الرقابة على التعليم ، والحرية فى اختيار من يرون فيهم المقدرة ، والغيرة على حب المنفعة العامة . والتعليم جزء من كثير مما تقوم به المجالس المحلية ؛ ولذا يجوز انتخاب بعض أعضاء هذه المجالس من أشخاص لهم دراية بأمور أخرى غير التعليم . ولقد رأت الوزارة إنشاء جماعات خاصة بالتعليم فى كل مجلس من هذه المجالس ، ينتخب ثلثا أعضائها من أعضاء المجالس المحلية ، ويتكون الثلث الباقى من المدرسين ورجال التعليم الذين يمثلون كل فرع من فروعه . ويبلغ عدد أعضاء الجماعة للتعليم ١٥ على الأقل ، و٥٠ على الأكثر ، و٢٥ غالباً . ولهذه الجماعة كل السلطة فيما يتعلق بشئون التعليم ، وليس من اختصاصها التفكير فى الضرائب أو الاقتراض للتعليم .

فروع الجماعة العامة للتعليم :

وتنقسم الجماعة العامة للتعليم جماعات صغيرة تقوم كل منها بعمل خاص . وفى المقاطعات الكبيرة قد يبلغ عدد هذه الجماعات الصغيرة ١٢ جماعة . وكثيراً ما يكون عددها ٦ يوزع عليها العمل بالطريقة الآتية : —

(١) جماعة تنظر فى أمور التعليم العالى .

(٢) جماعة تختص بأمور التعليم الأولى أى الابتدائى .

(٣) جماعة تنظر فى شئون التعليم الليلى .

(٤) جماعة تختص بالإدارة المدرسية للمنطقة .

(٥) جماعة تنظر فيمن يلحقون بالمدارس ، ومن يتركونها لبلوغهم السن القانونية ، وفيمن غاب ومن حضر من التلاميذ ، ومن نقل إلى جهة أخرى .

(٦) جماعة تنظر فى الشئون المالية .

وفى جميع الأحوال ترسل كل هذه الفروع أو الجماعات الصغيرة تقريراتها إلى الجماعة العامة للتعليم . وهذه الجماعة العامة ترسل تقريراتها إلى الوزارة . وبهذه الوسيلة تجد السلطة موزعة توزيعاً حسناً ، وكل جماعة مسئولة عن عمل خاص تقوم به . والأعمال منظمة وسائرة بدقة . وكل فرد يعرف واجبه فى عمله ، ويخلص فى أدائه لترقية التعليم .

واجبات السلطات المحلية وحقوقها :

تلخص الواجبات العامة التى تقوم بها السلطات المحلية فيما يأتى : —

(١) القيام بما تحتاج إليه المدارس على اختلاف أنواعها ، من بناء وأثاث وأدوات مدرسية .

(٢) تسلم إعانات التعليم من الوزارة و إنفاقها .

(٣) فرض ضرائب محلية تكفى ما يتطلبه التعليم من النفقات التى تزيد على الإعانة الحكومية .

ولتوضيح ذلك يمكننا القول بأن السلطات المحلية لها الحق فى أن تقوم : —

(١) بنفقات التعليم الأولى للأطفال من سن خمس سنوات إلى ست عشرة سنة .

(٢) بنفقات التعليم الأولى الراقى أو (المركزى) ثم التكميلى .

(٣) « إعداد المدرسين وتعليمهم .

(٤) بإعطاء منح وجوائز لطلبة المدارس والكليات والجامعات .

(٥) بنفقات التفتيش الطبى عن التلاميذ .

(٦) بتغذية الفقراء من تلاميذ المدارس ، منفردة ، أو بالتعاون مع بعض الجماعات الخيرية .

(٧) إمداد المدارس بملاعب يلعب فيها التلاميذ فى أثناء اليوم المدرسى .

فعلى السلطة المحلية أن تقوم بإعداد المبانى المدرسية الصحية ، وتأثيثها كما ينبغى بالأثاث والأدوات الكاملة ، وتعليم الأطفال الفقراء تعليما بالمجان فى المدارس الابتدائية والمركزية والتكميلية ، وتعليم التلاميذ الذين يرغبون فى مهنة التعليم ، والحصول على مدرسين تتحقق فيهم القدرة على التدريس ، وتنفيذ قوانين التعليم الإجبارى بدقة ، وترقية التعليم من كل وجهة . فالسلطة المحلية مكلفة أن تقوم بجميع ما يتعلق بشئون التعليم ، وتحسين مستواه فى جهاتها .

وللسلطة المحلية أيضاً الحق فى :

(١) أن تدخل فى المنهج من المواد الصناعية أو الزراعية أو التجارية ما تشاء .

(٢) أن تسجل أسماء المشتغلين والمتعطلين من الشبان بعد ترك المدرسة .

(٣) التعاون[١] مع الآباء وغيرهم على إيجاد عمل مناسب لهؤلاء المتعطلين .

(٤) الإتيان بسيارات لنقل التلاميذ الذين تبعد مساكنهم عن المدرسة ، من المنزل إلى المدرسة والعكس .

(٥) إنشاء مدارس ريفية لتلاميذ المدن ، ومدارس خاصة لذوى العاهات من الأطفال ؛ كى ينال كل طفل قسطه من التعليم الذى يناسبه ، وبذلك يجد كل طفل فى انجلترا — كما قلنا غير مرة — فرصة كبيرة للتعليم المجانى بالمدارس الابتدائية ؛ فإن رأى فيه المدرسون ميلا طبيعيًا لمهنة التعليم تعهدوه بعنايتهم ليعدوه للتدريس ، وإن نجح فى الامتحان الخاص بالأذكياء نال جائزة المجانية للتعليم بالمدارس الثانوية . وبهذه الوسيلة تجد التعليم عامًا ، وأبواب الحياة والرقى مفتوحة أمام كل من يظهر ذكاء ومقدرة فى عمله .

فللسلطات المحلية حقوق كثيرة فى أمور التعليم ، ولها أثر كبير فى نشره ورقيه . أما الوزارة فتسن القوانين ، وتضع الحدود ، فتهتدى السلطات المحلية بها ، وتسير بمقتضاها ، وتترك الوزارة لها بعد ذلك درجة كبيرة من الحرية والاستقلال فى العمل . وبالتفتيش تستطيع الوزارة أن تتحقق من تنفيذ قوانينها وأوامرها ؛ ومن أن شئون التعليم سائرة فى طريقها الطبيعى الصالح .

مديرو السلطات المحلية أو ضباطها :

فى انجلترا يسمى الرئيس المنفذ لسلطة التعليم المحلى مديراً أو ضابطاً ، وفى الولايات المتحدة يدعى مراقباً . وينتظر من المراقب فى أمريكا القيام بإعداد مشروعات التعليم ، وإعطاء الإرشادات والقيام بجميع الأمور الإدارية التى تتعلق بمنطقته . أما المدير بانجلترا فوظيفته تنفيذ إرشادات الجماعة التابع لها بدقة

(١) انظر موضوع : « جمعيات الإرشاد إلى المهنة » فى الفصل الخامس من هذا الكتاب .

وأمانة وإخلاص . ويساعده فى أداء واجباته بعض الموظفين القادرين ، وعدد كبير من مفتشى الأقاليم . وراتب المديرين أو الضباط ضخم ، وقليل منهم يصح أن يسمى من علماء التربية . ولو كان كذلك لوصل التعليم الإنجليزى إلى درجة الكمال .

وتقوم الإدارة المحلية بإحصاء الحضور والغياب فى المدارس التابعة لها ؛ لأن إعانة الحكومة تدفع على نسبة الحضور المدرسى . وبالغياب عن المدرسة أو التأخر تفقد السلطة المحلية جزءاً من الإعانة . ولو ترك حضور التلاميذ للشرطة كما فى ألمانيا لسهل الأمر . ولكن انجلترا تعتمد على قوة الإقناع الأدبى . ويلتجأ إلى القانون والقضاء إذا ثبت إهمال أحد الآباء فى إرسال ابنه إلى المدرسة من غير عذر . ومع هذا فنتائج المواظبة حسنة ، ومتوسط الحضور ٩٠ فى المائة فى الأيام العادية ؛ أى فى غير أيام الأوبئة والأمراض ، وحسن النتيجة ناشئ عن حسن الإدارة ، فكل سلطة محلية تعين دوائر خاصة بالتعليم ، وفى كل دائرة ضابط يلحظ الحضور والغياب فى دائرته . وفى كل أسبوع ترسل كل مدرسة نسختين من تقرير الحضور والغياب إلى ضابط الدائرة . ويذكر فى التقرير أسماء الغائبين ، وكل طفل يغيب تفحص عن مسألته ، ويسأل عن السبب فى غيابه . وإن زيارة واحدة إلى المنزل من الممرضة أو ضابطة التعليم تكفى عادة لحضور التلميذ . فإذا امتنع من الذهاب إلى المدرسة استدعى الأب أمام لجنة خاصة بشؤون التعليم ، فإن انتصح وقبل النصيحة فبها ، وإلا طلب الوالدان أمام القضاء .

وكما يقوم ضابط الدائرة بمعرفة الحضور والغياب كذلك يقوم بإحصاء الأطفال الذين يبلغون السن المدرسية فى دائرته ، ولقد كثرت واجباته فى السنين الأخيرة ، ومنها البحث عن حال الأطفال الفقراء الذين يعدون فى حاجة إلى طعام المدرسة فيمنحونه ؛ وفقاً لقانون التعليم سنة ١٩٠٦ الذى ينص على مساعدة الأطفال

المحتاجين بإطعامهم . ولضابط الدائرة أيضاً خدمات جليلة فى طريقة التفتيش الطبى بالمدارس ، و بعض السلطات المحلية تستخدم الممرضات ضابطات للملاحظة . و بهذه الطريقة تكون الصلة كبيرة بين المدرسة والمنزل ، وتقوم الضابطة بزيارة المنزل عند الضرورة لمعرفة الحال الحقيقية التى تحيط بالطفل ، ولصلتها بالأمهات يمكنها أن تقوم بأكثر مما يقوم به الرجل من الضباط .

أثر الشرطة بألمانيا فى تنفيذ قانون التعليم العام :

وفى ألمانيا تقوم الشرطة فى كل جهة بإحصاء الأطفال الذين بلغوا السن المدرسية ، وتوزيعهم على المدارس التى تقرب من مساكنهم ، ولشدة هؤلاء الرجال فى تنفيذ قانون التعليم العام تجد من المحال أن يفر أحد من التعليم . و إذا أراد الأب الانتقال من مسكن إلى آخر بعيد عن الأول ، أو من بلدة إلى أخرى أخبر الشرطة بذلك ، فيحولون ابنه إلى المدرسة التى تناسبه . ولا نبالغ إذا قلنا : إن الشرطى قد ينتظر الطفل عند وصول أسرته إلى المنزل الجديد ، بالبلدة الجديدة ، فيأخذه بنفسه ، و يذهب به إلى المدرسة . وعلى كل ناظر أن يقبل كل تحويل . ولا يقبل أى عذر بعدم وجود أمكنة خالية ، والحق أن النظام الذى تتبعه ألمانيا فى التعليم الإجبارى من أحسن النظم وأدقها فى العالم أجمع .

السلطات المحلية وأثرها فى التعليم :

يلاحظ أن السلطات المحلية التى تتولى أمور التعليم الأولى العام بانجلترا يبلغ عددها ٣١٨ سلطة ، والتى تختص بالتعليم الراقى (من مدارس أولية راقية أو مركزية ، أو تكميلية) تبلغ ١٤٥ سلطة . وتختلف هذه السلطات باختلاف كبر المدينة أو المقاطعة ، وصغرها ، (فرتلاند)[1] مثلاً سلطة صغيرة ؛ لأن عدد

(١) وهى الآن نحو سبعة آلاف ألف مع الضواحى .

سكانها ١٨٣٦٨ نسمة ، و (لاَ نكشَيَر) كبيرة ؛ لأن بها من السكان ١٧٤٦١٣٩ نفس . ولندن تعد أكبر سلطة ؛ لأن سكانها (إذا استثنينا بعض ضواحيها) يبلغون ٤٤٨٣٢٤٩ نسمة ، يكفون لتكوين أمة صغيرة . ويقرب عدد الأعضاء فى جميع السلطات المحلية للتعليم من ١٠٠٠٠ عضو ، بين رجال ونساء ، يضحون بأوقاتهم وأموالهم فى خدمة التعليم . ويساعدهم فى أعمالهم موظفون دائمون قد احتيج إليهم منذ سنة ١٩٠٢ . ويقوم هؤلاء الموظفون بخدمة الجمهور فى إدارة التعليم خدمة جليلة ، ولكنَّ فى المدارس شعوراً عامًّا ، بأن هناك خطراً من تدخل بعض هؤلاء الموظفين أحياناً من غير حكمة ، فى الحرية والتجربة اللتين حرصت الوزارة على حمايتهما ، واجتهدت كثيراً فى تشجيعهما بالمدارس .

ومن أراد أن يعرف مقدار ما تقوم به السلطة المحلية فى نشر التعليم وترقيته ، فلينظر إلى ما تقوم به السلطة المحلية للتعليم بلندن فى كتيب يصدره (المجلس المحلى) ؛ لخدمة آلاف من الزائرين الذين يرغبون فى معرفة شىء عن التعليم بلندن . فهذه السلطة الكبيرة أعمالها كثيرة ، ولديها عدد كبير من الموظفين الإداريين ، وقسم للتفتيش فى لندن ، به كثير من المفتشين ، ويتبع هذه السلطة ما يأتى :

٩١٣ مدرسة أولية عامة فى لندن وحدها .

٧٤ مدرسة مركزية .

٢٥٠ مدرسة تكميلية ليلية ونهارية .

١٠ مدارس للهواء الطلق .

١٥٣ مدرسة لذوى العاهات المختلفة من الأطفال .

٥ مدارس صناعية .

٢٣ مدرسة ثانوية .

٥ كليات لإعداد المعلمين للندن ، بها ١٣٩٨٠ طالب .

٢٣ طبيباً من الأطباء الدائمين — (بقسم التفتيش الطبى) — الذين يشتغلون طول الوقت .

٧٠ طبيباً يشتغلون بالتفتيش الطبى جزءاً من الوقت .

٦٠ طبيباً من أطباء الأسنان .

٣٥٠ ممرضة من ممرضات المدارس .

وهذه الأمثلة تدل على مبلغ ما تقوم به السلطة المحلية نحو التعليم وترقيته .

وللمجلس المحلى بلندن صلة كبيرة بجامعة لندن التى تساعده فى كثير من أعماله . ويقوم هذا المجلس بالإنفاق على إحدى الكليات التابعة لهذه الجامعة . وهى (الكلية النهارية للمعلمين) . ولجامعة لندن وكلياتها وجماعة تعليم العمال ، والمعاهد الصناعية للنساء والرجال — أثر كبير فى ترقية التعليم الفنى والصناعى والتجارى بلندن .

وتقوم السلطة المركزية — وهى الوزارة — بمعاونة السلطات المحلية للتعليم ، ومشاركتها فى إحياء التعليم والنهوض به . ونظراً لعدم وجود قوانين تفصيلية للتعليم تجد لدى السلطات المحلية ومدارسها جزءاً كبيراً من الحرية ، كما تجد لدى السلطة المركزية نفوذاً قد يعد مطلقاً لأنها غير مقيدة بقيود . ولكن الروح الذى يسيطر على هاتين السلطتين : المركزية والمحلية ، روح طاهر تعاونى كله إخلاص لا يفكر إلا فى صالح التعليم والمتعلمين ، وبعبارة أعم لا ينظر إلا إلى المصلحة العامة ولا يفكر فى غيرها .

يقول (السير أهربرت سلبى بيجى) فى كتابه : (وزارة التعليم) عن النظم الجديدة فى التعليم : إن نجاح هذه النظم يتوقف تماماً على الروح التنفيذى ، وعلى الطريقة التى تستعمل فى التنفيذ . فلو نفذت بروح رئيس ومرءوس فان هذا

الروح يجعل السهل صعباً أمام هاتين السلطتين : المركزية والمحلية ، وخاصة إذا كان للعمل دخل فى التقلبات السياسية . أما إذا اشتركت السلطتان بروح التعاون فى تنفيذ كل ما هو صالح وقبوله فإنهما تستطيعان القيام بخدمة كبيرة للتعليم ، وتتوثق عرا الرابطة بينهما . ويرى المؤلف أن هذا الروح الأخير هو المسيطر على التعليم .

الفصل الثالث عشر

(ح) التفتيش المدرسى والمفتشون بانجلترا

مركز التفتيش :

لا يعطى الآن مركز التفتيش فى المدارس إلا من يستحقه ؛ لأن هذا المركز يحتاج إلى أكفاء يشعرون بالواجب فيؤدونه خير أداء ، ويحسون التبعة الملقاة على عاتقهم فلا يفرون منها . ويعملون دائماً على تشجيع كل ما هو حسن أينما وجدوه . ويعضدون بكل قواهم كل ما تثبت صحته من التجارب الحديثة ، والطرق الجديدة فى التربية والتعليم ؛ فيقبلون كل جديد ما داموا مقتنعين بصوابه ، ولا يقفون عقبة فى سبيل أى إصلاح . ويعد مركز التفتيش فى انجلترا من أكبر المراكز العلمية . وكفى المفتشين فخراً أن كان منهم ذلك المربى الكبير ، والمصلح العظيم ، (ماتيو أرنولد) ؛ فلقد كان خير مثل للمربين المصلحين ، وقد خدم التعليم بانجلترا فى القرن التاسع عشر خدمة تذكر له بالشكر والإعجاب .

اختيار المفتشين :

كان المفتشون فى انجلترا يعينون أحياناً من مدرسى المدارس الابتدائية ؛ لترقيتهم وتشجيعهم على نتائجهم فى التعليم ، يوم أن كانت تلك الطريقة العقيمة — وهى طريقة التقدير بحسب النتائج — منتشرة . ولكنها ألغيت منذ مدة ليست بالقصيرة ؛ لضررها الواضح . وهؤلاء المفتشون — وإن كان لهم خبرة كبيرة

بالتعليم الأولى والمدارس الأولية — تنقصهم الخبرة الفنية . على أن بعض المربين لا يزال يرى أن المفتشين يجب أن يؤخذوا دائماً من المدرسين ؛ لشدة صلتهم بالتلاميذ والمدارس . ويرى آخرون — وهو القول الحق — أنه يصح اختيار عدد قليل منهم ، بشرط أن يراعى فى الاختيار والتعيين الأشخاص الذين يستطيعون القيام بما تتطلبه هذه المهنة من الوجهة الفنية ، والذين تتمثل فيهم الشخصية والمهارة ، والمشاركة الوجدانية ، والحزم والحكمة . أما الأكثرية فتختار من المربين وعلماء التربية ، وهم الرجال الفنيون الذين تكفيهم نظرة واحدة لمعرفة عيوب المدرسة ، وطرق إصلاحها .

الغرض من التفتيش :

تعتمد الوزارة والسلطات المحلية على المفتشين فى نشر الآراء الصائبة ، وترقية مستوى التعليم ، وإصلاح العيوب التى يلحظونها فى المدارس فى أثناء تفتيشهم . والمفتشون فى انجلترا يرسلون إلى المدارس لا للضغط على الحرية فى التعليم ، ومنع التجارب الجديدة وتتبع سقطات المدرسين وهفواتهم الصغيرة ، بل لتشجيع الحسنات ، وإصلاح السيئات ، بالنقد المفيد ، والنصيحة والإرشاد . وينقلون كل فكرة جديدة ، أو طريقة حديثة من مدرسة إلى أخرى ، ثم يحملون هذه الآراء إلى الوزارة . ويمنعون الضغط الشديد على المدارس ، وبخاصة ضغط الدعايات السياسية والاجتماعية . ومن الممكن وضع الغرض من التفتيش فى كلمتين اثنتين : الأولى حماية — والثانية بناء ؛ أى حماية التعليم وحفظه من كل ما يضر ، وبناء التعليم وتقويمه وإصلاحه وترقيته . والحق أن المفتشين قد قاموا بواجبهم من هاتين الناحيتين ؛ فلقد صانوا التعليم ورقوه ، وجعلوه فى الثلاثين سنة الماضية مثلاً حسناً تقتدى به الأمم ، وتحذو حذوه .

أقسام التفتيش :

فى انجلترا تسع مناطق رئيسية للتفتيش . وفى كل منطقة خمسة أقسام تمثل خمسة أنواع من أنواع التعليم ، وهى : —

(١) تفتيش التعليم الابتدائى .

(٢) تفتيش التعليم الثانوى .

(٣) تفتيش التعليم الصناعى .

(٤) تفتيش كليات المعلمين .

(٥) تفتيش التعليم الفنى .

ولكل قسم من الأقسام الثلاثة الأولى رئيس ، يدعى كبير مفتشى التعليم الابتدائى ، أو كبير مفتشى التعليم الثانوى ، أو كبير مفتشى التعليم الصناعى . ويعين أحد هؤلاء الثلاثة رئيساً عامًا للتفتيش ، ويكون بمثابة المراقب العام لجميع أقسام التفتيش . وكما أن هناك رئيساً للمفتشين فكذلك هناك رئيسة للمفتشات . ويلى هؤلاء فى المركز المفتشون العاديون ، ثم المفتشون المساعدون .

ولكل سلطة من السلطات المحلية للتعليم مفتشون ، كما أن للوزارة مفتشين تعتمد عليهم فى تنفيذ نظمها وقوانينها ، ولكل الحق فى التفتيش فى مدارس معينة. ويشكو المدرسون كثرة التفتيش ؛ مدعين أولاً أن فيه إقلاقاً وإزعاجاً للمدارس ، وثانياً أنه مدعاة لقتل الحرية فى التعليم ، وتوحيده ، ومنع التجربة . ونحن لا ننكر أن كثيرين من المفتشين التابعين للوزارة ، والتابعين للسلطات المحلية يترددون على المدارس ، ويكثرون تفتيشها ؛ وأنها معرضة دائماً للتفتيش وتعبه . ولكن يجب أن نعترف بأن مصلحة العمل تقتضى ذلك ، وبأن الوسيلة الوحدة لمعرفة الطريقة التى بها يسير التعليم هى التفتيش . والوزارة والسلطات المحلية تريد

أن تطمئن وتثق بأن المدارس سائرة فى الطريق المستقيم ، وأن أموال الأمة التى تنفقها على التعليم غير ضائعة . فلا لوم عليها إذا أزعجت المدرسين بالتفتيش الكثير . أما من جهة الشكوى الثانية وهى أن التفتيش يدعو إلى قتل الحرية ، وتوحيد التعليم ، ومنع التجارب ، فالواقع يشهد بغير ذلك ؛ لأن التفتيش فى انجلترا خصوصاً يعطى المدارس والنظار والمدرسين نصيباً كبيراً من الحرية فى العمل ، وفى تجربة أى طريقة مفيدة فى التعليم ، واختيار المنهج ، ووضعه بحيث يناسب الإقليم المدرسى من الوجهة الزراعية أو الصناعية أو التجارية .

طريقة التفتيش :

قد ابتدأ التفتيش فى المدارس الأولية منذ سنة ١٨٣٩ . وكانت طريقته عقيمة كما قلنا حينما أدخل فى التعليم نظام (تقدير المعلمين بحسب النتائج) سنة ١٨٦٢ ؛ فالمفتش الذى كان ينتظر منه أن يكون صديقاً للمدرس والمدارس أصبح الممتحن المخيف المفزع للمدرسة والمدرسين ، وصار من واجبه أن يمتحن جميع التلاميذ فى القراءة والكتابة والحساب ، بدلا من أن يشجع الحسن ، وينقد الخطأ ، ويرشد إلى الصواب . وجعلت الإعانة متوقفة على نتيجة الامتحان ؛ فكان الجميع لا يفكرون إلا فى الامتحان ، والتعليم للامتحان ، وحفظ أسئلة وأجوبة للامتحان ، ووضع نماذج للامتحان . . . . وقد تأخر التعليم كثيراً بسبب هذا النظام الردىء . ولكنه ألغى أخيراً بعد أن تبين خطؤه للجميع من المربين . وفى سنة ١٩٠١ جعل عمل المفتش التعاون مع المدرس ؛ يسأل التلاميذ إذا شاء ، ويرشد من يحتاج إلى الإرشاد ، ويعمل لإصلاح كل ما يلحظه من عيوب . أما الامتحانات المدرسية العادية فيقوم بها المدرسون . وكل ما تقوم به الوزارة من امتحان فى المدارس الابتدائية هو امتحان ذوى الجوائز والمجانية للحاق

بالمدارس الثانوية [١] ويظهر الروح الجديد من قيام الوزارة الآن بكتابة إرشادات للمدرسين ، لا للمفتشين كما كان يحدث من قبل .

يقول (مَاثْيُوأَرْنُولْد) : إن حال التعليم فى منتصف القرن التاسع عشر كانت سيئة ؛ فلقد كانت الكتب والأدوات قليلة ، والمرتبات ضئيلة ، والمواظبة رديئة ، وطرق التعليم آلية ، وكان المدرسون يكلفون تعليم عدد كبير من الأطفال فى الفصول المدرسية . وقصارى القول كان التعليم اسميًا أكثر منه حقيقيًا .

وكان التفتيش قبل (ماثْيوأرنولد) مدعاة إلى الحدس والتخمين ؛ يدخل المفتش المدرسة ، ويزورها حجرة بعد أخرى . ويختبر بعض التلاميذ شفويًا على غير هداية ، فإن صادفت الأسئلة التلاميذ المجيدين فذلك من حسن حظ المدرس ، وإن صادفت الضعفاء أو المهملين فذلك من سوء جده وحظه . كل هذا من غير تفكير فى الشروط الصحية بالمدرسة ، أو فى أحوال التلاميذ الذين يأتون من بيوت فقيرة ، ويكون ضعفهم أحياناً ناشئاً عن سوء الحالة المنزلية ، أو رداءة التغذية ، أو قلة النوم . وكانت المدرسة تعد جيدة النظام إذا كانت فى حال غير طبيعية بأن يقف التلاميذ مصطفين ، يسيرون على أطراف أصابعهم واحداً واحداً ، أو مثنى مثنى ، ملازمين جانب الحائط . وإذا ما ذهبوا إلى فصولهم جلسوا كأن على رءوسهم الطير ؛ أما اليوم فقد زالت هذه الروح العسكرية ، وأصبح كل تلميذ يتمتع بقسط وافر من الحرية مع المحافظة على الهدوء والسكون ، بحيث يكون الجو المدرسى جوًا طبيعيًا صالحاً للتعليم والتعلم .

التفتيش بالمدارس الابتدائية :

وفى المدارس الابتدائية يقوم المفتش بالتفتيش عن جميع المواد ، وعن كل

(١) فى سنة ١٩٢٥ الداخلة فى سنة ١٩٢٦ بلغ عدد أمكنة المجانية ١٣٤١٧٧

المدرسين . ومن حيث إن المفتش لا يمكن أن يجيد معرفة كل ما يتعلق بالمدرسة من إدارة ، ونظام ، وتعليم ، وطريقة ، وشروط صحية ، وبيئة مدرسية . . . الخ بمجرد زيارتها مرة من المرات ، لذلك لا يكلف تفتيش بعض المدارس سنة واحدة ، ثم يتركها ويفتش غيرها ، بل يكلف التفتيش فى مدارس معينة سنة بعد أخرى يزورها متى شاء ، ولا ينتقل منها إلى غيرها كل سنة . وبهذه الطريقة يستطيع أن يعرف كل مدرسة فى دائرته معرفة جيدة ، تمكنه من معرفة المدرسين والنظار ، وتقدير الأحوال المحلية المحيطة بالمدرسة ، والصعوبات التى تعترضها ، والمواد التى تناسبها ، فيتعاون معها على تحسين الأحوال السيئة ، وإزالة هذه الصعوبات ، وترقية التعليم وتشجيعه بكل وسيلة ممكنة .

تقريرات المفتشين :

يرسل إلى المدرسة تقرير عام ، ولكل مدرس تقرير خاص به ، ولا يذكر فى تقرير المدرس بعض الكلمات التى لا يمكن تحديدها أو تفسيرها ؛ مثل « لا بأس » . وليس الغرض من التفتيش كتابة تقرير آلى عن المدرس ، بل الغرض ذكر الحسنات والسيئات ، وكل ما يمكن من النصائح والإرشادات ؛ كى يتجنب المدرس الأخطاء فى تعليمه . والمدرس المهمل ينذر ، فإذا استمر على أعماله عوقب . والمخطئ ينصح أولاً ، فإذا انتصح فبها ، وإلاّ أنذر ، ثم عوقب .

التفتيش فى المدارس الثانوية :

وأما التفتيش فى المدارس الثانوية فلم يبتدئ حقيقة إلا بعد سنة ١٩٠٢ ، وجعل شرطاً فى تسلم الإعانة من الوزارة . ولا تعد المدرسة « جيدة » فى نظر الوزارة إلا إذا كانت خاضعة لتفتيشها ، وبرهنت على جودتها . وليس هناك الآن

من المدارس الثانوية التى لاتتمتع بتفتيش الوزارة إلا عدد قليل جداً من المدارس؛ لأن التفتيش من مصلحة المدرسة ، فالمفتش يرشدها إذا أخطأت ، ويشجعها إذا أحسنت . ويعد مفتشو التعليم الثانوى بانجلترا مثلاً عالياً للحكمة والخبرة . وبالتجربة الطويلة أصبحوا من الإخصائيين فى التربية والتعليم .

ولقد كان التفتيش فى المدارس الثانوية بانجلترا شاقاً ؛ لأن النظار — وبخاصة نظار المدارس الشهيرة ، ذات التقاليد المعروفة — كانوا يكرهون أى تدخل من المفتشين ، ولايحبون أن يملى عليهم أحد طريقة من الطرق أو منهجاً من المناهج . لذلك تجد المفتشين يعملون بكل حزم وروية لتجنب كل مافيه إيلام لشعور هؤلاء النظار ، أو مس لإحساسهم . ومما يدل على حسن تصرفهم ومعاملتهم أن المدارس الثانوية بعد أن كانت تعارض فى التفتيش عنها أصبحت تتطلب الخضوع لتفتيش الوزارة . ومنها الآن أكثر من ألف مدرسة ثانوية جعلت نفسها خاضعة لتفتيش الحكومة ، وتتسلم إعانة منها .

التفتيش العام :

وبجانب التفتيش العادى فى المدارس الثانوية تجد تفتيشاً عامًّا عن المدرسة ، يحدث مرة فى كل أربع سنوات أو ست . تخبر به المدرسة قبل حدوثه ، ويقوم به اثنان فأكثر من المفتشين ، وقد يبلغ العدد ثمانية . ويستغرق التفتيش العام من يومين إلى خمسة أيام . وبعد الانتهاء منه يجتمع المفتشون ، ومؤسسو المدرسة ، وناظرها للاستشارة ، وفى هذا التفتيش تفتش مواد الدراسة ، والمدرسون جميعاً ، وكل ما له علاقة بالحياة المدرسية من منهج ومكتبة ومعامل ، وملعب ، ومتحف ، وفصول ، وأدوات ، وكتب ، ومالية . . . الخ . ويتلو ذلك التفتيش نصائح وإرشادات للعمل لترقية التعليم ، وتحسين أجهزة المدرسة . وليس فى أى قطر آخر

تفتيش عام كهذا تصحبه روح الصداقة والوئام ، والتعاون فى سبيل إصلاح التعليم، وتحسين طرقه . وهذه هى الطريقة التى تتخذها انجلترا للوصول إلى ترقية التعليم بهذه المجهودات الشخصية التى يقوم بها المربون من المفتشين وغيرهم ، وهى طريقة ناجحة فى تقدم التعليم الثانوى بها .

واجب المفتشين

إن أهم واجبات المفتش أن يكون أميناً فى عمله ، يقول ما يعتقده مع مراعاة شعور المدرس ، وأحوال التلاميذ ، وبيئة المدرسة . يشجع من يستحق التشجيع، ولا يثبط همة غيره . وليس من التشجيع أن يمدح من لا يستحق المدح ، بل التشجيع أن يقدر المدرس حق قدره ، ويبعث فى روحه الأمل ، وحب العمل ، والاجتهاد للوصول إلى الطريقة المثلى فى التعليم . والغرض من التفتيش البحث وراء الحقيقة وذكرها ، كما هى من غير تغيير أو تبديل . والمصلحة العامة تقتضى التصريح بالحقائق ، وقد تكون مرة . وليس من القسوة أن تبين للمخطئ خطأه ، وللمهمل إهماله . ولا يتطلب التفتيش ذكر العيوب فحسب ، ولكنه يتطلب ذكر الحسنات أيضاً ، والعمل لإصلاح العيوب بحزم على انفراد . وما المفتش إلا زائر خبير بمهنة التعليم ومشاقها ، يقدم نصائحه وثمار تجاربه لمن يحتاج إليها من المدرسين والنظار من زملته . ويقوم بالبحث عما تحتاج إليه الأقاليم ، والفحص عن حالة التعليم فى المدارس التى يقوم بتفتيشها ، والمساعدة فى نشر أحسن الطرق فى التربية والإدارة المدرسية .

وحكم المفتش على المدرس يؤثر فى ترقيته ؛ ولذا تجد المفتش يعمل على أن يكون مثلاً للعدالة . والمدرس الواثق بنفسه وعمله يرحب دائماً بزيارة المفتش للمدرسة .

مرتبات المفتشين :

من السهل الحكم على مركز المفتشين بالمدارس الإنجليزية إذا نظرنا نظرة واحدة إلى درجاتهم ، ومرتباتهم التى يتقاضونها :

الوظيفة	الراتب
رؤساء المفتشين :	من ١٠٠٠ جنيه إلى ١٢٠٠ جنيه فى السنة .
مفتشو المناطق :	من ٨٠٠ « « ٩٥٠ « « «
مفتشو الديوان :	من ٨٠٠ « « ٩٠٠ « « «
مفتشون عاديون :	من ٤٠٠ « ٨٠٠ أو ٨٥٠ جنيه فى السنة.
وكلاء المفتشين :	من ١٩٥ « ٤٤٠ أو ٥٢٠ « «
مساعدو المفتشين :	من ٢٠٠ « ٤٠٠ جنيه فى السنة .
مفتشون مبتدئون :	من ٢٠٠ « ٤٠٠ « «

فمرتباتهم حسنة ، والثقة بهم فى المجتمع كبيرة ، وإذا بلغوا الخامسة والستين من العمر استقالوا ولديهم معاش كامل . وهم فى الواقع جديرون بهذا التشجيع ، وبهذه الثقة ؛ لأنهم قاموا بكثير من الإصلاحات ، ولا غرض لهم إلا الوصول إلى المثل الأعلى فى التربية والتعليم ، ولا ينكر أحد مقدرتهم وكفايتهم .

سلطة المفتش :

لدى المفتش بالمدارس الابتدائية سلطة كبيرة ؛ يستعملها بكل حزم وبصيرة ، فله الحق فى أن يكثر زيارة مدرسة ، أو يقلل منها كما يشاء ، على أن يزور كل مدرسة مرة فى السنة على الأقل . وعليه أن يطلع على المنهج ، ويبدى رأيه فيه ، وعلى جدول أوقات الدروس ، وأن يكتب تقريراً عن المدرسة بحيث يشمل :

(١) موقع المدرسة والأحوال التى تتعلق بها وحالة مبانيها .

(٢) حجم الفصول المدرسية .

(٣) التعليم بالمدرسة ، والطرق المتبعة فى التدريس .

(٤) الأدوات والكتب المستعملة فى كل مادة من المواد .

(٥) التدفئة والتهوية بالمدرسة .

(٦) متحف المدرسة — إن كان بها متحف — ، وحجرة الملابس .

(٧) الملعب ، وأدوات اللعب ، ومقدار العناية بالتربية البدنية فى المدرسة .

(٨) المواظبة ، والميزانية فى المدرسة .

وبهذه الوسيلة تمكن معرفة كل ما يتعلق بالمدرسة بالتفصيل . ولا تدفع الإعانة الحكومية للمجلس المحلى عن المدرسة إلا إذا كان تقرير المفتش عنها حسناً . وللمفتش أن يناقش ناظر المدرسة فى المنهج الذى رسمه لمدرسته ، وأن يبدى له ما يراه من النصائح والإرشادات ، ويتحادث مع المدرسين فى الطرق التى ينبغى اتباعها فى التعليم . وقد يكون من الصعب أن يقوم مفتش الوزارة وحده بهذا التفتيش العام ، وبالعمل على إصلاح أخطاء كل مدرس . لذلك تترك بعض الإرشادات ليقوم بها المجلس المحلى للتعليم بمساعدة المفتشين لديه . ولا يستطيع المفتش أن يقوم بواجبه كما ينبغى إلا إذا كان خبيراً بأحوال المدارس ، عالماً بشئون التربية ونفسية الأطفال .

وفى الختام نسأل الحق جل شأنه كل هداية ، وكل توفيق .

المراجع الإنجليزية

1) John Stuart Mill, On Liberty, p. 20-21.
2) Balfour, Graham, Educational Systems of Great Britain & Ireland, Oxford 1903.
3) Adamson : Outline of English Education, 1790-1902.
4) Board of Education Annual Reports for 1908-09, 1910-11, 1912-13 & 1923-27.
5) Birchenough, History of Elementary Education.
6) Adamson, A Short History of Education.
7) Sir John Adams, The Evolution of Educational Theory.
8) The Schools of England, edited by Dover Wilson.
9) Kandil. L. Elementary Education in England.
10) Board of Education, The Primary School.
11) Sandiford, Peter, The Training of Teachers in England & Wales, New-York, 1910.
12) Report of the Consultative Committee on The Primary School, 1931.
13) Bertrand Russell, On Education.
14) P.B. Ballard. The Changing School.
15) Findlay, The Foundations of Education.
16) Sir John Adams. Modern Developments in Educational Practice.
17) Report of Consultative Committee on the Education of the Adolescent, 1926.
18) Martin, The Adult School Movement, 1924.
19) Archer : Secondary Education.
20) Graves, A History of Education in Modern Times.
21) Monroe, The Encyclopedia of Education.

فهرس

كتاب التربية الإنجليزية

الفصل الأول

كلمة عامة عن التعليم فى انجلترا

صفحة

٥ الغرض من التربيـــة الإنجليزية .
٦ التعليم بانجلترا مدنى لا ريفى غالباً .
٧ العوامل التى أثرت فى التعليم .
٨ موازنة بين انجلترا وألمانيا والولايات المتحدة بأمريكا .
١٠ نظام التربية والعناية بالنظر فى أخلاق الشعب وتقاليده .
١٢ حب الإنجليز للمحافظة على القديم .

صفحة

١٣ الحرية الشخصية وخضوعها للمجتمع .
١٦ طريقة التعليم فى انجلترا طريقة عملية .
١٨ تشجيع التعليم بانجلترا .
٢٠ الشعور العـام نحو التعليم بعد الحرب العالمية الأولى .
٢١ نظرة إلى التعليم بانجلترا فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

الفصل الثانى

نشر التعليم الأولى بانجلترا

٢٤ قانون التعليم العام سنة ١٨٧٠ م .
٢٥ طريقة التقدير بحسب النتائج .
٢٧ قوانين الذهاب إلى المدرسة .
٢٨ اليوم المدرسى .
٢٩ الغرض من المدرسة الأولية أو الابتدائية .
٣٠ الفرق بين مدارس الشعب ومدارس الخاصة .
٣٢ أنواع المدارس الأولية .
٣٢ نظام المدارس الأولية .

٣٥ المبانى المدرسية والملاعب .
٣٦ منهاج المدارس الأولية أو الابتدائية وجدول الدروس بها .
٣٩ ساعات الدراسة فى الأسبوع .
٤١ ترتيب التلاميذ ونقلهم من سنة إلى أخرى
٤٣ المنهج فى مدارس رياض الأطفال .
٤٤ عدد التلاميذ فى الفصول .
٤٦ المكتبات المدرسية .
٤٨ المكتبات المتنقلة بانجلترا .

صفحة
٥٣ مالية التعليم الأولى .
٥٥ التعليم الأولى فى ألمانيا .
٥٥ زمن الدراسة فى الأسبوع بألمانيا .

صفحة
٥٥ التعليم الإجبارى فى ألمانيا .
٥٦ التعليم فى فرنسا .
٥٦ التعليم فى سويسرة .

الفصل الثالث

روح المدرسة الإنجليزية الحديثة

٥٨ روح المدرسة الإنجليزية الحديثة .
٦٠ مدرسة ريفية ابتدائية إنجليزية .
٦٢ المعلمون والمعلمات بانجلترا أمس واليوم .
٦٣ الإقبال على مهنة التدريس .
٦٥ تعيين المدرسين بالمدارس الابتدائية .

٦٦ مرتبات المدرسين والنظار بالمدارس .
٦٨ نظام الترقية .
٦٩ المعاش .
٧٠ المعلمون والمدارس الصيفية أو لا نهاية للعلم .

الفصل الرابع

العناية بتربية الأطفال اليوم

٧٣ العناية بالأطفال فى البيت والمدرسة والملعب .
٧٤ الطرق الحديثة فى التربية والتعليم .
٧٤ (١) طريقة دالتون .
٧٥ (٢) طريقة متسورى .
٧٥ (٣) طريقة مس تشارلوت ماسون .
٧٦ (٤) طريقة اللعب .
٧٨ كلمة السير تشارلس تريفليان وزير التعليم فى المؤتمر الصحى سنة ١٩٣١ .

٨٠ العناية بالشؤون الصحية والتربية البدنية فى المدارس الإنجليزية .
٨١ الملاجئ وطريقة جمع المال لها .
٨٤ الغرض من التفتيش الطبى .
٨٦ الجماعات الخيرية لرعاية الأطفال .
٧٨ التعاون فى سبيل تربية الطفل .
٨٧ وسائل إعداد الطفل للحياة الكاملة .
٩٠ مدارس الأطفال فى ونتكا .

الفصل الخامس

البحوث العلمية فى التربية

٩٣ البحث العلمى .
٩٤ النجاح فى البحث العلمى .
٩٥ بحوث التربية .

٩٥ علوم التربية فى مصر .
٩٧ الاستزادة العلمية بعد الحياة المدرسية .

الفصل السادس

المدارس الأولية الراقية والمركزية

صفحة

١٠٠ متى يبتدئ التعليم فى هذه المدارس .
١٠٠ منهج المدارس المركزية .
١٠٢ المنهج الصناعى .
١٠٢ المدرسون فى المدارس المركزية .

الفصل السابع

المدارس التكميلية أو التعليم الفنى والصناعى والتجارى

١٠٤ مقدمة فى الإصلاح الاجتماعى والمصلحين
١٠٥ المدارس التكميلية والغرض منها .
١٠٥ أسباب قلة الإقبال عليها .
١٠٦ الوسائل التى يعالج بها هذا النقص .
١٠٨ قانون إنشاء الجماعات لتسهيل الخدمة والعمل للشبان .
١٠٩ المجانية فى المدارس التكميلية .
١١٠ مناهج المدارس التكميلية.
١١٠ أنواع المدارس التكميلية .
١١٢ جماعة تعليم العمال .
١١٢ اقتراح اللجنة الوزارية الاستشار سنة ١٩٢٦ .
١١٣ إحصاء عن التعليم الفنى والصناعى .
١١٣ الأقسام النهارية للمدارس التكميلية .
١١٤ جماعات الإرشاد إلى المهنة .

الفصل الثامن

التعليم الثانوى

١١٨ المدارس الثانوية أمس واليوم .
١٢١ روح التعليم الثانوى اليوم .
١٢٢ التلاميذ فى المدارس الثانوية الإنجليزية
١٢٢ الألعاب الرياضية وأثرها .
١٢٤ إصلاح التعليم الثانوى .
١٢٥ مدة التعليم الثانوى.
١٢٥ أسباب تقدم التعليم الثانوى .
١٢٦ أنواع المدارس الثانوية .
١٢٦ (١) مدارس الخاصة وأسباب الإقبال عليها .
١٢٩ آراء بعض المربين فيها .
١٣١ (٢) مدارس الأجرومية .
١٣١ (٣) المدارس العالية للبنات .
١٣٢ (٤) « الإقليمية الثانوية .
١٣٣ (٥) « الإعدادية والثانوية الحر
١٣٥ التعليم الحر بمصر وكيف نصلحه ؟
١٣٦ لماذا يجب إصلاح المدارس الحرة بمصر
١٣٧ طريقة إصلاح المدارس الحرة بمصر .
١٤٠ أسباب كثرة الرسوب فى المدارس الحرة .

صفحة
١٤٣ إحصاء المدارس الثانوية الإنجليزية .
١٤٣ المدارس الثانوية التى كانت خاضعة لوزارة التعليم سنة ١٩١٤ .
١٤٥ المدرسون فى المدارس الثانوية .
١٤٧ ناظر المدرسة الثانوية .
١٤٨ كلمة إجمالية عن مرتبات النظار والمدرسين فى المدارس الثانوية .
١٥٠ نظام المدارس الثانوية ومناهجها .
١٥١ مناهج التعليم الثانوى : —
١٥٢ بعض المواد الخاصة بالبنات .
١٥٣ مراعاة البيئة المدرسية فى مناهج المدارس الثانوية .
١٥٤ منهج مدرسة ثانوية تعد تلاميذها للجامعات .

صفحة
١٥٥ توضيحات خاصة بالمنهج السابق .
١٥٦ (١) منهج مدرسة ثانوية إقليمية تعد تلاميذها للتجارة والصناعة .
١٥٧ (٢) منهج مدرسة ثانوية للبنات (أ) .
١٥٩ (٣) منهج مدرسة ثانوية للبنات (ب).
١٦٠ مناهج اختيارية حيث يبدأ التخصص (للبكالوريا) .
١٦١ منهج للبنات فى التعليم الثانوى يبتدئ من سن ١٢ .
١٦٢ المجانية والجوائز فى المدارس الثانوية .
١٦٣ امتحانات المدارس الثانوية .
١٦٤ مالية التعليم الثانوى .

الفصل التاسع

كليات المعلمين و إعداد المدرسين للمدارس الابتدائية

١٦٧ الحاجة إلى كليات المعلمين وأنواعها .
١٦٩ أساتذة الكلية وناظرها .
١٦٩ الطلبة بكليات المعلمين .
١٧٠ منهج الدراسة بكليات المعلمين .
١٧٠ (أ) منهج السنتين .
١٧٢ طريقة التدريس فى الكليات .
١٧٤ التربية العملية وأنواعها .
١٧٤ دروس النقد والتمرين العام .
١٧٥ (ب) منهج الثلاث السنوات .
١٧٧ نفقات إعداد المدرسين .

الفصل العاشر

الجامعات الإنجليزية

١٧٨ أقدم الجامعات الإنجليزية .
١٧٨ الجامعات الجديدة .
١٨١ الحياة الاجتماعية فى الكليات والجامعات .
١٨١ النظام هو الحياة .
١٨٣ اتصال عمداء الكليات وأساتذتها بالطلبة
١٨٣ محافل الطلبة .
١٨٥ مجلة الكلية وتقويمها .
١٨٦ مطعم الكلية .
١٨٦ القوانين الاجتماعية التى يجب على الطلبة مراعاتها .
١٨٧ الطلبة والإنسانية .

الفصل الحادى عشر

إدارة التعليم

(ا) مجلس التعليم أو وزارة التربية والتعليم

صفحة

١٨٩ إدارة التعليم .
١٨٩ مقدمة .
١٨٩ مجلس التعليم أو وزارة التربية والتعليم .
١٩١ اللجنتان الفنيتان بالديوان العام .
١٩١ (١) اللجنة الاستشارية .
١٩١ (٢) لجنة الاستعلامات والتقريرات بالوزارة

صفحة

١٩٢ الوزارة والتعليم .
١٩٣ الإعانات المدرسية ومتى تعطى ؟
١٩٣ أقسام الوزارة .
١٩٦ المدارس والمعاهد الخاضعة لرقابة الوزارة.
١٩٧ مصروفات وزارة التعليم .

الفصل الثانى عشر

(ب) السلطات المحلية للتعليم

١٩٩ التعاون بين السلطات المحلية والسلطات الرئيسية .
٢٠٠ فروع الجماعة العامة للتعليم .
٢٠٠ واجبات السلطة المحلية وحقوقها .

٢٠٢ مديرو السلطات المحلية أو ضباطها .
٢٠٤ أثر الشرطة بألمانيا فى تنفيذ قانون التعليم العام .
٢٠٤ السلطة المحلية وأثرها فى التعليم بانجلترا.

الفصل الثالث عشر

(ح) التفتيش المدرسى والمفتشون

٢٠٨ مركز التفتيش .
٢٠٨ اختيار المفتشين .
٢٠٩ الغرض من التفتيش
٢١٠ أقسام التفتيش .
٢١١ طريقة التفتيش .
٢١٢ التفتيش بالمدارس الابتدائية .

٢١٣ تقريرات المفتشين .
٢١٣ التفتيش فى المدارس الثانوية .
٢١٤ التفتيش العام .
٢١٥ واجب المفتش .
٢١٦ مرتبات المفتشين .
٢١٦ سلطة المفتش وما يشمله التقرير .

١٣٧٨ / ٢/٧/١٩٤٥

370.942:A10A:C.1
الابراشي ،محمد عطية
التربية الانجليزية او نظام التعليم في ا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01022370